الجمهوريـــــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العـــالي و البـحث العلمـــي

كليـــة الآداب واللغـــات

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدّراسات اللغوية بين القديم و الحديث

عنوانها

المنهج اللغوي عند الفارابي

إعـــداد الطّالبة :

- حـجـريـة دامـو

إشـراف الأستـاذ الـدكتور :

- المهـدي بوروبة

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د/ شايف عكاشة	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د/ بوروبة المهدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د/ مصطفاوي عبد الجليل	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
د/ بوعلي عبد الناصر	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوا
د/ قريش أحمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوا

السنـة الجامعيـة: 1434هـ -1435هـ/ 2013م -2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

"....

إلـــى روح أمّـــي الغاليـــة رحمهـــا اللّـــــــه

..."

كلمة شكر

أتقدم بالشّكر الجزيل إلى كلّ من الأستاذ المشرف **المهدي بوروبة** على التّوجيهات والنّصائح التي لم يبخل عليّ بها والتّي كان لها الدّور الكبير في إنجاز هذا العمل، وكلّ أساتذة معهد اللغة والأدب العربي بجامعة تلمسان، والطلبة الزّملاء، كما أتقدم بالشكر والتّقدير إلى كلّ أعضاء لجنة المناقشة رئيسا ومناقشين.

مقدمـــة

بســـــــم الله الـرّحمن الـرّحيم

مقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا على ما أنعم، ونشكره على فضله وإحسانه، واللهم صل على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أمّا بعد:

فإنّ الدّراسات اللّغوية القديمة تعدّ من أهمّ الدّراسات لأنّ الموروث اللغوي قد كشف عن بعضه، ومازال الكثير منه في حاجة إلى البحث والدّراسة، وسيكون حديثي إنشاء الله في هذه المذكرة عن علم من الأعلام الكبار إنّه **أبو نصر الفارابي**، إذ الظاهر عن هذا الرجل أنّه فيلسوف كبير، غير أنّ المتصفح لأعماله يكتشف أنَ له جهودا لغوية رائدة في مجال الصّوت والصّرف والنّحو والموسيقا وعلم اللغة.

فقد ظلّت المباحث اللغوية لدى الفلاسفة شبه منسية، إذ لم يولها الباحثون عناية كبيرة، ولم تحط بدراسة منهجية جادّة، وذلك أنّ جلّ الإهتمامات كانت تتّجه صوب النّحاة واللغويين في معالجة القضايا اللغوية.

ويقف الباحث الحالي وقفة تقدير وعرفان أمام تلك الجهود اللغوية الجادّة، ونحن نضع أسطرنا هنا عرفانا وتقديرا لجهود علمائنا القدامى التي لا يمكن إغفالها. والتي كانت منطلقا للدّراسات اللغوية الحديثة.

ويندرج موضوعي ضمن تلك الموضوعات التي تحاول الكشف عن واحد ممّن كتبوا في اللغويات إلى جانب مؤلفاته الغزيرة في اللغة.

فالرّجل علم من الأعلام الموسوعيين الذين أحاطوا بشتى فروع المعرفة وكتبوا فيها، وتتميّز كتبه ورسائله بالتّحري العلمي والدّقة في المعالجة، وسأتتبع في هذه المذكرة منهجه الذي سلكه فأتناول المباحث اللغوية بدءا بالصّوتية والصّرفية ثم النّحوية والدّلالية.

ومبرزة ما قدّمه هذا العالم لعالم الثّقافة العربية، وللثّقافة العالمية. وإسهاما مني في إجلاء جهود هذا العالم الفذّ اخترت موضوع مذكرتي في الماجستير: المنهج اللغوي عند الفارابي.

وممّا زاد في إقبالي على هذا الموضوع تشجيع الأستاذ المشرف على تناوله لأهمّيته. وممّا زاد في حماسي الرّغبة القويّة في خدمة التراث الذي أفخر به، و أسعى إلى خدمته، فما أجمل أن تجد نفسك باحثا في صميم هذا التراث الشّامخ الذي تجاوز في عمقه وشموله العصر الذي أنتج فيه.

وتكمن الإشكالية التي سأجيب عنها في حقيقة المنهج الذي سلكه الفارابي في تناوله للمباحث اللغوية.

وقد سرت في عرض مباحث هذا الموضوع وفق خطّة تمثلت في مقدمة ومدخل وثلاثة فصول ثم خاتمة، حيث خصّصت المدخل: للتّعريف بالفارابي مع التّركيز على مصادر ثقافته، كما أبرزت مكانته العالمية وأقوال العلماء فيه.

وخصّصت **الفصل الأوّل**: للحديث عن منهج البصريين والكوفيين في جمع مفردات العربية، فوضّحنا في مبحثين طريقة كل مذهب في جمع اللغة، أمّا المبحث الثالث فتضمّن رأي الفارابي في القبائل التي أخذت عنها اللغة.

كما تطرّقت في **الفصل الثاني**: لملامح المنهج اللغوي عند الفارابي، وقسّمته إلى ثلاث مباحث:

أوّلهما: حول كيفية دراسة اللغة، و**ثانيهما** فكان لمنهجه الصّوتي والصّرفي، أمّا **ثالثهما**: فلمنهجه النّحوي والدّلالي.

في حين وسمت **الفصل الثالث**: بنقد وتقويم لمنهج الفارابي اللغوي في ضوء علم المنهج الحديث، وقسّمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث وهي:

أوّلهما: لتبيين اختلاط مستويات التّحليل عند القدماء، و**ثانيهما:** لتحديد الرّقعة الجغرافية للغة النّموذجية، أمّا **ثالثها**:فكان حول اللغة الشّفهية والمدوّنة، وأخيرا حول منهج الوصف ومبدأ الملاحظة والاستقراء.

وقد توج هذا البحث بخاتمة تضمّنت النّقاط التّي توصّل إليها البحث، وقد أملت عليّ طبيعة البحث استثمار ثلاثة مناهج مختلفة هي: التّاريخي ثمّ الوصفي فالتّحليلي فالمقارن، فممّا دعاني إلى إتّباع المنهج الأوّل كوني أشرت إلى بعض الفلاسفة واللغويين الذين عاشوا في فترات زمنية متعاقبة، واستندت على المنهج الوصفي في عرض الظواهر اللغوية كما هي عند الفارابي وبموضوعية تامّة.

وبما أنّني عرضت لمفاهيم الفارابي اللغوية في مجال الأصوات والصّرف والنّحو والدّلالة مقارنا تلك الظواهر بما استقرّ عند النّحاة واللغويين من قبل، وبما توصّل إليه المحدثون في حقل الدّراسات اللغوية، وذلك قصد حصر جهود الفلاسفة اللغوية بعامّة وجهود الفارابي بخاصّة مادّة ومنهجا.

وإذا كانت معالجة أفكار البحث وقضاياه تتمّ وفق رؤية علميّة محدّدة مسبقا يتبناها الباحث منذ الوهلة الأولى في عمله فإنّ بناءه لا يتمّ إلاّ وفق منهج يقتضيه البحث ذاته دون تدخل الباحث، فلذا فإنّ نمو الأفكار وتطورها وتموضعها في البحث كان بحسب ما يستدعيه البحث.

ويسلك بحثي ضمن البحوث التراثية التأصيلية، منطلقة دوما من المؤلفات القديمة للفارابي ومحاولة فهم آراءه اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث، فكانت المادّة العلمية التراثية بمثابة المدوّنة التي انطلقت منها.

وكانت عدّتي في إنجاز هذه المذكرة جملة من المصادر الأساسية **"ككتاب الحروف"** و**"إحصاء العلوم"** و**"الموسيقا الكبير"** للفارابي، فقد وجدت فيهما ضالتي لما تضمّنته من مباحث ومسائل لغوية ودلالية، **والكتاب** لسيبويه **والخصائص** لابن جني اللذين يمثّلان أوج العطاء العربي في هذا الميدان.

أمّا فيما يخصّ مراجع المحدثين فنذكر منها "**المفيد في المدارس النحوية**" إبراهيم السامرائي، "**مناهج البحث في اللغة**" تمام حسان، "**في قضايا فقه اللغة العربية**"، صالح سعيد، "**التفكير اللغوي بين القديم والحديث**" كمال بشر، "**علم اللغة العربية**" محمود فهمي حجازي، "**البحث اللغوي عند العرب**" أحمد عمر مختار وغيرها من المراجع التي استفاد منها البحث.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلاّ أن أسجّل عظيم شكري للأستاذ المشرف الدّكتور **المهدي بوروبة** على ما أولاني من رعاية صادقة وتوجيه سديد، كان لهما الأثر الكبير في بلوغ هذا البحث إلى ما بلغت إليه، كما أتقدّم بالشكر إلى كلّ من مد يد العون لي في إنجاز هذه المذكرة.

وفي الأخير، لا أدّعي أنّني بلغت كلّ ما سعيت إليه أو أقول أنّني أتيت بالجديد في هذا البحث المتواضع، بقدر ما أعتبره محاولة تعلّم قراءة ما جاء به أهل العلم بصفة عامة، ولهم في هذا كل الفضل آملة أن تكون مواطئ قدمي الأولى مواطئ سليمة، وموفقة في بداية رحلتي وحسبي من كلّ هذا أجر الاجتهاد والكمال لله في كل أمر، وهو وليّ التّوفيق.

تلمسان يوم: 10ذي القعدة 1434هـ الموافق ل: 17 سبتمبر2013

مدخل

حياة الفارابي وآثاره

1)- حياة الفارابي

عاش الفارابي في القرن الثالث الهجري، فهو الذي قدّم للحضارة الإسلامية والعربية في شكل منفرد وغير مسبوق علوم الموسيقا والفلسفة والمنطق وشروح أرسطو وعلوم اللغة، ويعرف في الغرب باسم الفارابيوس Alpharabuis موسوعي، فيلسوف وحكيم لقّب بفيلسوف الإسلام، ومؤسّس الفلسفة العربية.[1]

أ)- نشأته وثقافته:

"هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوْزلغ بن طرخان، مدينته فاراب، وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان"[2] ولد **" وأبصر النّور في قرية "وسيج" بالقرب من "فاراب " التّركية وراء نهر "سيحون" عام 260هـ - 873م، وقد اختلف الباحثون في نسبه، فذهب "ابن النديم" و"ابن اصيبعة" إلى أنه من أب فارسي وأم تركية، وذهب "القفطي" و"ابن خلكان" إلى أنّه من "فاراب" التّركية، ومن أبويين تركيين، وهو الرأي الأرجح"**[3]

أما أسرته فلم تذكر المراجع الشيء الكثير عنها ولا عن حياته الخاصّة، فقد ذكر أنّ أباه كان قائدا للجيش وهو فارسي المنسب، فلا نعرف شيئا عن والديه ولا عن زواجه، لكنّنا نخال أنّ أبا نصر ترعرع في أحضان أسرة ميسورة الحال، أعانته على التّحصيل الثقافي. كما نستخلص من كثرة تنقلاته والظّروف التّي أحاطت بحياته بأنّه عزف عن الزّواج، ووهب نفسه للعلم، فوضعه العائلي كان ليخوله أن يعيش حياة ترف، ولكنّه رفضها، ومال إلى العزلة والتّفكير.[4]

1- ينظر: زهير حميدان" أعلام الحضارة العربية الإسلامية " ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، د ط ، 1995 ، 421/2-422.

2- ابن أبي أصيبعة " عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط ، د ت ، ص 603.

3- عبده الحلو "الوافي في تاريخ الفلسفة العربية"، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص116.

4- ينظر: رمزي نجار "الفارسية العربية عبر التاريخ"، مطبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، ص85.

ولمّا أتيحت له الفرصة انقطع أبو نصر إلى مناهل المعرفة ، يغرف من معينها الأصيل بنهمٍ لا يعرف الارتواء، فاحتكّ بأشهر علماء عصره، حيث مال إلى الفلسفة فتلقى مبادئها على يد **أبي بشر متّى بن يونس**، الذّي كان النّاس يجتمعون في حلقته جماعات جماعات، ليشرح لهم منطق أرسطو.[1]

ولقد أخذ المنطق أيضا عن **يوحنا بن حيلان** الحكيم النصراني، وتناول جميع كتب أرسطو طاليس وبرع في استخراج معانيها للوقوف على أغراضه فيها.وروي عنه أنّه قال: **" قرأت السّماع الطبيعي لأرسطو طاليس الحكيم أربعين مرّة، وأرى أنّي محتاج إلى معاودة قراءته".**[2]

ولقد ذاعت شهرته،فأقبل طلاّب العلم على حلقته. وألّف كثيرا من الكتب ودانت له رئاسة المنطق والفلسفة **"حتى أنّه كان في اللّيل يسهر للمطالعة والتّصنيف، ويستضيء بالقنديل الذّي للحارس. وبقي كذلك مدّة، ثمّ إنّه عظم شأنه وظهر فضله، واشتهرت تصانيفه وكثر تلاميذه، وصار أوحد زمانه وعلاّمة وقته."**[3]

ولعلّنا نستشف من هذا أنّ أبا نصر ، كان يتمتّع باستعداد فطري، بما منح من ذاكرة قويّة وعقل مستوعب، ساعداه على استيعاب ذلك التراث الضّخم لأرسطو كما كان يتحلّى بصبر نادر على استمرار الاطلاع، والتهام ما يقرأ، لا يكلّ ولا يملّ من مذاكرة الكتب. فقد أوثر عنه **"أنّه كان يخرج إلى الحراس باللّيل من منزله يستضيء بمصابيحهم فيما يقرؤه"**[4].

1- ينظر: ابن خلكان "وفيات الأعيان"، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، دت، 153/5.
2- نفسه : ص154.
3- ابن أبي اصيبعة "عيون في طبقات الأطباء"، ص 603.
4- نفسه : ص604.

وبذلك ازدادت معارفه ونمت عقليته ، فاستوعب ثقافة عصره.

ويذكر أيضا أنّه اشتغل " **في أوّل أمره ناطوراً في بستان بدمشق وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنّظر فيها**".[1]

بالإضافة إلى أنّه لم يكن متطلّعا لا إلى جاه ولا إلى مال بالرّغم من المكانة التي كان يحظى بها لدى سيف الدّولة عليّ بن حمدان إلاّ أنّه لم يقبل منه سوى أربعة دراهم فضّة في اليوم ينفقها فيما يحتاجه من ضروري العيش.[2]

أمّا ثقافته في الشّعر العربيّ، فيبدو أنّ أبا نصر لم يكن ذا باع طويل في هذا المجال، لانشغاله بالحكمة والفلسفة والمنطق، فلم نعثر على مصادر ومراجع إلاّ بعض الأبيات حيث قال:[3]

" لَمَّـــا رَأيْـــتُ الزَّمَـــــانَ نُكْسًـــا* وَلَيْسَ فِي الصُّـــحْبَةِ اِنْتِفَـــــاعُ

كُـــلُّ رَئِـــيْسٍ بـــــهِ مِـــــلاَّلُ وَكُـــــلُّ رَأسٍ بـــــــهِ صُـــدَاعُ

لَـــزِمْتُ بَيْتِـــي وَصُـــنْتُ عِرضًـــا بِـــــهِ مِـــنَ العِـــزَّةِ اْقتِنَـــاعُ

أشْـــرَبُ مِمَّـــا اْقتَنَيْتُ رَاحَـــــا لَهَـــا عَلَـــى رَاحَـــتِيُ شُعَاعُ

لِـــــي مِنْ قوَارِيرَهَـــا نَدامَـــى وَمِنْ قرَاقِيرِهَـــــــا سَمَـــاعُ

وَاَجْتَنِـــــي مِنْ حَـــدِيثِ قَـــوْمٍ قدْ أقْفَـــــرَتْ مِنْهُمْ البقَـــــاعُ

1- ابن أبي اصيبعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، ص603.
2- نفسه : ص603-604.
3- نفسه: ص 607.

* **نكسا**: نكسته أنكسه نكساً: قلبته، ينظر الخليل بن أحمد الفراهيدي "كتاب العين"، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 313/5.

وقال أيضا:

أخِـــــــي خَـــلِّ حَيّــزَ ذِي بَاطِلْ وَكُـــنْ لِلْحَقَـــائِق فِي حَيّـــز

فمَـــــا الـَــــدّارُ دَارُ خُلُودٍ لَنَـــا وَلَا المَـــرْءُ فِي الأرض بالمُعْجِز

وَهَلْ نَـــحْنُ إلاَ خُطُـــوطٍ وَقعْـــنَ عَلَـــى كُرَةٍ وَقْـــعَ مُسْتَوْفِـــزِ*"

وإن كان له شعر آخر، فنحسب أنّه لا يرقى إلى مصافّ الشّعراء الكبار، وإنّما هو شعر العلماء الذي تغلب عليه الصّنعة.

ولا غرر أنّ البيئة التي احتضنت أبا نصر كان لها أبلغ الأثر في نبوغه العلمي وتفتّق مواهبه، فلقد أدرك عهدا انتعشت فيه اللغة العربية والحق إن جلّ هذه العوامل أثّرت في ثقافته وجعلته يتفوّق على أقرانه.

هذا ما استطعنا أن نظفر به في دائرة المعارف، ولعلّنا نضيف إلى هذه العوامل رحلاته وتنقلاته.

ب- رحلاته:

كانت الرّحلات وما زالت معينا من الخبرة لا ينضب. وقد اتّخذها البعض وسيلة لكسب قوتهم، أو نشر علمهم، وإفادة الطّلبة بما وهبهم الله من زاد ثقافي. ولجأ إليها البعض هروبا من الفتن والاضطرابات ، ينشدون السّكينة والاستقرار في بلد آخر.

* **مستوفز**: أي غير متمكن من الأرض، محمد بن أحمد الأزهري "تهذيب اللغة"، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001، 216/4.

وبعد أن روى ظمأه من العلم والمعرفة امتطى الفارابي سفينة الرّحلات، فكانت وجهته **بغداد، " لمّا دخل بغداد كان بها أبو بشر متّى بن يونس الحكيم المشهور، وهو شيخ كبير وكان يقرأ النّاس عليه فنّ المنطق، وله إذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية، ويجتمع في حلقته كلّ يوم المئون من المشتغلين بالمنطق، وهو يقرأ كتاب أرسطو طاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه، فكتب عنه في شرحه سبعون سفرا"** [1] وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أنّه أخذ صناعة المنطق عن يوحنّا بن حيلان ببغداد في أيّام المقتدر*.

كما أخذ صناعة النّحو على يد أبي بكر بن السراج [2] غير أنّ نفسه تاقت الترحال والخروج من بغداد بعد أن **"شبّت فتنة في مدينة السّلام لمّا دخلها الدّيلم، وسيطروا على الخلفاء فعزلوا وولوا، وقتلوا وشوهوا فغادرها نحو دمشق"**[3]، طلبا للسّكينة والوحدة فقد عاش مغمورا فقيرا ولقد كان **"ضعيف الحال ودائب الاشتغال بالحكمة والنّظر فيها والاطّلاع على آراء المتقدّمين وشرح معانيها ... يسهر للمطالعة والتّصنيف ويستضيء بالقنديل الذي للحارس "**[4]، كما يذكر أنّه **" نقلت من خطّ بعض المشايخ أنّ أبا نصر الفارابي سافر إلى مصر ، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، ورجع إلى دمشق "** [4]

1- ابن خلكان "وفيات الأعيان"، ص153-154.

* - **المقتدر بالله**: هو جعفر بن أحمد المعتضد بالله، يكنى أبا الفضل، أمير المؤمنين العباسي، بويع له بالخلافة وهو ابن ثلاث عشرة سنة، كانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة، توفي سنة ثلاثمائة وعشرين وله من العمر ثمان وثلاثون سنة. ينظر: ابن كثير "البداية والنهاية"، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1 1408هـ- 1988م، ص192-193.

2- ينظر : ابن أبي أصيبعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء " ، ص 605-606.

3- عبده الشمالي" دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها "، دار صادر، بيروت، ط 5 ، 1399هـ - 1979م، ص 225 .

4- ابن أبي أصيبعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، ص603

في حلب

ولقد لجأ إلى بلاد سيف الدّولة على بن حمدان في حلب، ملتقى رجال العلم والأدب فتبوأ في نفس الأمير الحمداني، وفي مجلس مناظراته أسمى منزلة، ولم ينغمس في حياة البلاط المترفة. ولم يقبل من صلات الأمير على وفرتها إلاّ أربعة دراهم فضّة في اليوم، ينفقها على نفسه ويكبّ على الدّرس والتّأليف زاهدا متقشّفا.[1]

جـ - أساتذته:

إنّ المنزلة التي تبوّأها أبو نصر الفارابي ، كان من ورائها دوافع أهّلته إلى ذلك. فمن حظ هذا العالم الكبير، أنّه تتلمذ على يد مشايخ كبار العلماء في عصره، ساهموا في تكوينه الفكري، وبنائه العقلي ومن أبرزهم:

1- أبو بشر متّى بن يونس: (ت 328 هـ / 940م)

" أبو بشر متّى بن يونس بن يونان من أهل ديرقني ممّن نشأ في أسكول مرماري. قرأ على قريري وعلى دوفيل وبنيامين وعلى أبي أحمد بن كرنيب وله تفسير من السرياني إلى العربي وإليه انتهت رياسة المنطقيين في عصره ".[2]

ويذكر ابن أبي أصيبعة أنّه **"كان نصرانيا وتوفي ببغداد يوم السّبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. ولمتّى من الكتب : مقالة في مقدّمات صدر بها كتاب أنالوطيقا، كتاب المقاييس الشّرطية، وشرح كتاب ايساغوجي لفرفوريوس"**[3]

1- عبده الشمالي" دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها "، ص227.
2- ابن النديم أبو الفرج محمد المعروف بالوراق" الفهرست " ، تحقيق رضا- تجدد- د ط ، د ت ، ص 322.
3- ابن أبي أصيبعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء " ، ص 317.

2- يوحنّا بن حيلان : (ت 320 هـ/ 932م)

ويذكر في التّاريخ أنّ أبا نصر قال عن نفسه أنّه تعلّم من يوحنّا بن حيلان إلى آخر كتاب البرهان. [1]

3- - ابن السراج : (ت316هـ/929م)

"هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج"[2] وهو أحد الأئمة البارزين والمشهورين في النّحو والآداب ، وقد أخذ الأدب عن أبي العباس المبرّد، وأخذ عنه جماعة من الأعيان منهم، أبو سعيد السّيرافي وعليّ بن عيسى الرّماني وغيرهما. من مؤلّفاته المشهورة في النّحو كتاب "الأصول" وكتاب "جمل الأصول" وكتاب " الاشتقاق"

توفي أبو بكر يوم الأحد لثلاث ليال من ذي الحجّة سنة ستّ عشرة وثلاثمائة رحمه الله تعالى.[3]

د- تلاميذه:

تصدّر الفارابي للتّدريس في وقت مبكر ، بعد أن قضى مرحلة الأخذ والتّحصيل، واستقلّ عن شيوخه ليدير حلقة العلم والعطاء ولقد استقطب بسعة علمه جمعا كبيرا من الطّلاب نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر.

1- ابن أبي أصيبعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء " ،ص605.
2- ابن خلكان "وفيات الأعيان " ، 339/4
3- نفسه : 339-340 .

1- يحي بن عدي : (893م-974)

"هو أبو زكريا يحيى بن حميد بن زكريا المنطقي، وإليه انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكيمة في وقته قرأ على أبي بشر متّى، وعلى أبي نصر الفارابي".[1]

كان يعقوبي المذهب، أحسن عدّة لغات، كاليونانية والعربية والسّريانية ،راجع العديد من التّرجمات السّابقة، وأصلح نقصها وأضاف إليها. من مؤلفاته : كتاب " القوانين" ، وكتاب" طيماوس" وله مقالة مشهورة " في صحة اعتقاد النصارى" ، وأخرى " في الردّ على النسطورية".[2]

2-ابن سينا :(370 هـ - 428 هـ)

" ولد سنة 370 هـ (980م) في قرية " أفشنة" بالقرب من " بخارى" ونشأ على المذهب الإسماعيلي" [3]

ابتدأ بتحصيل العلوم الدّينية فالفلسفية في وقت مبكر ، ثم أضاف إليها العلوم الطبية حتى أنّه زاول الشّفاء وهو لم يتجاوز السّادسة عشرة من عمره وكانت وفاته سنة 428 هـ (1037م) . وأهمّ مؤلفاته: كتاب " الشّفاء"، كتاب " الإشارات والتّنبيهات". كتاب " القانون في الطب" [4]

هـ/ عصره:

عاش الفارابي عصرا اتّسم بالانقسام الفكري والثقافي والسّياسي، وهو عصر الدّولة العباسية الثّانيةحيث أنّ الفرس استبدّوا بشؤون الدّولـــــــة، وصبغوا

1- ابن أبي أصيبعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء " ، ص 318.
2- ينظر: عبده الحلو " الوافي في تاريخ الفلسفة العربية "، ص 105.
3- نفسه : ص 194
4- ينظر نفسه : ص 195 .

الحضارة الإسلامية بصبغتهم، وظهرت أحقادهم في الثورات المختلفة بأطراف الدّولة، واستئثار الوزراء الفرس بشؤون الملك. حتى أصبح الخليفة العباسي لا حول له ولا قوة وتقهقرت السّلطة المركزية في بغداد. [1]

فهذه الصّراعات السّياسية كان لها أثر فعّال على فكر الفارابي وفلسفته، وازداد التّفكير نضجا ودائرة التّرجمات عمقا واتّساعا، وانتشرت الألفاظ المستحدثة والمصطلحات العلمية والفلسفية في الشّعر والنثر، واصطبغ الأدب بألوان الفلسفة والمنطق والعلوم.[2]

هذا التّميز الكبير لهذا العصر، كان له أثره الكبير في أن يكون الفارابي عالما مبدعا في شتّى العلوم.

و/ علومه:

وكانت له معرفة بعلوم عديدة " **فكان له معرفة بالرياضيات، واطّلاع على الطــب، وإن لم يتّخذه مهنة ولا حاول معرفة جزئياته ، ونبغ في الفلسفة والمنطق والسّياسات وما فاتته معرفة الكيمياء، والعلوم العسكرية، والهيئة والطبيعيات والعلوم والفقه وسواها. وتمتّع بشهرة واسعة في الموسيقى وترك كتابا ممتعا في علم الموسيقى**".[3]

كما أنّه " **كان رحمه الله فيلسوفا كاملا وإماما فاضلا، قد أتقن العلوم الحكمية، وبرع في العلوم الرّياضية... يسير سيرة الفلاسفة المتقدّمين. وكانت له قوّة في صناعة الطب، وعلم بالأمور الكلية منها**".[4]

1- ينظر: زينب عفيفي "الفلسفة الطبيعية والإلهية عند الفارابي " ، تصدير عاطف العراقي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1 ، 2003 م، ص 32 .
2- ينظر :عبده الشمالي "دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها " ، ص 203 .
3- نفسه : ص228.
4- ابن أبي أصيبعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، ص603

والثّابت أيضا أنّه يعرف عدّة لغات فهو "**يعرف اللّسان التّركي وعدّة لغات غير العربي، فشرع في اللّسان العربي فتعلّمه وأتقنه غاية الإتقان، ثم اشتغل بعلوم الحكمة**"[1].

ز/ صفاته ومحيطه:

كان الفارابي مسلما زاهدا في الدنيا، قانعا منها بكفاف حاجته محبّا للإنفراد شديد التّأمل في غير ذهول ميّالا إلى التّفكير والهدوء منقطعا إلى الشرح والاستدراك، منصرفا إلى الدّرس والتّأليف فقد كان " **زكي النّفس، قويّ الذّكاء، متجنّبا عن الدنيا، مقتنعا منها بما يقوم بأوده، يسير سيرة الفلاسفة المتقدّمين**".[2]

ولقد كان غير مكترث للزّينة الخارجية، مهملا ثيابه، معتنيا بتهذيب عقله، لا منزل له ولا مكسب " **وقد كان أزهد النّاس في الدّنيا لا يحفل بأمر مكسب ولا مسكن**" [3]

ومن صفاته البارزة التباث والمواظبة على الدّرس والمراجعة. اطّلع على التّرجمات الفلسفية والتّأليف التّي كثرت في عصره وخاصّة مصنّفات الكندي ودرسها وتعمّق فيها فأثّرت فيه.

ولقد قضى الشّطر الأخير من حياته على هذه الحال من الزّهد والجهاد العلميّ و " **كان أكثر تصانيفه في الرّقاع، ولم يصنّف في الكراريس إلا القليل ، فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولا وتعاليق، ويوجد بعضها مبثورا**"[3]

1- ابن خلكان "وفيات الأعيان " ، ص 153
2- بن أبي أصيبعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء " ، ص 603 .
3- ابن خلكان" وفيات الأعيان " ، ص 156 .

ح/ وفاتـــــه:

استقرّ في يقيننا أنّ معظم المصادر أجمعت على أنّ أبا نصر قضى نحبه سنة 339 هـ وفي ذلك يقول ابن أبي أصيبعة أنّه " **توفي عند سيف الدّولة بن حمدان في رجب سنة تسع وثلاثين و ثلاثمائة** " [1]

وقد توفي في دمشق وصلّى عليه سيف الدّولة في أربعة من خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ، ودفن بظاهر دمشق خارج باب الصغير ، رحمه الله تعالى. [2]

أمّا عن سبب وفاته فلم يُذكر أي شيء.

2)- آثار الفارابي ومكانته:

يعتبر الفارابي من أغرز فلاسفة الإسلام إنتاجا وأكثرهم تنوّعا، فكتب في الفلسفة والرّياضيات والتّنجيم والكيمياء والعرافة والموسيقا وغيرهما من العلوم والفنون إضافة إلى شروحه المتعدّدة على مصنفات المعلّم الأوّل أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان، فشرح جميع الكتب التي يتألّف منها المنطق بأوسع معانيه. وقد اشتهر أبو نصر بصفة خاصّة بشروحه على مؤلّفات أرسطو التي أكسبته لقب المعلّم الثاني[3].

1- ابن أبي أصيبعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء " ، ص 605 .
2- ينظر: ابن خلكان "وفيات الأعيان " ، ص 155
3- زينب عفيفي "الفلسفة الطبيعية والإلهية عند الفارابي " ، ص 38 .

أ/ آثاره:

أمّا بالنّسبة لثبوت مؤلّفاته في كتب الأصول . فقد وقفنا حائرين أمام مسألة غامضة إلى حدّ ما ، وهي خاصة بما وجدناه في بعض هذه الكتب من قلة عددها ، خاصة عند بعض المؤرخين الذين عاصروا الفارابي " كابن النديم ت 385 هـ" الذي أورد في كتابه" الفهرست" سبع مؤلفات فقط للفارابي. أمّا " صاعد الأندلسي ت 462 هـ" فقد أورد في كتابه " طبقات الأمم" أربعة منها فقط. بينما نجد إسهاب في ذكر عدد هذه المؤلفات عند أصحاب كتب أصول المتأخرين " كالقفطي" مثلا الذي أورد ما يبلغ الأربعة والسبعون كتابا" في مؤلفه " تاريخ الحكماء و" ابن أبي أصيبعة" الذي أورد مائة وثلاثة عشر كتابا في مؤلفه " عيون الأنباء في طبقات الأطباء. [1]

أشهر مؤلّفاته المطبوعة:

1- في الطب: الذي درسه نظريا ولم يمارسه عمليا.

رسالة في صناعة الطب.

" طبع المتن العربي لهذه الرّسالة مع ترجمة تركية للدكتورسهيل أنورسنة1938في تركيا

2- في فنّ الشّعر والخطابة: له حوالي ثلاث مؤلفات.

1- زينب عفيفي "الفلسفة الطبيعية والإلهية عند الفارابي " ، ص 38 .
2- أحمد شمس الدين" الأعلام من الفلاسفة " ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ،1411 هـ - 1990 م ، ص 65 .

رسالة في قوانين صناعة الشعر:

هي تلخيص لكتاب فنّ الشّعر لأرسطو، طبع المتن العربي لهذه الرّسالة وأرفقه بترجمة انكليزية عام 1938 كما طبعت طبعات أخرى في القاهرة سنة 1953 م وفي بيروت سنة 1959 و 1973 م.[1]

كتاب الشّعر:

طبع المتن العربي الدّكتور محسن مهدي مع مقدّمة وحواش وذلك في مجلة " شعر" – المجلّد الثالث- بيروت 1959 ص 90-95. [1]

كتاب الخطابة:

طبع المتن العربي لهذا الكتاب مع ترجمته الفرنسية في بيروت عام 1980م[1].

3- في الموسيقا:

له كتاب مشهور نال إعجاب العرب والعجم وهو :

كتاب الموسيقا الكبير :

صنّفه للوزير أبي جعفر محمّد بن القاسم الكرخي، والظّاهر أنّ هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من كتب الفارابي الموسيقية ولقد وُجدت منه ثلاث نسخ، حقّقه وشرحه غطّاس عبد الملك خشبة – وراجعه الدّكتور محمد أمين الحنفي، ونشرته دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بمصر ، وترجمه إلى الفرنسية ونشره (دولانجيه) في باريس عام 1930 م . [2]

1- أحمد شمس الدين" الأعلام من الفلاسفة " ، ص 50 .
2- ينظر: زهير حميدان "أعلام الحضارة العربية الإسلامية " ، ص 428-430 .

4- في المنطق:

شرح العبارة لأرسطو طاليس:

طبع هذا الكتاب سنة 1960 ،وهو شرح قيّم، بيّن فيه الفارابي غرض أرسطو طاليس في هذا الكتاب. [1]

كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق.

" طبعه الدّكتور محسن مهدي في بيروت عام 1968، وأرفقه بمقدّمة وحواش"[1]

كتاب القياس الصّغير أنا لوطيقا الأولى لأرسطو طاليس:

أعدّت المتن العربي الدّكتورة توركركويل مع ترجمة تركية وطبعته في أنقرة عام 1958 .وللكتاب ترجمان أخرى عبرية وترجمة انكليزية أشار عليهما شتاينشنايدر . [1]

شرح كتاب المقولات لأرسطو.

طبع دانلوب المتن العربي والتّرجمة الإنكليزية لهذا الشرح عام 1958 – 1959 . ولهذا المؤلف ترجمان أخريان باللغة العبرية والتركية. [1]

فصول يحتاج إليها في صناعة المنطق:

طبع دانلوب المتن العربي لهذه الرّسالة وأرفقه بترجمة إنكليزية عام 1955، وله ترجمة أخرى بالعبرية أشار إليه بروكلمان عن شتايشنايدر.[1]

1- ينظر: أحمد شمس الدين "الأعلام من الفلاسفة " ، ص 48 – 49 .

5/- في العلـــــوم:

كتاب احصاء العلوم وترتيبها والتّعريف بأغراضها:

كتاب رائع أعجب به العرب والعجم ورجّحوا أنّه أوّل تأليف من نوعه في اللغة العربية قال فيه القاضي أبو القاسم الأندلسي : " **للفارابي كتاب شريف في إحصاء العلوم والتّعريف بأغراضها لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه**".
ومن الأوربيين الذين مدحوا هذا الكتاب، وغالوا في مدحه بروكمان كازيري والكتاب صغير الحجم ومؤلّف من خمسة فصول:

- الفصل الأوّل: في علم اللّسان وأجزائه.
- الفصل الثاني: في علم المنطق وأجزائه.
- الفصل الثالث: في علم التّعاليم.
- الفصل الرّابع: في العلم الطبيعي والعلم الإلهي.
- الفصل الخامس: في العلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام. [1]

كتاب الحروف.

كتاب لغوي بالدّرجة الأولى وذلك لتناوله للعديد من المسائل اللغوية بالإضافة إلى أنّ الفارابي ألّف هذا الكتاب لحلّ مشكلات أرسطو الإلهية، وبيّن في بدء رسالته هذه ألفاظ المصطلحات ثم أرسل كلامه حول المقولات، وقد تحدث أيضا في هذا الكتاب على أصل الكلام في موجودات اللغات وارتباطها وتطابقهـــا

1- عبده الشمالي "دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها " ، ص 239- 240 .

أو اختلافها في بناء الأعضاء الصّوتية. طبع هذا الكتاب في بيروت عام 1969 بمقدمة وحواش للدّكتور محسن مهدي. [1]

6/ في الفلسفة:

كتاب الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو :

يقصد بالحكيمين أفلاطون وأرسطو . ولقد عيّن الفارابي المسائل التي عدّها الباحثون في كتبهما موضوع خلاف بينهما وأعلن عزمه على الجمع بين رأييهما فيها. والطبعة الأولى أصدرها ديتريسي في لندن سنة 1890، وأحدث طبعة أصدرتها المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة 1959 بإشراف الدّكتور ألبير نادر.[2]

مقالة أو رسالة في معاني العقل.

يسعى الفارابي في هذه الرسالة إلى شرح وتحديد العقل وأنواعه فيستعرض ستّة أنواع من العقول. وقد نشر روزنستاين هذه الرّسالة لأوّل مرّة سنة 1858. ونشر ديتريشي المتن العربي لهذا الكتاب في لندن سنة 1890 . [3]

كتاب التّعليقات (تعليقات الحكمة).

طبع هذا الكتاب مرّتين في حيدر آباد ضمن آثار الفارابي المرّة الأولى عام 1927 ، والثانية عام 1931 ، ويحتوي هذا الكتاب على تسعين تعليقة. [4]

1- أحمد شمس الدين " الأعلام من الفلاسفة " ، ص 52 – 53 .
2- ينظر: عبده الشمالي" دراسات في تاريخ الفلسفة وآثار رجالها " ، ص 239 – 242 .
3- ينظر: احمد شمس الدين" الأعلام من الفلاسفة "، ص 53 -54 .
4- نفسه : ص 56 .

عيون المسائل:

كتاب مختصر يحتوي على مقدّمة وعدد من المباحث الطّبيعية وأكثر مباحث العلم الإلهي. ولهذا الكتاب طبعات عديدة، نشره ديتريشي في "الثمرة المرضية" عام 1890 . وأعيد طبعه في ليدن عامي 1895 -1925 . وطبع في القاهرة مرتين عام 1907 وعام 1910 . [1]

رسالة الفصوص في الحكمة أو فصول الحكمة :

" طبع في اسطنبول عام 1291، ثمّ في القاهرة عام 1335 هـ . مع كتاب " هيا كل النّور للسّهر وردي" وطبع عام 1345 هـ في حيدر آباد". [2]

كتاب تحصيل السعادة.

حقّقه وعلّق عليه جعفر آل ياسين، وطبع في حيدر آباد عام 1345 م وصدر عن دار الرّسالة في بيروت عام 1983 . [3]

التّنبيه على سبيل السعادة:

" حقّقه جعفر آل ياسين، وصدر في بيروت عام 1984 ، وكان قد طبع في حيدر آباد عام 1345 هـ " [3]

المسائل الفلسفية والأجوبة عنها:

يحتوي هذا الكتاب على اثنين و أربعين مسألة سئل عنها الفارابي وأجاب عنها باختصار، ولقد طبع هذا الكتاب في لندن عام 1890 ضمن مجموعة ديتريشي " الثمرة المرضية" وطبع أيضا عدّة طبعات أخرى . [4]

1- ينظر: أحمد شمس الدين" الأعلام من الفلاسفة " ، ص 56 -57 .
2- زهير حميدان "أعلام الحضارة العربية الإسلامية " ، ص 432 .
3- ينظر نفسه : ص 436.
4- ينظر: أحمد شمس الدين "الأعلام من الفلاسفة " ، ص 61 .

7)- في الفلسفة والأخلاق والمجتمع والسّياسة وفنون أخرى .

- كتاب مبادئ أهل المدينة الفاضلة:

يشتمل هذا الكتاب على مذهبه الفلسفي وما يتعلق في الإلهيات والنّفس الإنسانية والأخلاق والسّياسة والمجتمع ونظام الحكم الأمثل حقّقه " ديتريشي" ونشره بعناية في ليدن عام 1890 1892 .[1]

- كتاب المدينة الفاضلة .

ألّف الفارابي هذا الكتاب في بغداد سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وتمّمه بدمشق في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، ثم جعل له فصولا تدلّ على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر في سنة سبع وثلاثين . وهي ستّة فصول .[2]

8)- في الطّبيعيات والنّجوم والكيمياء والرّياضيات:

- نكت فيما يصحّ و فيما لا يصحّ من أحكام النّجوم:

" راوي هذه الرّسالة هو إبراهيم بن عبد الله البغدادي أحد فضلاء القرن الرّابع الهجري، والعالم الرّياضي الذي تباحث مع الفارابي في باب صحّة أحكام النّجوم... وضع الفارابي في هذه الرّسالة ثلاثين أصلا ... طبعت في لندن سنة 1890 ضمن كتاب ديتريشي " الثمرة المرضية" وطبعت في القاهرة 1908 ضمن " المجموع للمعلم الثاني" .[3]

1- زهير حميدان "أعلام الحضارة العربية الإسلامية "، ص 430-431 .
2- ينظر: ابن أصيبعة " عيون الأنباء في طبقات الأطباء "، ص 608
3- أحمد شمس الدين" الأعلام من الفلاسفة " ، ص 63 - 64 .

مقالة في وجوب صناعة الكيمياء.

" نشر الدّكتور ايدين صايلي المتن العربي المنقّح لهذه الرّسالة في أنقرة سنة 1951 ، وأرفقه بترجمة تركية كما ترجمها ويد مان إلى اللغة الألمانية. [1]

شرح المستغلق في مصادرات المقالة الأولى والخامسة من إقليدس.

" ترجمه روزنفلد إلى الرّوسية، وطبع ضمن آثار الفارابي الرّياضية عام 1972. وذكر شتاينشنايدر ترجمة عبرية للكتاب قام بها موسى بن تبون" [2]

في بيان تساوي الزّوايا الثلاث للمثلث القائمتين.

" طبع المتن العربي لهذه الرّسالة في طهران ضمن كتاب الكشكول للشيخ بهاء الدّين العاملي" [2]

وهكذا يتراءى لنا ، بعد سردنا لمؤلفات الفارابي ، أنّه جمع في الكتابة بين الفلسفة والمنطق وفنون عدّة وعلوم لغويّة، وهذا راجع إلى ثقافته الكبيرة وعلمه الواسع.

ولقد اكتست مؤلّفات الفارابي أهمية قصوى لثراء موضوعاتها وقيمة محتوياتها العالية ، لذلك لاحظنا أنّ من مصنّفاته ما عني به اللغويون والفلاسفة وتعهدوه بالشرح والتحليل .

ويبقى الكثير منها يحتاج إلى من يزيح الغبار عن كتبه الموزّعة هنا وهناك حتى يكون الوفاء بحق لجهوده العظيمة.

1- أحمد شمس الدين" الأعلام من الفلاسفة "، ص 64 .
2- نفسه : ص 65 .

ب- مكانته:

يتمتّع الفارابي أبو نصر بمنزلة عالية بسبب علمه الفذّ وإنتاجه الغزير، وقد اعتبر مؤسّسا للفلسفة العربيّة المنظّمة. وأمّا عن منزلته فيكفي أن نعرف مبلغ اهتمام رجال الفكر بكتبه في كلّ عصر فقد قال مسيينون في الفارابي إنّه " **أوّل مفكّر مسلم كان فيلسوفا"** ولقّبه ابن خلّكان " **بأكبر فلاسفة المسلمين، لم يكن فيه من بلغ رتبته في فنونه ، والرئيس ابن سينا بكتبه تخرّج وبكلامه انتفع في تصانيفه"** وقال ابن صاعد الأندلسي " **إنّه فيلسوف المسلمين بالحقيقة"** وأعلنه ديتريسي " **مؤسسا للفلسفة الإسلامية"** وأجمع دارسوه على أنّه استحقّ هذه الألقاب. [1]

ورغم شهرته كفيلسوف، فلقد كان له الأثر الكبير والمساهمة العظمى في مجالات علمية أخرى كالعلوم الطبيعية والفيزيائية والكيمياء والفلك والرّياضيات والموسيقا واللغة، ولقد كانت استقلاليته كمثقف مدعّمة بذكاء راجح وذاكرة فائقة جعلته يتفوّق منذ صغره حتّى على كبار العلماء في عصره.

و يمكننا القول إنّ الفارابي أحد العلماء الذّين تعاملوا مع اللغة، فقد حاول دراستها ومعرفة أسرارها ومعانيها ودلالتها العميقة، فكانت أعماله تنمّ عن أصالة في التّفكير اللغوي عند العرب. فما هي طبيعة وملامح منهجه اللغوي؟

1- ينظر: عبده الشمالي "دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها " ، ص 228 .

الفصل الأول

طريقة نحاة العرب في جمع مفردات العربية وتراكيبها

اهتمّ أهل البصرة والكوفة من بين كلّ الأمصار العربيّة النّاطقة بالضّاد بنقل اللغة وتأسيس علوم اللغة العربيّة ، فكانوا أصحاب الصّناعة والسّبق لهذا العلم كما قال السّيوطي:"**والذي نقل اللّغة واللسان العربيّ عن هؤلاء وأثبتها في كتاب ، وصيّرها علما وصناعة ، هم أهل الكوفة والبصرة فقط ، من بين أمصار العرب**"[1]

ولما وقع تراث العرب في مدينتي البصرة والكوفة، حدث بينهما ذلك التّنازع والتّنافس، إلّا أنّ ما وقع لدى الكوفيين كان طريقا بالقياس إلى ما وصل إلى البصريين .[2]

ولقد كان لكلّ من البصرة والكوفة طريقتها ومنهجها في جمع اللغة . وعليه سنتطرق في هذا الفصل إلى :

المبحث الأول : منهج البصريين .

المبحث الثاني : منهج الكوفيين .

المبحث الثالث: رأي الفارابي في القبائل التي أخذت عنها اللغة .

1- جلال الدين السيوطي ، " الاقتراح في علم أصول النحو " ، تحقيق أحمد محمد قاسم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط 1 ، 1396هـ -1976 م.

2- نجيب محمد البهيتي ، " تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري " ، دار الفكر ، ط 4 ، 1970 ، ص 205 .

المبحث الأول : منهج البصريين .

كان للبصرة فضل صناعة النّحو، وهذا ما أجمع عليه علماء العرب الأوائل، وفيها كانت نشأته وإليها ينسب اثنان من أنبغ أئمة النّحو وكفاها فخرا، "الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، وسيبويه (ت180هـ) يقول ابن النّديم (ت385هـ):" **إنّما قدّمنا البصريين أوّلا، لأنّ علم العربيّة عنهم أخذ ولأنّ البصرة أقدم من الكوفة**".[1]

1- البصرة :

البصرة مدينة على الشطّ الغربيّ من النّهر المتكوّن من التقاء الفرات ودجلة ، والبصرتان تطلق على البصرة والكوفة [2]. وهما العراقان [3] ، وجمعهما بصار.

وتقع البصرة على طرق البادية بالقرب من بوادي نجد والبحرين ، يتوافد إليها الأعراب من قلب الجزيرة العربيّة لتعليم اللغة العربية للبصريين ، لذلك تميّزت لغتها بالسّلامة والفصاحة التي عرفت في لغة البادية .[4]

تأسّست البصرة في السّنة السّابعة عشر بعد هجرة النبيّ صلّى الله عليه وسلم (17 هـ) الموافق للسّنة الثامنة والثلاثين وستمائة (638 م) ميلادية ، وكانت في عهد العباسيـــــن أزهى عصورها ، ثم مركزا حضاريا وعاصمة من عواصم الإسلام ، ومهدا للدّرس اللغوي، لذلك تنسب إليها المدرسة النّحوية البصريّة .[5]

1- ابن النديم "الفهرست"" ، ص 05.
2- ياقوت الحموي " معجم البلدان " ، دار صادر ، بيروت ، دت ، 430/1 .
3- "أحمد أمين فجر الإسلام " ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1975، ص 180 .
4- أحمد جميل شامي " النحو العربي قضاياه ومراحل تطوره ، " ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، ط 1 ، 1418 هـ - 1997 م ، ص 154 .
5- صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، طبعة 1995 ، ص 147.

وقال " ابن سلام الجمحي " فيها " **كان لأهل البصرة في العربية قدمة ، وبالنّحو ولغات العرب والغريب عناية** " [1] وهذا دليل على سبقها على جميع الأمصار في مجال الدّرس النّحوي والبحث اللغوي ، حيث وضعت أولى قواعد اللغة قياسا على الغالب المتواتر ، وتميز منهجها بالشدّة والصّرامة . [2]

وهي ملتقى حضارات الأمم القديمة جميعها ، وفيها كذلك ما يدلّ على حياة الرّفاهية والبذخ واللّهو ، ومعالم الحضارة . [3]

ومن الأسباب التّي جعلت من البصرة مركزا لحياة ثقافية واقتصادية وسياسية وقوعها على ممرّ عدّة طرق تجارية نشيطة كما أنّها لم تكن في عزلة عن الأعاجم والموالي الذّين توافدوا على الحواضر بعد الإسلام فقد جاء " عبد الله ابن زياد " بألفين (2000) من الأتراك أسرى وأسكنهم البصرة . [4]

وهذا ما أدّى إلى ظهور اللّحن بين العام والخاص ، وكان لزاما على الولاّة والأمراء أن يسعوا بعلاج سريع لحماية اللغة وصيانتها ، ومن ذلك الانشغال بالدّرس النّحوي والتّقعيد للغة العربيّة . [5]

1- ابن سلام الجمحي " طبقات الشعراء " ، إعداد اللجنة العلمية لنشر الثرات العربي، دار االنهضة العربية، بيروت، دط، دت، ص 05 .
2- ينظر: صالح بلعيد "في قضايا فقه اللغة العربية" ، ص 147 .
3- نجيب محمد البهيتي " تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري " ، ص 205 .
4- عبد العال سالم مكرم " القرآن وأثره في الدراسات النحوية "، دار المعارف ، مصر ، طبعة 1384هـ / 1965 م ن ص 87.
5- نفسه : ص 88 .

2- أشهر أعلام البصرة :

من أشهر أعلامها : أبو الأسود الدّؤلي (ت 69 هـ) [1] ، عبد الله بن أبي إسحاق الخضرمي (117هـ) [2] ، عيسى بن عمر الثقفي (ت 149 هـ) [3] ، أبو عمر بن العلاء (ت 154 هـ) [4] ، يونس بن حبيب (ت 182 هـ) [5] ، سيبويه (ت 180 هـ) [6] .

3- السّماع عند البصريين :

اهتمّ البصريون كثيرا بالسّماع والدقة فيه ، فالسّماع هو كلّ ما ثبت في كلام العرب ممّن يوثق بفصاحتهم ، ويؤخذ ذلك بشروط منها : أن يكون الكلام العربي المنقول صحيحا موثوقا ، وإذا تحقّق هذا الشّرط كان هذا الكلام حجّة داحضة ودليلا قاطعا فاصلا في المسائل التّي يختلف فيها النّحاة واللغويون . [7]

وهذا يوضّح مدى حرص علماء البصرة على صحّة السّند في مادّة السّماع وثقته إلى جانب صحّة الكلام وفصاحته .

1- أبو الطيب اللغوي "مراتب النحويين " ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط 1 ، 1423 هـ - 2002 م، ص 22 .
2- ابن سلام الجمحي " طبقات الشعراء " ، ص 09 .
3- ابن الأنباري " نزهة الألباء " تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 1424 هـ - 2003م ، ص 29
4- سيبويه "الكتاب " ،تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1969،1،1/ 197 .
5- نفسه : 5/ 524 .
6- نفسه : 1/ 5 .
7- ينظر: فخر الدين قباوة "ابن عصفور والتصريف " ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 1421 هـ - 2000 م ، ص 122 .

4- مراحل السماع اللغوي ومصادره :

أ- الحاجة إلى الاحتجاج :

إنّ لغة السّماع ممثلة في كلام العرب الدّي وقع عليه الاتّفاق أنّ العرب استعملته ، وجمعه العلماء وعدّوه مادّة يحتجّون بها في علومهم ، والمقصود بالاحتجاج هنا : " **إثبات صحّة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب ، بدليل نقلي ، صحّ سنده إلى عربيّ فصيح سليم السّليقة ....**" [1]

ب- فصحاء الأعراب:

من الأعراب الفصحاء الدّين أخذ عنهم اللسان العربي ، وبفضلهم تمكّن جمّاع اللغة من الحصول على العربيّة الفصيحة من أفواه الأصول ، ويذكرهم ابن النديم (ت 385 هـ) في " الفهرست " [2] وهم :

- أبو البيداء الرّياحي ، شاعر نزل بالبصرة ، وكانت تؤخذ عنه اللغة .
- أبو مالك عمرو بن كركرة كان يعلم في البادية وكان أبو البيداء زوج أمّه .
- أفار بن لقيط ، كان يجلس على مكان مرتفع فيلتفّ النّاس من حوله ليأخذ عنه اللغة .
- أبو زياد الكلابي من فصحاء بني عامر نزل بغداد .
- أبو سوار الغنوي ، أخذ عنه أبو عبيدة أحد أفصح قومه .
- أبو الجاموس ، أستاذ عبد الله ابن المقفع (106- 142 هـ) في الفصاحة .

1- سعيد الأفغاني "من تاريخ النحو " ، دار الفكر ، بيروت ، د ت ، ص 17 .
2- ينظر: ابن النديم " الفهرست " ، ص 49 -54 .

- أبو خيرة نهشل بن يزيد الأعرابي ، أشهر الأعراب فصاحة ، ذائع الصّيت عند النّحاة ، وقد نزل حاضرة الحيرة صاحب كتاب الحشرات .

- أبو محلم الشيباني ، وأكثر من تردّد على هذا الأعرابي هو المبرد .

- البهدلي ، وهو حجة الأصمعي في اللغة .

ولقد لقي جمع الألفاظ والمفردات ودراستها عناية جيل من أئمة اللغة وأهلها ، فتوجّهوا إلى البوادي ، وعملوا على مشافهة الأعراب ، ودوّنوا ما تلقاه سمعهم من مفردات ، وجمعوها في رسائل ، موادها ألفاظ تدلّ على خلق الإنسان ، والخيل والمطر والنّبات والشّجر والمنزل والأضداد والنوادر والغرائب والمترادفات وغيرها . [1]

فكانت تلك بداية تأسيس المعاجم اللغوية التي نعرفها ، واصطلح العلماء على أمثالهم ممّن ألّفوا هذه المعاجم التي تدرس المفردات ودلالاتها " لغويين " واصطلحوا على العلم الذي اشتغلوا به : علم اللغة . [2]

ومن أشهر أولئك الدّين اهتموا بجمع الألفاظ وروايتها وبفضلهم ، ولولا جهودهم ما كانت لتصل على النّحو الدّي بين أيدينا ، هم " أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري "(ت 215 هـ)، و" أبو عبيدة معمر بن المثنى القرشي " (ت 210 هـ) و " أبو سعيد عبد المالك بن قريب الأصمعي "(ت 216 هـ) وكانوا رواة ثقات . [3]

1- ينظر: محمود سليمان ياقوت "مصادر التراث النحوي " ، دار المعرفة الجامعية ، السويس ، مصر ، طبعة 2003 ، ص 15 .
2- ينظر : نفسه ، ص 16 .
3- أبوالطيب اللغوي " مراتب النحويين " ، ص 53 .

والذّين سمعت عنهم اللغة واعتمد عليهم جماع اللغة في استقراء المادّة اللغوية هم سكّان البوادي كالحجاز ونجد وتهامة ، وقد اعترف " الخليل " أنّه قد اعتمد على هذه البوادي في أخذ اللغة الفصيحة ولم يدع قبيلة في أرض الشمال إلاّ أخذ عنها . [1]

ج- مراحل السّماع :

يمكن الحديث هنا عن مرحلتين متقدّمتين من مراحل السّماع [2] .

المرحلة الأولى : تتمثل في الأخذ عن الأعراب في بواديهم بواسطة العلماء الذين كانوا يتردّدون عليهم هناك ، ويقيمون عندهم ما أمكن ، فيحلبون في إنائهم ، ويخالطونهم في المأكل والمشرب والمنام ، ويسمعون عنهم الكلام بطرق شتّى ، فيدوّنون ما يستسيغونه منه أو يحفظونه [2] ولا هم لهم من عيش البادية سوى " **نقل ما يسمعون من العرب مشافهة إلى التّقييد بالكتابة ، فأكثر اللغة كتبت في العصر العبّاسي الأوّل لا قبله** " . [3]

المرحلة الثانية : تتمثل في رحلة الأعراب وفصحائهم إلى البصرة والكوفة وغيرها من الأمصار ، بعد السّفر إليهم ، مع العلم أنّ لهجاتهم حين سفرهم كانت سليمة لم تشبها شوائب بعد ، لقربها من المنبع اللغوي الصافي البعيد عن مخالطة الأعاجم ، هذه المخالطة التي – إن طالت – تؤدي حتما إلى فساد السّليقة اللغوية ، وإن هي دفعت باللغة إلى التّطور والتّغير فإنّها ستجعلها مزيجا من اللهجات المتعدّدة ، وقد كان غرض هؤلاء الأعراب من الوفود على الحواضر إمّا طلبا للرّزق ، وإمّا طلبا للعلم . [4]

1- الأنباري " نزهة الألباء " ، ص 59 .
2- مرتاض عبد الجليل " الفوارق النحوية بين اللهات العربية الفصيحة " ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف السيد شكري الخلوي ، معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر ، 9/ 12/ 1982م .
3- أحمد أمين"ضحى الإسلام " ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 10 ، 2 ص 256 .
4- ينظر: مرتاض عبد الجليل " الفوارق النحوية بين اللهجات العربية الفصيحة " ، ص 90 .

واعتمد النّحويون في جمع اللغة وإحصاء الشّواهد واختيارها على خمسة مصادر [1] وهي :

1- القرآن الكريم .
2- القراءات القرآنية .
3- الحديث الشريف .
4- أشعار العرب .
5- نثر العرب .

كما أن الاستشهاد بنثر العرب لا يتجاوز القرن الرّابع الهجري بالنّسبة إلى الأعراب الذين غادروا البادية واختلطوا بأهل الحواضر[1] ومن حيث ذكر شعر العرب فليس كلّ الشّعراء يحتجّون بهم ، فقد حدّدت فترة زمنية وهي تنتهي بشعر إبراهيم بن هرمه [2](ت 70-150 هـ).

بعدما تقصّى أئمة اللغة وعلماؤها بلاد العرب، وبحثوا في آبار الفصاحة فيها ،واجتهدوا في تلخيص فئات اللغة السّليمة ، ومن يجب نقل لغتهم وروايتها ، أجمعوا على أصناف محدّدة من النّاس ، هم وحدهم من يوثق بفصاحتهم .[2]

5- مصادر السّماع :

المصدر الأسّاسي المعتمد عليه لدى علماء اللغة في جمع اللغة أو المادّة العربيّة هي القبائل العربية المتأصّلة في البداوة .

1- ينظر: محمود سليمان ياقوت " مصادر التراث النحوي " ، ص 71
2- ينظر: سعيد الأفغاني " من تاريخ النحو " ، ص 19 .

- الأعراب في البوادي :

أشهر البوادي التّي كانت في نظر جمّاع اللغة وأئمة النّحو بعيدة عن زيف الحواضر ، وخالية لغتها ممّا يشوب الإعراب أو الفصاحة ، وصالحة للاستشهاد ، بادية الحجاز ، ومثلها تهامة ، بناءا على اعتراف " الخليل بن أحمد " للكسائي بأنّه اعتمد في أخذ اللغة عن الباديتين المذكورتين . [1]

وأورد " ابن الأنباري " من أخبارهم ما يشير إلى ذلك ومنه أنّ : **" الكسائي خرج إلى البصرة ولقي الخليل ابن أحمد ، وجلس في حلقته ، فقال رجل من الأعراب : تركت أسدا وتميما وعندهما الفصاحة وجئت إلى البصرة ؟ وقال للخليل بن أحمد : من أين علمك هذا ؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج الكسائي وأنفذ خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه "**. [2]

وحسب بعض المصادر القديمة التي عنيت بتاريخ اللغة فإنّ " الخليل بن أحمد الفراهيدي " لم يترك قبيلة في المناطق الشّمالية إلا قصدها للأخذ من منابعها الصّافية ، إلاّ ما كان في نطاق اليمن الأقصى ، ومنطقة العروض ، مع أنّه سمع أو جمع اللغة من قبائل اليمن الشّمالية أو التّي على صلة مكانية بالبلاد الشّمالية على أقل تقدير . [3]

وانطلق آخرون غير الخليل والكسائي في تلك المسيرة مثل " أبو عمرو الشّيباني " (ت 206 هـ) الذّي قال عنه " الأنباري " بلسان " ثعلب " (ت 291 هـ) :" **دخل أبو عمر واسحاق بن مرار البادية ومعه دستيجان من حبر فما خرج**

1- ينظر: مرتاض عبد الجليل " الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة ، دراسة لسانية في المدونة والكتب " ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، طبعة 2002 م ، ص 67 .
2- ابن الأنباري " نزهة الألباء في طبقة الأدباء " ، ص 77 .
3- ينظر: مرتاض عبد الجليل " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي " ، دار الغرب للنشر ، طبعة 2003 ، ص 47 -53 .

حتّى أفناها يكتب عن العرب" [1] ويروي عنه في موضع آخر **" كان مع أبي عمرو الشيباني من العلم والسماع أضعاف ما كان مع أبي عبيدة (ت 212 هـ) ولم يكن من أهل البصرة مثل أبي عبيدة في السماع والعلم ."**[1]

أمّا النّضر بن شميل (ت 203 هـ) فكان من أكثر جمّاع اللغة لطول إقامته في البوادي وغيابه فيها ، من أجل السّماع عن فصحاء العرب ، فقد قال فيما روى ابن الأنباري :" **أقمت في البادية أربعين سنة "**[2]

وكذلك " **أبو عمرو بن العلاء** " الذّي هو أحد أعلام المدرسة البصرية عرف بكثرة تدوينه عن العرب الفصحاء فقد كان بيته أضيق بسبب مؤلفاته ومدوّناته التّي سمعها ، وقد قيل عنه " **كانت دفاتر لأبي عمرو ملء بيت إلى السقف ، ثم انتسك فأحرقها** ..." [3]

وأكثر من ذلك ما اشتهر به الأصمعي الذّي قصد أعماق البادية وعاشر الأعراب ولاقاهم في غير ما موقع وجالسهم وأخذ عنهم وقد حكى عن نفسه وقال:" **خرجت من مكة فلزمت هذيلا في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم ، وأنزل بنزولهم ، فلمّا رجعت إلى مكّة جعلت أنشد الأشعار ، وأذكر الأدب والأخبار وأيام العرب فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي ، فقال لي : يا أبا عبد الله عز علي ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة فقه ."** [4]

1- ابن الأنباري " نزهة الألباء في طبقات الأدباء " ، ص 78 .
2- نفسه : ص 73 .
3- مرتاض عبد الجليل " الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة " ، ص 69 .
4- نفسه : ص 70 ، نقلا عن : عبد الحميد الشلقاني في "الأصمعي" ، دار المعارف ، مصر ، طبعة 1982 م ، ص 42 .

و نستنتج ممّا سبق أنّ الأعراب في البادية غير الدّين فارقوها إلى الحواضر يمثّلون المصدر الأوّل أو الصّنف الأوّل في السّماع لدى جمّاع اللغة، الدّين كانوا يقصدونهم في بيوت من الشّعر، فيعيشون معهم بل يتعايشون معهم إذا أمكن القول.

واتّخذ جمّاع اللغة في سبيل ذلك طرقا ليست معبّدة في الغالب ، ويحفظونها من حيث سماعها ، أو يكتبونها إذا تسنى لهم ذلك ، لأنّ الكتابة في زمنهم كانت من أصعب الأعمال ، ولا يشغلهم شاغل عن مهمّتهم النّبيلة التّي لولا عناية الله سبحانه، ما وصلنا جزء كبير من اللسان العربي كما نراه اليوم في أمهات الكتب فعملوا جاهدين على : " **نقل ما يسمعون من العرب شفاهة إلى التقييد بالكتابة ، فأكثر اللغة كتبت في العصر العباسي الأوّل لا قبله** " .[1]

6)- منهج السّماع عند البصريين :

1- التّحري في السّماع :

كان علماء البصرة دائمو التّرحال إلى البوادي طلبا للغة : " **يتلقّون عن أعرابها، والأعراب دائمو الورود إلى البصرة لشؤون معايشهم ، فقد ضرب في بوادي الجزيرة الأصمعي وأبو عبيدة ويونس وأبو زيد والخليل وغيرهم ، ثمّ كانوا يتحرّون في الأخذ :**

- أمّا العربي فيتحرّون فيه سلامة لغته وسليقته .

- وأما الرّاوي فالصّدق والضبط .

- ثم كانوا لا يعتدّون بالشّاهد إذا لم يعرف قائله أو لم يروه عربي يوثق بلغته.

1- أحمد أمين " ضحى الإسلام " ، 2 /256 .

ومن هنا عجّت بلدهم بفصحاء الأعراب المعروفين في كتب الأدب الذين كانوا من مفاخر البصرة التي يعتدها البصريون " .[1]

فالبصريون إذا ، يعود لهم فضل تثبيت الظواهر اللغوية بعقلانية تامّة ، والمنطق الدّقيق ، لمّا أخضعوا كلام العرب في أغلب استعمالاته إلى قواعد ، وقيّدوه بشروط وصبّوه في قوالب ممنطقة ، وكلّ ما عدا ذلك أو خالفه وخرج عنه، حكموا عليه بالشّذوذ ، وأبعدوه من دائرة القياس ، وفي النّهاية الاحتجاج . [1]

وعرفوا إلى ذلك بأنّهم :" **أشدّ تحريّا وأنفذ بصرا ولاسيما في باب التّعليل الذّي يأتي رديفا ومتمّما للاستقراء ، فكانوا لا يبنون القواعد الطردة إلاّ على ما كثر واستفاض في كلام العرب عنهم** " . [2]

فقد تميّز سيبويه بكونه كان حريصا أيّما حرص على تحرّي الكلام المسموع ، من ذلك أنّه ذهب إلى القول بأنّ تحقيق همزة **" نبيء "** و **" بريئة "** رديئ كما في لغة قوم من أهل الحجاز ، لذلك يفضّل أن يقال : نبيّ ، وبريّة ، إذ لابدّ من الرّجوع إلى المسموع .[3]

ولا غرابة في الأمر ، فقد تميّز أهل الحجاز بميلهم إلى تسهيل الهمزة ، أمّا تميم فكان طابع لهجتها تحقيقها وتأكيدها ، ويذهب الباحثون إلى أنّ : التّسهيل صفة اللغة في الحواضر والمدن ، والتّحقيق صفة اللغة في البوادي . [4]

وسيبويه إذا تمعّنا في قوله يقول بضرورة الرّجوع دوما إلى المسموع حال البحث عن المصادر خاصّة والكلام العربي عامّة كاستخراج مصادر الأفعال

1- صالح بلعيد "في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 150 .
2- منى إلياس " القياس في النحو " "، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، دار الفكر ، دمشق ، ط 1 ، 1405 هـ - 1985 م ، ص 81 .
3- سيبويه " الكتاب " ، 4 /36 .
4- مقال : الهام مرتاض " التركيب اللهجي في ضوء المستوى الصوتي في اللغة العربية " ، مجلة المصطلح ، 4 /2005م-2006 م.

مثلا ، ولا مجال في وجود السّماع أمام القياس ، وهذا الآخر لا يستعان به في صياغة المصادر إلاّ في غياب مصدر للفعل فيما سمع عن العرب . [1]

كما أنّ نحاة البصرة اعتمدوا أشعار العرب في الجاهلية كما في الإسلام حتى نهاية القرن الرّابع الهجري ، واعتمدوا أشهر القراءات القرآنية ، تجنّبوا الاستشهاد بالحديث الشريف اعتقادا منهم أنّ أغلب الأحاديث مرويّة بمعناها لا بمبناها عن **" الرسول صلّى الله عليه وسلّم "** . [2]

ومع كلّ ما تقدّم إلاّ أنّ بعض الباحثين أكّدوا أنّ البصريين أخذوا بالسماع كما أخذوا بالقياس ، ويبدو ذلك واضحا في ردّهم لمسائل الكوفيين [3] فكيف يقبلون المتن من دون سند ؟ أي أنّهم يرفضون الشّاهد الدّي لم يعرف قائله. [3]

أمّا إذا خرجت هذه الشّواهد عن كلام العرب الشّائع المسموع عنهم فهي – بلا تردّد – في عداد الشّواهد الشاذة . وعليه فالأخذ بها في وضع الأحكام النحوية غير مقبول [3] وهم يتقيّدون بالمأثور العام من الكلام الذي يتحرونه ، ويسعون إلى تحقيق القاعدة الشّاملة منه بعدما يستقرئون ما يجمعون ، وفي أثناء ذلك يخضعون لغات القبائل – التّي حدّدوها – أو لهجاتها إلى عملية فرز عملية دقيقة ، فيختارون أشيعها وأقربها إلى القياس .[4]

ثم إنّهم يعتمدون على كلام العرب ويختارون منه الثابت والأكيد ، وقد وضعوا لذلك معايير ومقاييس اتّفق عليها الجمهور وهي : أن تكون أكثر اللغات شيوعا وأكثر وقوعا في الآثار وأخفّها على الألسنة و أجودها .[5]

1- سيبويه "الكتاب"، 4 / 135 -136 .
2- ينظر :صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة " ، ص 150 .
3- ينظر :إبراهيم السامرائي " المدارس النحوية " ، دار المسيرة، عمان ، الأردن، ط1، 1427هـ _ 2007م، ص 17 .
4- ينظر: صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 148 .
5- ينظر نفسه : ص 150 .

وأكثر ما تميّز به البصريون ذلك الحرص أو ذلك التشدّد في الأخذ بالكلام عن العرب .[1]

فهم لا يأخذون إلاّ عن العرب أهل الفصاحة ، ومن اشتهروا على أنّهم الثقاة دون النظر إلى العرب الدّين فسدت سليقتهم ، بسبب مخالطتهم الأعاجم ، الذين جاوروهم أو جاورا من جاوروهم [2] وحدّدوا مدونتهم في القبائل التي تسكن وسط الجزيرة ، وهي الفصيحة كونها لا تحاذي الأعاجم في السّكن فقط [3] .

اهتمّ أهل البصرة من النّحاة بالمسموع ، واختاروا من كلام العرب في البادية الذين لم يختلطوا بالأعاجم ، واختاروا من كلام العرب سكّان الحواضر الذين حافظوا على سليقتهم وحدّدوا قبائل العرب وأنسابها ، ووضعوا حدودا للبلاد العربية المقصودة – وسط الجزيرة العربية وما يلاحقها من بوادي نجد والحجاز وتهامة – وحدّدوا المجال الزّمني للغة المأخوذة المسموعة ، فكان في المدن إلى غاية القرن الثاني الهجري ، وفي البوادي إلى غاية القرن الرابع الهجري .[4]

وكان آخر رواة البصريين الثقاة ، بل آخر من يقال عنه أنه بصري : " ابن دريد " (ت 321 هـ) ، وبعده " أبو الفتح ابن جني " (ت 392 هـ) فقد كان واسع الرّواية والدّراية في اللغة ، ويبدو للباحثين أثرا كبيرا في علوم اللغة .[5]

وعلى نهج " سيبويه " سار " ابن جني " في الإكثار من الرّواية عن غيره ، فهو ينقل عن " سيبويه " نفسه وعن شيخه " أبي علي الفارسي " (ت 377 هـ)[6]

1- ينظر: الأنباري "نزهة الألباء " ، ص 33 – 34 .
2- ينظر: إبراهيم السامرائي " المدارس النحوية " ، ص 19 .
3- ينظر: صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 149 .
4- ينظر نفسه : ص 121 .
5- ينظر : ابن جني " الخصائص " ،تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، دت، 1 /22 ، .
6- ينظر: ابن جني " اللمع في الأدلة " ، تحقيق حامد المؤمن ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط 2 ، 1405 هـ / 1985 م ، ص 16 .

وغيرهما من علماء البصرة أو الكوفة ، وهو يستشهد بالشّعر والقصص ويسهب ويطنب فيما يتناوله ، وهو يحاكي في هذا الجاحظ (ت 255 هـ) ، وابن جني يعتمد في النقل على حفظه ، مما يعرّض نقله للتّغيير والتّبديل .[1]

2- المسموع الشاذ :

ويذهب البصريون إلى أنّ الكوفيين أخذوا في كل ما سمع من كلام العرب ، واعتمدوه أصلا في استخراج قواعد اللغة، وقاسوا عليه كذلك ،و الكلام الشاذ لديهم يحفظ كما سُمع ، ولا يجوز أصلا أن يكون في عملية القياس .[2] فالكلمة إن سمعت عن أعرابي واحد وخالفت الجميع فهي شاذة، ولا تصلح حجة أو أصلا يُقاس عليه، فقد تكون كذبا أو خطأ .[3]

وفي هذا إشارة منهم – واضحة للدّارس – أنّ الكوفيين لم يتحرّوا موادّهم ولم يتوثقوا من مصادرها وأخذوها أصلا رغم ذلك وجمعوا النادر والشاذ إلى المستعمل ، وقاسوا على كلّ منها ، ولم يكلفوا أنفسهم عناء التأكد من صحة ما جمعوا أو ما وصل إليها من هذه المواد .[4]

ويرفض البصريون الرّواية عن الكوفيين ذلك لضعفهم وميلهم إلى الشاذ وارتفاعهم عن البوادي الفصيحة " **وكانوا لا يرون الأعراب الذين يحكون عنهم حجّة في العربية لأنّهم غير خلّص ، وكما تركوا عربيتهم تركوا شعرهم لأنه فاسد كله ، ولكن لمجيئه على مذاهبهم ...**"[5]

1- ينظر: ابن جني " الخصائص" ، 1 / 33 – 34 .
2- ينظر: جلال الدين السيوطي " المزهر في علوم اللغة " ، ش محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ط 1 ، 2004 م، 1 /173 .
3- ينظر : فخر الدين قباوه " ابن عصفور والتصريف " ، ص 129 .
4- ينظر : إبراهيم السامرائي " المدارس النحوية " ، ص 17 .
5- مصطفي صادق الرافعي " تاريخ آداب العرب " ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1421 هـ -2000 م، 1 / 325 .

وقال الرّياشي النّحوي البصري (257 هـ) مفتخرا على الكوفيين : " **أخذنا اللغة من حرشة الضباب أكلة اليرابيع ، وأخذوها من أهل السّواد وأكلة الشّواريز وباعة الكواميخ**" [1] ومعناه نحن أخذنا اللغة عن أهل البادية الخلّص ، والكوفيون أخذوها عن عرب المدن .

فالمسموع عن كلام العرب تعامل معه البصريون بحذر ، فهم لا يسمعون إلاّ من العربي القح ، أمّا الكلام الذي لم يعرف قائله فلا يعتدّون به شاهدا ، ولا يسمعون من الرّاوي " **الذي يجب أن يكون من أهل البلدة ، وألا يكون قد خرج منها وإن خرج منها ألا تطول إقامته ، وألا يكون قد تأثر بعوامل تؤثر على لغته كأن يكون قد تعلم كما يأخذون اللغة عن الأعراب الفصحاء الذين يعيشون في أعالي نجد** "[2] فهم يميّزون بين أهل المدر (في الحواضر) الذين يؤخذ بكلامهم إلى منتصف القرن الثاني الهجري ، وبين أهل الوبر سكّان البوادي الذين يؤخذ – في نظرهم – بكلامهم حتى أواخر القرن الرّابع الهجري . [2]

المبحث الثاني : منهج الكوفيين .

تعدّ الكوفة المدرسة الثانية التي اهتمّ علماؤها بنقل مفردات العربية . وكان لهم في ذلك طريقتهم الخاصّة بهم .

1- الكوفة :

الكوفة مدينة على نهر الفرات ، بنيت سنتين قبل توأمها البصرة وكان ذلك في العام الخامس عشر هجري (15 هـ) الموافق لعام ست وثلاثين وستمائة

1- السيوطي " الاقتراح " ، ص 202 .
2- صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة " ، ص 148 .

ميلادي (636 م) ، وقد اتّخذ منها " علي بن أبي طالب " (ت 40 هـ) عاصمة لخلافته ، ومصّرها " سعد بن أبي الوقاص " (ت 55 هـ) ، وكانت مثل البصرة معقلا من معاقل الدّرس اللغوي والدّرس النّحوي .[1]

وهي مشهورة في أرض بابل من سواد العراق ، ويسمّيها آخرون خدّ العذراء ، وسمّيت الكوفة لاستدارتها ، بناءا على قول العرب : " **رأيت كُوْفَانًا وكَوْفَانًا** " ، وسمّيت كذلك لاجتماع النّاس بها ، وكان تمصيرها عامين بعد البصرة عام (19 هـ) ويقال عام (18 هـ) ، أيام عمر بن الخطاب .[2]

وقال ياقوت الحموي (ت 626 ه ـ) : " **وأما ظاهر الكوفة فإنّها منازل النّعمان بن المنذر ، والحيرة والنجف والخورنق والسدير والغريان وما هناك من المنتزهات والديرة الكبيرة .**"[3]

وقال ابن بطوطة : " **وهي إحدى أمهات البلاد العراقية المتميّزة فيها بفضل المزية ، مثوى الصّحابة والتّابعين، ومنزل العلماء والصّالحين ... إلاّ أنّ الخراب قد استولى عليها بسبب أيدي العدوان التّي امتدّت إليها وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها ...** " [4]

فقد كانت قريبة جدّا من الحيرة ، ومستقرّ أزهى الحضارات قبيل الإسلام . ومجاورتها للحيرة أتاحت لها جمع القديم وروايته .[5]

وبسبب موقعها وقربها من البلاد الأعجمية فقد أهلها مزية سلامة اللغة " **فأكثرهم يمن وقليل من قبائل أخرى ، واليمن لا يحتجّ بلغتها لتغيّرها بالاختلاط بالفرس والأحباش ، ثم بين الكوفة وجزيرة العرب وصحراء السماوة الشاسعـــة**

1- ينظر: صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة " ، ص 151 .
2- ينظر: ياقوت الحموي " معجم البلدان " ، 4 / 490 .
3- نفسه : 4 / 493 .
4- ابن بطوطة " رحلة ابن بطوطة " ، دار بيروت ، بيروت ، طبعة 1400 هـ - 1980 م ، ص 219 .
5- ينظر : نجيب محمد البهيتي " تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري " ، ص 205 -206 .

فلذا لم تكن رحلات علمائها إلى الجزيرة كرحلات علماء البصرة والكسائي الذي ارتحل لم يرتحل إلاّ لمّا تتلمذ على الخليل وسأله فأرشده إلى الرّحلة ... "[1]

وقد تأخّرت الكوفة عن البصرة من حيث اشتغالها بالدّرس اللغوي ، ما يقارب قرنا من الزّمان إلاّ أنّها تقدّمت على مدينة بغداد[2]، وكانت الرّواية فيها مقصورة على الشّعر والأنساب والأخبار [3].

وإذا كان أهل الكوفة قد تأخّروا عن أهل البصرة في الدّرس اللغوي ، فقد تقدّموا عليهم في مجال الفقه والقراءات القرآنية ، وما لا يستحب إغفاله هنا ، هو أنّ معظم أعلام الكوفيين تلقّوا تعليمهم على يد مشاهير علماء البصرة ، ولا تخلوا مناهج الكوفيين من آثار مناهج البصريين ، كما يقال: مات " الفراء" (207 هـ) وتحت وسادته كتاب " سيبويه " .[4]

2- أعلام المدرسة الكوفية :

إنّ أنبغ الكوفيين تعلّموا على نحاة البصرة. ولما اشتدّت سواعدهم في النحو أصبحوا أئمة في الكوفة مثل أبو جعفر الرؤاسي (ت 175 هـ)[5] ومعاذ الهراء (ت 187 هـ) [6]، والكسائي (ت 189 هـ) [7] والفراء (207 هـ) [8] .

1- سعيد الأفغاني من تاريخ النحو " ، ص 65 .
2- ينظر: إبراهيم السامرائي " المفيد في المدارس النحوية " ، ص 23 .
3- ينظر: مصطفى صادق الرافعي " تاريخ آداب اللغة العربية " ، 1 / 323 .
4- ينظر: صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة " ، ص 151 .
5- ينظر : الأنباري "نزهة الالباء " ، ص 54 .
6- نفسه : ص 52 .
7- نفسه : ص 108 .
8- نفسه : ص 98 .

3- منهج السّماع عند الكوفيين :

1- التحرّي في السّماع :

عرف الكوفيون بعقولهم الحيّة التي كانت مجارية للتّطور ، كما أنّ بلادهم (الكوفة) كانت أقرب إلى الاختلاط بالأعاجم ، ولغة الأعراب لديهم لا تضاهي نظيرتها لدى نحاة البصرة .[1]

اهتمام أهل الكوفة من النّحاة بالسّماع كان أكثر ممّا عرف عند البصريين أمثالهم ، وبصورة أوسع ، فقد أخذوا شواهد اللغة من كلّ مسموع وبنوا عليه وقاسوا ، وجمعوا الشاذ جائزا وقعّدوا عليه وقاسوا على البيت الواحد ، وتعدّوا ذلك إلى القياس على ما خالف الأصول .[2]

وتميّزوا إلى ذلك بترجيح السّماع على القياس وجعلوا دائرته أوسع من عند البصريين ، فأخذوا بشكل غير محدود عن الأعراب مهما وصفوا وأينما وجدوا ، وتوسّعوا في الأخذ بالقراءات وما يعرض لها من مسائل ، وفي نظرهم كل ما ثبت أن العرب تكلّموا به مقبول وصحيح ولو كان شاذا .[3]

ويظهر الخلاف بين المدرستين في المبدأ ، فالبصرة تعتمد على مدوّنة مغلوقة ومحدّدة ، بينما الكوفة تعتمد على مدوّنة مفتوحة غير محدّدة .[4]

واهتم الكوفيون كثيرا بالسّماع بخلاف البصريين ، فكانوا إذا سمعوا شاهدا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول ، جعلوا هذا الشيء أصلا وبنوا له فروعا وأبوابا وقاسوا عليه [5] غير أن النّحاة المتأخرين منهم احتجوا بالأحاديث النبوية الشريفة .

1- ينظر: صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 152 .
2- ينظر نفسه : ص 181 .
3- ينظر نفسه : ص 151 .
4- ينظر نفسه : ص 154 .
5- ينظر: إبراهيم السامرائي " المدارس النحوية "، ص 19 .

ولم يكن منهج الكوفيين يعتمد على المنطق الصّرف ، فقد كان معظمهم من اللغويين، بخلاف البصريين الذي كانوا نحويين ، ومن هنا كانت أحكامهم تفتقر إلى الدقّة ،ويتّضح كثيرا للباحثين والدّارسين أنّهم يعتمدون على السّماع ، فمنهجهم إذا سماعي ، في حين منهج نظائرهم في البصرة قياسي ، لاهتمامهم بالقياس ، إلاّ أنّهم أسّسوا لتطور البحث اللغوي واللغة – في نظرهم – ملك لمن يستعملها فهي كائن حي يتأثر بالمجتمع .[1]

ومن الباحثين من يرى أن آراء الكوفيين ما هي إلّا وجوه متطوّرة عن آراء البصريين ، فمعظم أولئك تتلمذوا على يد هؤلاء وتلقّوا علوم اللغة عنهم [2] والكوفيين " **... لم يكن لهم أصول يبنون عليها غير ما أخذوه عن أساتذتهم البصريين ولم يحسنوه ، ثم جعلوا من عدم المنهج في سماعهم منهجا خالصا لهم ، فسمعوا الشاذ واللحن والخطأ ، وأخذوا عمّن فسدت لغتهم من الأعراب وأهل الحضر ، فلمّا اقتضتهم المنافسة أن يكون لهم قياس كما لأولئك بنوه على ما عندهم مما يتنزه عن روايته البصري ، ثم جعلوا كل شاذ ونادر قاعدة لنفسه ، فانتشرت عليهم قواعدهم ولم يعد لها ما يمسكها من نظام أو منطق ...** " [3]

وما كانوا يولون عناية بصدق الراوي أو صدق روايته ، إذ كانوا لا يهتمّون بسلامة اللغة مما جعل أكثر رواياتهم من المصنوع [4] وقال أبو الطيّب : " **الشّعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله ، وذلك بيّن في دواوينهم** " [5]

1- ينظر : صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 152 .
2- ينظر نفسه : ص 153 .
3- سعيد الأفغاني " من تاريخ النحو " ، ص 71 .
4- ينظر نفسه : ص 66 .
5- أبو الطيب اللغوي " مراتب النحويين " ، ص 74 .

وأشهر رواتهم حمّاد الرّاوية ، فهو كالشّمس شهرة في وضعه .[1] وكان من العجيب أخذ النّاس " **عن حماد وهو يلحن ويكسر الشّعر ويكذب ويصحف**."[2]

وكان الكوفيون إن أرادوا لأحد أعلامهم الشّهرة ، شبّهوا روايته بروايات البصريين كما قالوا عن ابن الأعرابي وهو تلميذ المفضّل الضبي " **ولم يكن أحد من الكوفيين أشبه رواية برواية البصريين منه** ." [3]

وأغلب رواياتهم كانت حول ما أخذه أئمتهم عن أساتذتهم البصريين ، مثل الكسائي الذي " **قرأ على الخليل ويونس وعيسى ، ورأى تحرّيهم فيما ينقلون وفيمن يشافهون ، زايل التحري حين انتقل إلى بغداد** " [4] فتغيّر منهجه إلى ما صار عليه .

وكثيرا ما أشار المؤرخون اللغويون إلى ذلك في كتبهم [5] مثل ابن سلام الجمحي فقد نقل قول المفصل : " **... للأسود بن يعفر ثلاثون ومائة قصيدة ... " ، وعقّب عليه بقوله : ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريبا منه ، وقد علمت أنّ أهل الكوفة يروون له بأكثر مما تجوزنا** " .[6]

غير أنّ هذا المنهج شائع لدى الكوفيين في علوم أخرى غير علوم اللغة العربية ، إذا تعلّق الأمر بالسّماع ، وهو طابعهم المميّز[7] فقد قال الخطيب البغدادي :" **ولأهل البصرة من السّنن الثّابتة بالأسانيد الواضحة ما ليس لغيرهم مع إكثارهم ، والكوفيون مثلهم في الكثرة غير أنّ رواياتهم كثيرة الدغل قليلة السّلامة من العلل** " [7].

1- ينظر: سعيد الأفغاني " من تاريخ النحو " ، ص 67 .
2- ينظر : أبو الطيب اللغوي " مراتب النحويين " ، ص 73 .
3- الأنباري "نزهة الألباء " ، ص 175 .
4- سعيد الأفغاني " من تاريخ النحو " ، ص 67 -69 .
5- ينظر نفسه : ص 69 .
6- ابن سلام الجمحي " طبقات الشعراء " ، ص 123 .
7- ينظر: سعيد الأفغاني " من تاريخ النحو " ، ص 69 .

2- المسموع الشاذ :

وإذا أردنا الحديث عن أخذ النحاة في الكوفة بالشاذ من كلام العرب ، فلا ضير أن نشير إلى ما ذكره " ابن درستويه " (ت 345 هـ) ، إذ قال عن الكسائي: **" كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلاّ في الضّرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه ، فأفسد النّحو "** [1]

والمشهور عن الكوفيين أنّهم خالفوا السّواد ، وبنوا قواعد اللغة على المثال الواحد ، وعلى الكلمة الشاذة . [2]

وجعلوا قوانين الشاذ ، وقواعده كما جعلوها للمشهور ، ولم يستثنوا لغة من لغات العرب ولم يعملوا لهجة من لهجات القبائل ، حتى أولئك الذين هاجروا إلى بعض جهات العراق مثل الحطمة أو الحطمية ، ومعنى هذا أنّهم أخذوا عن سواد الأعراب

الأخذ عن السّواد الأعظم من الأعراب يؤدي بلا شك إلى الأخذ عن الأعراب الدّين لانت جلودهم ، وفسدت ملكتهم ، واختلت لغتهم وطالها اللحن .

ولما كان أهل الكوفة أقل حرصا من أهل البصرة في الأخذ بالسّماع شاعت الكلمات الدّخيلة في لغتهم [4] وأصبح بذلك لدى البصريين مأخذ آخر على الكوفيين يضاف إلى مآخذ كثيرة ، فقد جاء في البيان والتّبيين : **" وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها " مربعة " ويسّميها أهل الكوفة " الجهارسو " والجهارسو بالفارسية ، ويسّمون القثّاء خيارا والخيار بالفارسية، ويسمّون المجذوم " وبذي " بالفارسية "** [5]

1- صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 151 نقلا عن بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة " للسيوطي " ، القاهرة ، ط1 ، 1326 هـ ،ص 336 .
2- منى إلياس " القياس في النحو " ، ص81.
3- صالح بلعيد ، " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 151 .
4- ينظر :إبراهيم السامرائي "المدارس النحوية " ، ص 20 .
5- الجاحظ "البيان والتبيين " ، 1 / 27 .

وكان الميل إلى الشاذ من القول والإعراب طبيعة متأصّلة في أهل الكوفة، مما سرّع عجلة الفساد " في ألسنتهم قبل أن يفشو مثل ذلك في البصريّين وأعظم ما اشتهرت به الكوفة ميل أهلها إلى الطاعة ديانة ... ، وبظاهر الكوفة كانت منازل النّعمان بن المنذر والحيرة والخورنق ، والسدير ، وما هناك من القصور ... وكل ذلك غير طبيعي في تاريخ الفصاحة العربيّة " . [1]

4/- مجالات التّباين في السّماع بين البصريين والكوفيين :

1- في المنهج :

يظهر التّباين بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة على أنّه تباين في المبدأ ، فالبصرة تعتمد مدوّنة مغلوفة محدّدة ، بينما الكوفة تعتمد مدوّنة مفتوحة وغير محدّدة .[2]

والباحث المتمعّن في التراث النّحوي يدرك بقليل من التّأمل والجدّ أنّ الخلاف المذكور بين النّحاة البصريين ونظائرهم في الكوفة إنما هو خلاف في مسائل فرعية على صلة بالتّأويل والتّعليل ولأنّهم .على اختلاف استنتاجاتهم انطلقوا من أصول علمية واحدة لم يختلف عليها أحد قبلهم . [3]

2- استقراء المادّة العلميّة :

تميّز نحاة البصرة بالحرص والتردّد والتحفّظ قبل الأخذ أو السّماع في طريق البحث عن المدوّنات أو في سبيل جمع المادّة اللغوية الصّالحة للاحتجاج ، فكم كان تحفّظهم شديد بالنظر إلى أقرانهم في الكوفة ، إلاّ أنّهم ضيّقوا دائرة السّماع . [4]

1- مصطفى صادق الرافعي " تاريخ آداب اللغة العربية " ، 1 / 305 .
2- ينظر: صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 154 .
3- ينظر :إبراهيم السامرائي " المدارس النحوية " ، ص 12 – 13 .
4- ينظر :سعيد الأفغاني " من تاريخ النحو " ، ص 65 .

وكانت عناية البصريين بأفصح كلام العرب ومرجعهم في ذلك قبائل عريقة في البداوة والعروبة ، أصحاب الفطرة والسّليقة أمثال : قيس وتميم وبعض كنانة وبعض هذيل ، وبعض طيء ، أما الكوفيون فإنّهم يستوعبون كلّ مسموع ، ويأخذون عن الحضر ، وعن الأعراب الذّين تحضّروا ، ولم يبالغوا في التحرّي والتّنقيب .[1]

3/ التّحقق من الثّقاة في صحّة الرّواية :

فكثيرا ما وضع جمّاع اللغة البصريون والنّحاة أعرابا في اختبار لغوي ، في إذا صدف أن التبس عليهم أمر أحدهم ، من حيث نسبه أو لهجته (لسانه) .[2]

4 التأكّد من الثّقاة في صحّة الرّواية :

كان البصريون يتحرّون عن كلّ الرّوايات ، وعن روّاتها ، وعن صحّتها، وهل سمعها الثقاة من الفصحاء حفظا وتدوينا ؟ وهل هذه الرّواية منسوبة لقائل أم هو مجهول ؟ وإن ثبت لديهم أنّه مجهول ، ردّوه [2] ، بينما تساهل الكوفيون في التثبت من صحّة المسموع وأمانة الرّواية ، وسلامة اللغة ، فأخذوا عن حمّاد الرّاوية (ت 155 هـ) ، وعن خلف الأحمر (ت 180 هـ) وهما أكثر من ينسب إليهم وضع الرّوايات وتلفيق المصنوع باسم فصحاء العرب وأقحاحهم .[3]

5/- مجالات التّوافق :

1- اعتماد السّماع :

اعتمد البصريون على السّماع كمصدر أساسي في جمع اللغة ، وذهب الكوفيون مذهبهم ، إلّا أنّ حيّز السّماع عند أهل البصرة كان مقيّدا بشروط ومحدّدا

1- ينظر :إبراهيم السامرائي " المفيد في المدارس النحوية " ، ص 30 .
2- ينظر نفسه : ص 31.
3- ينظر : محمد الطنطاوي " نشأة النحو " ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، 1995 ، ص 108 .

برقعة جغرافية ، لكنّ المبدأ بينهما مشترك ، وإن كان هناك خلاف فإنّه جاء بعد علماء الطبقة الكوفية الأولى ، لأنّ الروائي ومعاذ الهرّاء والكسائي والفرّاء كلهم تزوّدوا إلى جانب الخليل ويونس وسيبويه وغيرهم من علماء الطبقة البصرية الأولى من نبع لغوي واحد في البصرة ، والنحو في الكوفة حصاد كانت بذرته الأولى في البصرة .

2- مادّة البحث :

ثم إنّ المادّة اللغوية التي اشتغل عليها الفريقان ، مادّة واحدة هي اللغة العربية الفصيحة ، لغة القرآن الكريم الذي جمع لهجات العرب وأقرّها ، فنشأت بذلك قراءات سبعة مشهورة ، ولغة السنّة النّبوية الشّريفة التي نطق بها أفصح العرب سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم ، ولغة الأعراب وكلّ القبائل العربية بلا تحديد ، ما اشتهر منها وما شذّ ، ودواوين الشّعراء ، ورسائل الخطباء ، وأمثال الحكماء .

المبحث الثالث : رأي الفارابي في القبائل التّي أخذت عنها اللغة .

أوضح الفارابي في كتابه الموسوم " **بالحروف** " الكثير من التّفصيلات حول الطّريقة التّي تمّ بها جمع اللغة . فمن أهمّ النّقاط التّي تناولها نذكر :

1- عوامل الفصاحة :

تميّزت القبائل العربيّة في العصر الجاهلي بانعزالها عن الأمم الأعجمية من حولها من حيث فكرها وخلقها واعتقادها ، كان ذلك الانعزال من أبرز الدّوافع التّي جعلت العرب يعيشون بدوا وحضرا متفرّقين ومتناحرين تارّة ومتداخلين في أخرى ، وهذا ما انعكس على لهجات هذه القبائل العربيّة في بعض مظاهرها ، وقد تجلّت هذه المظاهر بعد فترة من الزّمان في النّحو والنّحاة واللغة والروّاد . [1]

1- ينظر: مرتاض عبد الجليل " الفوارق النحوية بين اللهجات العربية الفصيحة " ، ص 65 .

والمتمعّن في أحوال العرب وظروف حياتهم يدرك بل يكتشف أنّهم عاشوا في البراري والبوادي كما عاشوا في المدن والحواضر ، وأكثر ما اشتهر بصناعة اللغة هم أهل الأمصار والحواضر .

ومن بين الأمصار التي اهتمّ أهلوها بتلك الصّناعة في اللغة والنّحو نذكر أشهرها : البصرة والكوفة في بلاد العراق ، فقد اشتغل هؤلاء وأولئك بدرس اللغة وتعلّمها منذ التسعين (90) وحتّى سنة مائتين (200 هـ) ، فاهتمّوا بالفصيح وتحرّوا عنه لدى :" **سكّان البراري من كان في أوسط بلادهم ومن أشدّهم توحّشا وجفاءا وأبعدهم إذ عانا وانقيادا وهم قيس و تميم وأسد وطي ثم هذيل ، فإنّ هؤلاء هم معظم من نقل عنه لسان العرب والباقون فإنّهم لم يؤخذ عنهم شيء لأنّهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين عن سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر .**"[1]

وكان في كلام العرب ذخيرة من الرّصيد اللغوي تمثّلت في أقوالهم ، من كبيرهم إلى صغيرهم ، رجالهم ونسائهم ، في مختلف مستويات اللغة التي تداولتها بعض قبائل العرب ، التي اتّخذت من قلب الجزيرة العربية موطنا لها ، ولم تكن على صلة بمن أحاط بها من الأمم والقبائل الأخرى ، ممّا أبقى على سليقتها وعزّز ملكتها اللسانية .[2]

1- الفارابي "كتاب الحروف " ، ص 147 .
2- ينظر: صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 51 .

وهذا عامل رئيسي ساهم في تقديم لغة هؤلاء على من سواهم ممن لم تتوفّر لهم الظّروف المذكورة ، وجعل لسانهم مقياسا توزن عليه قواعد اللغة العربية ، ومنوالا يحتذى به ، فكانت اللغة عندهم تتميّز بالصّفاء كما كانت بيئتهم، وبالشساعة مثلها .[1]

وإلى جانب القبائل التي سبق ذكرها – من حيث تصنيفها أفصح قبائل العرب تأتي قريش ، فهي في نظر ابن فارس (ت 395 هـ) : أصحّ العرب ألسنة وأصفاهم لغة وقد فضّلها الله وأكرمها بأن كان خاتم النبيّين من أشرف بطونها (بني هاشم) وهي إلى ذلك حامية البيت الحرام ، وتضمّ لغتها أصفى وأرقى ما في لغات العرب الوافدين عليها في كلّ موسم (الحج ، الأسواق) ، ثم إنّ لغتها علاوة على ذلك : لغة صافيّة خالية من العيوب الشّاسعة في لهجات القبائل الأخرى .[2]

ومع أنّ قريشا كانت تخالط القبائل الأخرى ، والأمم المجاورة ، عن طريق قوافلها التّجارية .[3] إلاّ أنّ لغتها سلمت من الألفاظ الدّخيلة ، وحافظت على ألفاظها الفصيحة نظرا لانحصار اختلاطها بتلك الأمم في حدود التّجارة والمعاملات الاقتصادية ، إلى جانب الزّمن والتّوقيت ، في حين أنّ اللهجات الأخرى المتاخمة للأحباش والأقباط والبيزنطيين لم تسلم من ذلك التأثير[4] .

وبسبب ذلك حدثت المفارقة بين القبائل العربية من حيث لهجاتها ومقدار الفصاحة فيها .

1- ينظر: صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 51 .
2- ينظر: أحمد بن فارس " الصاحبي في فقه اللغة " ، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت ، طبعة 1964 م ، ص 52 – 53 .
3- ينظر: أحمد أمين " ضحى الإسلام " ، 2 / 247 .
4- ينظر: مرتاض عبد الجليل " الفوارق النحوية بين اللهجات العربية الفصيحة " ، ص 66 .

2/- القبائل الفصيحة :

يقدّم الفارابي جوابا لمن يسأل: مَن مِن قبائل العرب ينبغي أن يؤخذ اللسان ؟ وما هي شروط الفصاحة الواجب توّفرها في لسان هذه القبائل ؟

فيقول : **" إنّه ينبغي أن يؤخذ عن الذّين تمكّنت عادتهم لهم على طول الزّمان في ألسنتهم وأنفسهم، تمكّنا يحصنون به عن تخيّل حروف سوى حروفهم والنّطق بها ، وعن تحصيل ألفاظ سوى المركّبة عن حروفهم وعن النّطق بها، ممّن لم يسمع غير لسانهم ولغتهم أو ممّن سمعها وجفا ذهنه عن تخيّلها ولسانه عن النّطق بها ، وأمّا من كان لسانه مطاوعا على النّطق بأيّ حرف شاء ممّا هو خارج عن حروفهم، وبأيّ لفظ شاء من الألفاظ المركّبة عن حروف غير حروفهم، وبأيّ قول شاء من الأقاويل المركّبة من ألفاظ سوى ألفاظهم. فإنّه لا يؤمن أن يجري على لسانه ما هو خارج عن عادتهم الممكنة الأولى ، فيعود ما قد جرى على لسانه، فتصير عبارته خارجة عن عبارة الأمّة ويكون خطأ ولحنا وغير فصيح"**[1] . فإن كان مع ذلك قد خالط غيرهم من الأمم, وسمع ألسنتهم أو نطق بها كان الخطأ منه أقرب وأحرى **" ولم يؤمن بما يوجد في عادته أنّه لغير تلك الأمّة التّي هو منهم ، وكذلك الذّين كانوا يحصون عن النّطق وعن تحصيل حروف سائر الأمم وألفاظهم – إذا كانوا يحصنون عمّا لم يكن عودوه أولا من مخالفة أشكال ألفاظهم وإعرابها، إذا كثرت مخالطتهم لسائر الأمم وسماعهم بحروفهم وألفاظهم وإعرابها، إذا كثرت مخالطتهم لسائر الأمم وسماعهم بحروفهم وألفاظهم. لم يؤمن عليه أن تتغيّر عادته الأولى ويتمكّن فيه ما يسمعه منهم فيصير بحيث لا يوثق بما يسمع منه "** .[1]

1- الفارابي " كتاب الحروف " ، ص 146 .

وأفضل من تؤخذ عنهم اللغة أهل المدر وسكّان البراري وأهل البوادي ، الذين بيوتهم من الشعر وملابسهم من الصوف , وهم : " **من كلّ أمّة أجفى وأبعد من أن يتركوا ما قد تمكّن بالعادة فيهم ، وألسنتهم عن النّطق بها ، وأحرى أن لا يخالف غيرهم من الأمم للتوحّش والجفاء الذّي فيهم** " [1]

وبعض الأعراب كذلك ثمّ استبعادهم من دائرة الفصاحة ، فلا تؤخذ اللغة عنهم لكثرة تنقلهم بين القبائل وترحالهم بين المدائن ، أو أنهم اتّخذوا من الحواضر موطنا يقيمون فيه بدل البراري التي عاشوا فيها [2] فاستبدلوا صفاء الذّهن واللسان بشوائب العجمة التّي عرفناها في الحواضر .

أمّا سكّان المدن فهم أقلّ خشونة وجفاء من أهل البوادي بل إنّهم ألين ، ومن السّهل عليهم أن يأخذوا من غيرهم أو يتعوّدوا بعاداتهم ممّا أبعدهم من دائرة الملكة اللسانية وأبعد لسانهم وكلامهم من دائرة الصّناعة اللغوية والسماع وفي هذا قال الفارابي :" **وكان سكّان المدن والقرى وبيوت المدر منهم أطبع ، وكانت نفوسهم أشدّ انقيادا لتفهّم ما لم يتعوّدوه ، كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمّة عن سكّان البراري منهم متى كانت الأمم فيهم هاتان الطائفتان ويتحرّى منهم من كان في أوسط بلادهم فإنّ من كان في الأطراف منهم أحرى أن يخالطوا مجاوريهم من الأمم فتختلط لغاتهم بلغات أولئك ، وأن يتخيّلوا عجمة من يجاورهم** ". [3]

فإذا تعامل أهل المدن بمن جاوروهم أو خالطوهم من الأعاجم ، فلذلك أثر واضح على لسانهم ، نظرا لغرابة اللّسان العربي على الأعاجم ، فيتكلم هؤلاء بلغة غريبة على ألسنتهم ، بعد أن يتعذر عليهم نطق تراكيب كثيرة ، فيعبـــّـــروا عن

1- الفارابي "كتاب الحروف " ، ص 146 .
2- ينظر : صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ص 51
3- الفارابي "كتاب الحروف " ، ص 146 .

أفكارهم بلغة مستهجنة ، فيها لكنة وعجمة مأخوذة عن أولئك الأعاجم ، وعندما يكثر سماع الخطأ في كلام الأعاجم أوّلا ثمّ في كلام العرب الذين جاوروهم يصبح بلا قصد مألوفا على أنّه صواب ، وهذا سبب كاف لاستبعاد كلام هؤلاء من الصّناعة اللّغوية .[1]

ويفهم من كلام أبي نصر الفارابي – الذي تقدّم عرضه - أمران :

الأوّل :أخذت اللغة عن مجموعة من القبائل وهي قيس ، وتميم وأسد وطي ثمّ هذيل.

والثّاني : ثمّ استثناء باقي القبائل ولم يؤخذ بلغتها ، فبعضها كانت متضامنة لأمم أجنبية أحاطت بجزيرة العرب ، منها الفرس والبيزنطيين والأحباش ، وبعضها خالطت الأجانب بواسطة التّجارة أو المجاورة ، ومنها بنو حنيفة وسكّان اليمامة وثقيف والطائف فقد كانت لديهم تجارة مع أهل اليمن المقيمين عندهم ومنها كذلك أهل الحجاز الذين اختلطوا بغيرهم من الأجانب في المواسم المشهورة عندهم .[1]

وفي هذا الباب أيضا يقول الفارابي في كلام نقله عنه " **جلال الدّين السّيوطي ، من كتابه " الألفاظ والحروف " . " كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها عند النطق ، وأحسنها مسموعا أبينها عمّا في النّفس ، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللّسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فإنّ هؤلاء الذّين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتّكل في الغريب وفي الإعراب والتّصريف . ثمّ هذيل وبعض كنانة وبعض الطّائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة**

1- ينظر : الفارابي "كتاب الحروف ، ص 146 .

فإنّه لم يؤخذ عن حضري ولا عن سكّان البراري ممّن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذّين حولهم :

*** لم يؤخذ عن لخم ولا من جذام فإنّهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط .**
*** ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد فإنّهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربيّة**

*** ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنّبط والفرس .**
*** ولا من عبد القيس لأنّهم كانوا من سكّان البحرين مخالطين للهند والفرس .**
***ولا من أزد عمّان لمخالطتهم للهند والفرس .**
*** ولا من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم .**
*** ولا من بني حنيفة وسكّان اليمامة ولا من ثقيف وسكّان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم .**
*** ولا من حاضرة الحجاز لأنّ الذين نقلوا اللّغة صادفوهم ... قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم . "** [1]

وفي ما يأتي خريطتان بيانيتان [2] ، الأولى تظهر مواقع القبائل – على الأكثر – التي تردّدت لغاتها وشاعت في المعاجم العربية ، والأخرى تظهر مواقع القبائل التي أقصيت من دائرة الاحتجاج حسب نص الفارابي :

1- جلال الدين السيوطي " المزهر في علوم اللغة " ، 1 / 173 .
2- مرتاض عبد الجليل ، " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي : ، دار الغرب ، وهران ، الجزائر ، ط 2003 م ، ص 32 – 33 .

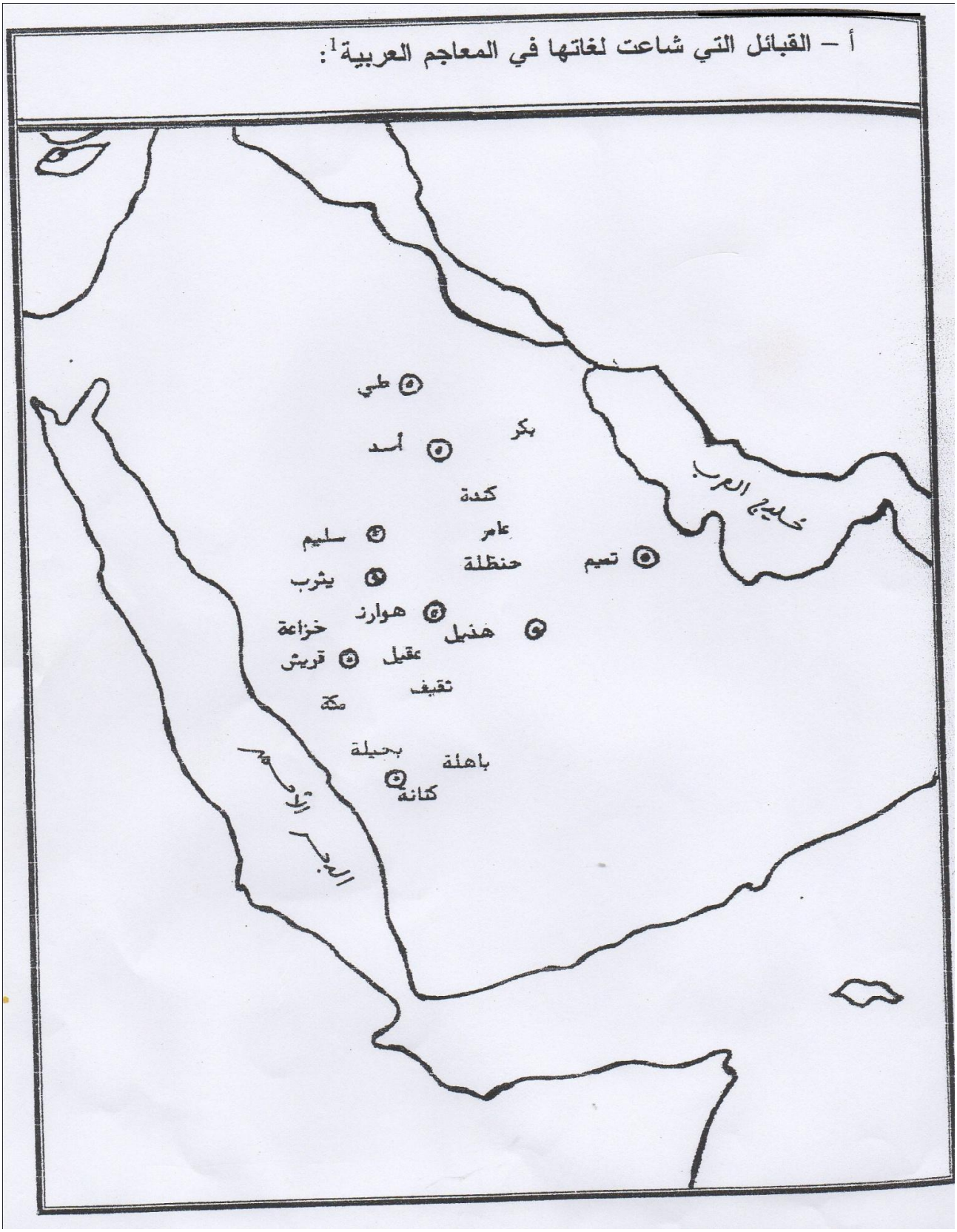

1- مرتاض عبد الجليل، " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي"، ص 32.

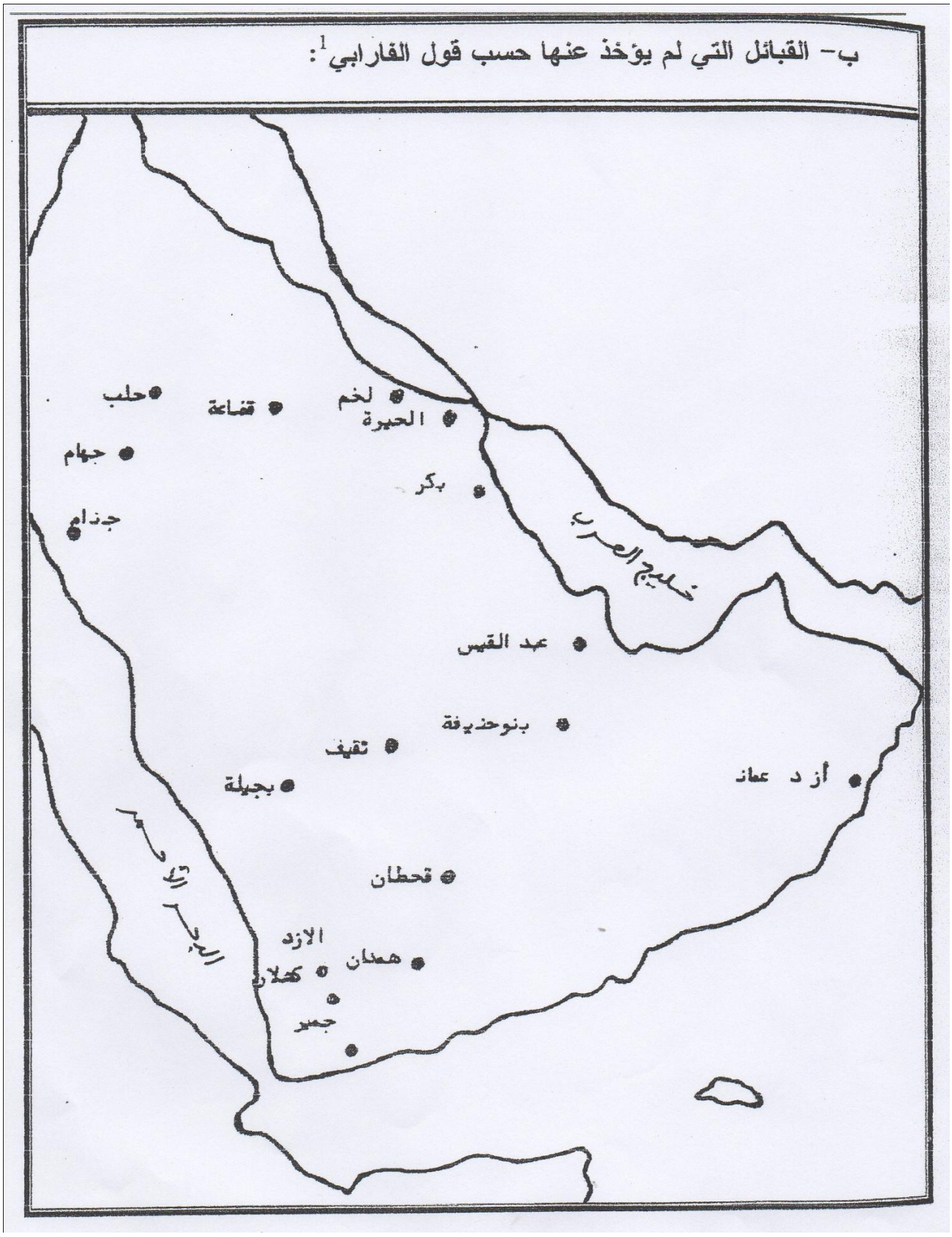

1- مرتاض عبد الجليل، " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي"، ص33.

الفصل الثـــانـي

ملامح المنهج اللغوي عند الفارابي

لقد قام منهج البحث اللغوي العربيّ على الدّراسة التّحليلية الشّاملة لمادّة العربيّة بغية اكتشاف القوانين التي تحكم اللّغة العربيّة بوصفها نظاما كاملا. واستوجب ذلك قبل كلّ شيء الانطلاق من الوحدة التي لا تنفصم بين الشّكل والمضمون فالبنية اللّغوية لا تستقلّ عن وظيفة اللّغة الاجتماعية لذا تميزت الآراء اللّغوية العربية منذ بداية تبلورها بأنّها لم تنطلق فقط من منهج وصفي بحث يعتمد على وصف الشّكل وتحديد البنية الخارجية لظواهر اللّغة فحسب بل انطلقت من منهج وصفي لا يكتفي بوصف البنية الظاهريّة للظّواهر اللغوية إنّما يكشف عن بناها العميقة، ويبيّن ارتباط خصائص البنية اللغويّة بالوظائف التي تؤيّدها في الكلام، ولذا جاءت الضّوابط والقواعد التي تمخّضت عن الدّراسة التّحليلية للمادّة اللّغوية العربيّة شاملة وعامّة لجميع جوانب النّشاط اللّغوي، ولم تقتصر على موضوع الصّرف والنّحو بل تعدّاها إلى الأصوات والقراءات والتّجويد...[1]

وللفلاسفة المسلمين أثر كبير في بناء الصّرح العلمي عند العرب، وذلك لما قدّموه من ثقافة كبيرة أغنت الفكر الإنسانيّ عموما، والعربي على وجه الخصوص إذ تفردوا عن غيرهم من الدارسين في طبيعة البحث وعمقه. وكان البحث اللغوي من الحقول العلميّة التي كتبوا فيها وأغنوها بدراستهم العلميّة الدّقيقة التي شغلت مساحة زمنيّة طويلة **"فهؤلاء آمنوا أنّ العلم هو مجموعة من الملاحظات والاستدلالات المؤسّسة عليها، ثم دراستها وأخذ الخلاصات منها، وهذه الخلاصات هي العلم، أي هي اكتشاف الحقائق ومعرفة القوانين التي تربط بين هذه الحقائق"**[2]

1- ينظر التواتي بن التواتي "المدارس النحوية"، دار الوعي للنشر والتوزيع،مصر، د ط 2008م،ص10.
2- علاء جبر محمد "المدارس الصوتية عند العرب"- النشأة والتطور- دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2006م،ص151.

وقد اهتمّ الفارابي في القرن الثّالث الهجري اهتماما جليّا بالبحث اللّغوي، يمكننا تبيان ذلك من خلال كتبه: الحروف، الموسيقا الكبير، الألفاظ المستعلمة في المنطق، فدراسته اللغوية تنمّ عن اطلاع واسع لعلوم اللّغة، وكان في عرضه للمادّة اللغوية طريقته ومنهجه الخاص، وقد تابعه المتأخرون في بعضها، وظلّ كثير منها خاصّا به وحده، لا يشركه فيها أحد من اللغويين العرب.

وفيما يلي حديث عن بعض ملامح منهجه اللغوي، ويمكننا تبيان ذلك عن طريق مباحث ثلاثة:

1. كيفية دراسة اللّغة.
2. منهج الفارابي الصّوتي والصّرفي.
3. منهج الفارابي النّحوي والدّلالي.

أولا: كيفية دراسة اللّغة

لقد وقع اهتمام العرب بالدّرس اللّغوي، باهتمامهم بالنّص القرآني حرصا منهم على تنقية لغتهم وفصاحتها، ولاسيما بعد دخول الأعاجم في الإسلام فاستهدف اللغويون والنحاة جمع لغتهم لحفظها من التّشويه والتّحريف، ولفهم النّص القرآني والوقوف على معانيه والإحاطة بدقائقه واجتنابا للتّحريفات سواء في الأصوات والألفاظ أوالمعاني، وكذلك الأساليب والقواعد، وقد قال **ابن خلدون** (ت 808 هـ) في هذا الشّأن:"**إنّه لمّا فسدت ملكة اللّسان العربي في الحركات المسمّاة ـعند أهل النّحوـ بالإعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ثم استمرّ ذلك الفساد إلى موضوعات الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم،**

مع هُجنة المتعرّبين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربيّة فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللّغوية، بالكتابة والتّدوين ، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشعر كثير من أئمة اللّسان لذلك وأملّوا فيه الدّواوين"[1].

ونلاحظ أن العامل الدّيني يؤدي دورا كبيرا في الاهتمام بالدّراسات اللغوية العربيّة.

ومن دواعي الاهتمام بالعربية أيضا حرص بعض أبنائها المتحمسين لها والمغرمين بحبها، على إظهار جمالها ودقّتها وفصاحتها في معالجة وكشف أسرارها في البنية والأسلوب والقواعد رغبة في تعلّمها وإتقانها. يقول ابن جنيّ في ذلك:" **لو أحسّت العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللّغة وما فيها من الغموض والرّقة والدّقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلا عن التّقديم بها، والتّنويه منها"**،[2] أي الاهتمام بإبراز مواطن الجمال في اللغة العربيّة، ومن أجل ذلك نشطت الدّراسات المختلفة خدمة لكتاب الله المحكم من خلال دراسة لغة القرآن فعكفوا بذلك على اللغة العربية بجمع مادّتها ودرس أصواتها ومفرداتها ووصف تراكيبها وألّفوا في ذلك كتبا لضبطها وروايتها.

كما أنّ من الأسباب أيضا التي أدّت إلى ظهور الدّرس اللغويّ هو ذيوع ظاهرة خطيرة تسمّى باللّحن النّاجم عن دخول الأعاجم إلى الإسلام، واختلاط العرب بغيرهم وفي هذا يقول تمام حسان:" **لقد نشأت دراسة اللّغة العربيّة الفصحى علاجا لظاهرة كان يخشى منها على اللّغة وعلى القرآن، وهي التي سمّوها ذيوع اللّحن"**.[3]

1- ابن خلدون "المقدمة"، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط3، دت، 1268/3.
2- ابن جني "الخصائص"، 242/1.
3- تمام حسان "اللغة العربية معناها ومبناها"، عالم الكتب، ط5، 1427هـ- 2006م، ص11.

1- منهج البحث اللغوي عند العرب:

انتهج علماء العرب منهجا متميّزا في البحث اللّغوي قائما على تذوّقهم وإعمال العقل ودقّة الملاحظة، ولذلك يرى الباحثون أن النظرية اللغوية العامّة في التّراث العربي تقوم على إجراءين بارزين هما: التّصنيف والتّحليل، هذا إلى جانب الإجراء الوصفي الذي نفاه بعض الدّارسين عن تراثنا اللغوي العربيّ، وكذا إجراء المقارنة التي تعدّ مقدمة ضرورية للتّصنيف.

أسس البحث اللغوي ومنهجه:

- **جمع اللغة:**

وهكذا بدأ العرب القدماء منذ الأجيال الأولى جمع المادّة اللغوية من أماكنها الصحيحة التي اعتقدوا أنّها مناطق الفصحى البعيدة عن اللحن، والبعيدة عن مناطق التأثر باللغات الأجنبية المحيطة بشبه الجزيرة العربية،" **فلقد خرج عدد كبير من اللغويين إلى البادية،أخذ كل منهم يجمع اللغة من أبناء القبائل العربيّة، وبذلك ثم إنجاز أوّل عمل لغوي ميداني في الجزيرة العربية....ولم تكن عملية جمع اللغة شاملة لتسجيل كل الألفاظ التي عرفتها القبائل العربيّة، بل كان اللغويون يصدرون في اختيارهم للقبائل، واختيارهم للرّواة على ميدان أساسيّ هو تسجيل اللغة الفصحى والابتعاد عن الصيغ والألفاظ غير الفصحى، وبهذا المعيار ركّز اللغويون عملهم على لغة تلك القبائل التي تقترب كل الاقتراب من العربيـّة الفصحى ورفضوا لهجات القبائل المختلفة، وظل هذا الأساس سائدا في عملية جمع اللغة في القرن الثاني الهجري**"[1]

1- محمود فهمي حجازي "علم اللغة العربية"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص95-96.

ويمكننا القول إنّ ألفاظ اللغة العربية دوّنت و رتّبت خلال مراحل تاريخيّة، بدأت المرحلة الأولى منها منذ أواخر القرن الأوّل الهجريّ واستمرّت قرابة مائة عام، أي حتى أواخر القرن الثانيّ الهجري وكان علماء اللغة يأخذون الألفاظ العربيّة من أفواه عرب الصّحراء، أو الوافدين على الأمصار الذين لم تتأثر ألسنتهم بمخالطة الأعاجم.[1]

هذه العملية في جمع اللغة تنمّ عن منهج دقيق **"فمنهج الأقدمين في جمع اللغة علمّي دقيق يعول على الملاحظة والاستقراء، والإفراط في الحيطة أحيانا، حتى لنستطيع أن نكون مطمئنين إلى أكثر ما استنتجوه من خصائص لغتنا التي تجنّبوا أخذها عمّن تشوب عربيتهم أيّ شائبة، فقد اقتصر أخذهم للغة على عرب البادية، وعلى فصاحتهم بشكل خاص"**[2].

2- **كيفية دراسة الفارابي للغة**:

يصف لنا الفارابي في كتابه الألفاظ والحروف منهج العلماء الأوائل في التّقعيد للغة، فلقد مهّد الفارابي لهذا النص بوضع نظرية يفسّر فيها حدوث الخطأ واللحن في اللغة فيقول:**"وقد يجب لذلك أن يعلم من الذين ينبغي أن يؤخذ عنهم لسان تلك الأمّة، فيقول إنّه ينبغي أن يؤخذ عن الذين تمكّنت عادتهم لهم على طول الزّمان في ألسنتهم وأنفسهم تمكّنا يحصنون به عن تخيل حروف سوى حروفهم والنطق بها، وعن تحصيل ألفاظ سوى المركبة عن حروفهم وعن النطق بها ممّن لم يسمع غير لسانهم ولغتهم أو ممّن سمعنا وجفا ذهنه عن تخيلها ولسانه عن النطق بها، وأمّا من كان لسانه مطواعا على النطق بأي حرف شاء ممّا هو خـــــارج عن**

1- ينظر عبد اللطيف الصوفي "اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية"، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1 ،1986م، ص36-37.

2- صبحي إبراهيم الصالح "دراسات في فقه اللغة"، دار العلم للملايين، ط1 1379 هـ / 1960م، ص110.

حروفهم وبأي لفظ شاء من الألفاظ المركّبة عن حروف غير حروفهم وبأيّ قول شاء من الأقاويل المركبة من ألفاظ سوى ألفاظهم فإنّه لا يؤمن أن يجرى على لسانه ما هو خارج عن عاداتهم الممكنة الأولى فيعود ما قد جرى على لسانه فتصير عبارته خارجة عن عبارة الأمة ويكون خطأ ولحنا وغير فصيح".[1]

و يستمرّ الفارابي في تحديد هذا الإطار فهو يوضّح أنّ اللغة تؤخذ عن سكّان البراري للتوحّش والجفاء الذي فيهم، ولتوغلهم في البادية وبعدهم الشّديد عن كل ما قد يفسد لسانهم. ولا تؤخذ اللغة عن سكان المدن والقرى ومن يسكن في الأطراف وذلك لاختلاطهم بغيرهم من العجم بحيث يصبح لسانهم مطواعا بأن يتكلموا بلغة غربية عن ألسنتهم فيتعوّدوا الخطأ، فتصبح لغتهم فاسدة وفيها قبح ولكنة، وقد عبر الفارابي عن ذلك قائلا:" **ولمّا كان سكّان البرية في بيوت الشعر أو الصوف والخيام والأحسية من كلّ أمّة أجفى وأبعد من أن يتركوا ما قد تمكّن بالعادة فيهم وأحرى أن يحصنوا نفوسهم عن تخيل حروف سائر الأمم وألفاظهم وألسنتهم عن النطق بها وأحرى أن لا يخالطهم غيرهم من الأمم للتوحّش والجفاء الذي فيهم، وكان سكّان المدن والقرى وبيوت المدر منهم أطبع وكانت نفوسهم أشد انقيادا لتفهم ما لم يتعودوه ولتصوّره وتخيله وألسنتهم للنطق بما لم يتعوّدوه، كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمة عن سكان البراري منهم متى كانت الأمم فيهم هاتان الطائفتان ويتحرى منهم من كان في أوسط بلادهم. فإنّ من كان في الأطراف منهم أحرى أن يخالطوا مجاوريهم من الأمم فتختلط لغاتهم بلغات أولائك، وأن يتخيلوا عجمة من يجاورهم فإنهـــم إذا**

1- الفارابي "كتاب الحروف"، ص45.

عاملوهم احتاج أولائك أن يتكلموا بلغة غريبة عن ألسنتهم، فلا تطاوعهم على كثير من حروف هؤلاء. فيلتجئوا إلى أن يعبّروا بما يتأتى لهم ويتركوا ما يعسر عليهم. فتكون ألفاظهم عسيرة قبيحة وتوجد فيها لكنة وعجمة مأخوذة من لغات أولائك. فإذا كثر سماع هؤلاء ممّن جاورهم من هذه الأمم للخطأ وتعودوا أن يفهموه على أنه من الصّواب لم يؤمن تغير عادتهم، فلذلك ليس ينبغي أن تؤخذ عنهم اللغة".[1]

وبعدما ينتهي الفارابي من تحديد من يمكن أن يؤخذ عنه اللغة يبرهن على ذلك بما يرى أن العلماء العرب الأوائل قاموا به عند تدوينهم اللغة العربية وتقعيدها فيقول: **"وأنت تتبين ذلك متى تأمّلت أمر العرب في هذه الأشياء، فإنّ فيهم سكّان البراري وفيهم سكّان الأمصار. وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مائتين، وكان الذي تولّى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق. فيتعلّموا لغتهم والفصيح منها من سكّان البراري منهم دون أهل الحضر، ثم من سكّان البراري من كان في أوسط بلادهم ومن أشدّهم توحّشا وجفاءا وأبعدهم إذعانا وانقيادا وهم قيس وتميم وأسد وطي ثم هذيل، فإنّ هؤلاء هم معظم من نقل عنه لسان العرب. والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء لأنّهم كانوا في أطراف سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر".**[2]

1- الفارابي "كتاب الحروف"، ص146.
2- نفسه: ص147.

ويلاحظ من كلام الفارابي السّابق أنّ الرّواة وعلماء اللغة آثروا الأخذ عن القبائل التي تسكن في وسط الجزيرة العربيّة ونسبوا إليها الفصاحة وإجادة القول لاعتقادهم بأنّ اللحن لم يتسرب إلى لغاتها وأشهر تلك القبائل التي نقل عنها جلّ ما وصلنا من العربية الفصحى هي: قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين وقام منهجهم على اعتبار أن الفصحى هي لهجات هذه القبائل على تعدّدها وطول الزمن بها.[1]

والظاهر ممّا سبق أنّ العلماء قد أسّسوا فصاحة القبيلة على دعامتين:

الأولى: قرب مساكنها من مكّة وما حولها، وبعض أطراف الجزيرة العربية ومخالطة الأمم الأخرى.

والثانية: مقدار توغّلها في البداوة، ولذلك رأيناهم يعتزّون بلغة القبائل الحجازية بوجه عام، وقبائل نجد ووسط الجزيرة والقبائل البدوية المتوغّلة، في البداوة ونستطيع أن نلمس ذلك بوضوح في كتاب سيبويه فقد ذكرت فيه القبائل التالية: الحجاز، تميم، أسد، طي، قيس، هذيل. و أدّى هذا المنهج إلى تقسيم القبائل العربية إلى فصيحة وغير فصيحة، **"وكثيرا ما كان سيبويه يشير إلى تشدّده في تصويب الاستعمال اللغوي بردّه إلى العرب التي ترضى عربتيهم أو العرب الموثوق بهم أو بعربتيهم، ولكن سيبويه نفسه كان يرى أنّ هؤلاء العرب الموثوق بعربتيهم هم عرب الحجاز، فيجنح غالبا إلى ترجيح لغة الحجاز إذا اختلفت اللهجات".**[2]

1- ينظر الفارابي "كتاب الحروف"، ص147.
2- صبحي إبراهيم صالح "دراسات في فقه اللغة"، ص110.

3- اللغة المحكية والمدونة:

إنّ المتتبع لتاريخ الدّرس اللغوي يدرك حقيقة لا جدال فيها هي أنّ الدّرس اللغوي منذ بعثه إنّما بعث من اللغة المحكية التّي تمثل بالسّماع التّي بقيت طوال قرون بفعل هذه الوسيلة (السّماع)،"**ولا شك في أنّ اللغة المحكية أو المنظومة ذات قوانين يراعيها المتكلم بدقة، ويصدر عنها في كلامه، ولكنّه لا يشعر بالعناء، بل إنّه لا يكاد يفكر فيها، لأنّها عنده لا تزيد على عادات اعتادها منذ أن تعلّم اللغة من المحيط الذي حوله، وعمل اللغوي أن يكشف عن تلك القوانين المرعيّة، وأن يوضح القواعد التي يتقيد بها المتكلم الأصيل... وعلى هذا يكون السماع عملية صعبة، فهو مجموعة من الأعمال تبدأ بالتأملات وتنتهي بالكشف عن القواعد ويقوم بين البدء والانتهاء والتصنيف، والتقسيم والاستقراء على أنّ السماع لا يقف عند حدود الاستنباط، بل تناط به أعباء أخرى ومن غير العسير تحديد المهمات التي توكل إليه**".[1]

فقد "**اعتمدت العرب لقلّة عنايتها بالكتابة على الرّواية والمشافهة لحفظ تاريخها وتراثها وجعلت ذلك عادة لها في جاهليتها وصدر إسلامها، حتى وصلت من جرّاء هذا التعود إلى اكتساب ملكة في الحفظ والاستظهار قلّما تمتّعت بها أمّة غيرها في العالمين القديم والوسيط...**"[2].

1- محمد خير الحلواني "أصول النحو العربي"، مطبعة الشرق، حلب سوريا، ط 1979م، ص 15-16.
2- تمام حسان "الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب"، عالم الكتب ، القاهرة أميرة للطباعة، 1420هـ/2000م،ص 80-81.

فلقد ركّز اللغويون العرب على الرّواية والمشافهة،**"وهكذا أصبحت الرّواية والمشافهة نمطا سلوكيا عربيّا لحفظ التراث والأمجاد القوميّة، وورث الإسلام ذلك عن المجتمع الجاهلي، فأدخل هذا النمط من الضبط والتحسين ما جعله موضع الثقة والاحترام في حقل التّوثيق والتّسجيل فلمّا دوّن التراث الإسلامي بعد ذلك كان تدوينه في صدور الرّجال الذّين تعلّموا كيف يدققون الأخذ والتّحمل عن المصادر التّي استقوا منها مادّتهم بالرّواية والمشافهة، ووصلوا في ذلك إلى درجة من الدقة والأمانة لم تصل إليها من قبلهم أمّة من الأمم، فعلوا ذلك بدافع ديني جعلهم ينظرون إلى صحة النقل والأداء... ولاسيما حين كان الأمر يتعلق بالقرآن ثم بالحديث"**[1].

فالكلام على العموم يتجلى في صورتين إحداهما النطق والأخرى الكتابة، وفي الكثير من الدّراسات الحديثة يظهر الاهتمام بالكلام المسموع بواسطة النطق وبصورة أوسع من الكلام المكتوب ذلك أنّ المصدر الأوّل هو السّماع وتقديمه على الآخر إنّما لقدم مصدره المتمثل في السّماع مقابل حداثة الكتابة.[2]

ويعتمد الكلام المنطوق على أمرين:

الأول: حركي يتمثل في مخارج الأصوات، والآخر سمعي يتمثل في الصفات وذلك ما يظهر **"الاختلاف بين الأصوات المنطوقة، فأمكن أن تكون منطقا مناسبا، للسعي إلى إنشاء نظام صوتي لغوي تستخدم فيه هذه القيم الخلافية بين المخرج والمخرج، وبين الشدّة والرّخاوة مثلا وبين الجهر والهمس وبين التنغيم والترقيق..."**[2]

1- تمام حسان "الأصول" دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ،ص 81.
2- تمام حسان "اللغة العربية معناها ومبناها"، ص46.

وإذا قارنت بين النّظامين، الصّوتي (المسموع) والكتابي ستدرك الفرق من حيث تعدّد الأسس فلا يمكن أن يكون للنّظام الكتابي تركيبا أو تنوعا كالذي نراه في النظام الصّوتي.[1]

ثم إنّ الكلام المسموع أغنى وأكثر تنوّعا من الكلام المكتوب، ذلك أنّ النطق يختص بالظواهر السياقية أو الظواهر الموقعية ممّا يضفي على هذا النوع من الكلام (المسموع) طابع التضارب بينه وبين قواعد اللغة بشتّى مجالاتها: الصّوتية والصّرفية والنّحوية.[2]

والظواهر الموقعية أو المعالم السياقية كالنبر والتنغيم والتأليف والإدغام والمناسبة والتوصل والتخليص والحذف والإسكان والإشباع، غيرها لا تعدو أن تكون حلولا تقدمها اللغة إذا أردنا بتطبيق القواعد على الكلام المنطوق عند حدوث ذلك التضارب أو ظهوره[3].

ثم إنّ الكلام المسموع أقدر على كشف المعاني والدّلالات قياسا بالكلام المكتوب، لأنه يحتوي ظاهرتي النبر والتنغيم وما يعوض ذلك في الكتابة منهج الترقيم في مقابل التنغيم ، لكن ليس فيها ما يعوض النبر[3].

ولهذا "**كانت دراسة الكلام المنطوق المسموع مقدمة لا بد منها لدراسة الأنظمة- القواعد- اللغوية، أو بعبارة أخرى لدراسة اللغة نفسها**"[3]

ومن هنا يمكننا القول إنّ مصدر الدّراسة اللغوية عند العرب، كان مرجعه المدوّنات الشفهية التي سمعت عن القبائل الفصيحة وأهل البادية بطرق مباشرة وأخرى غير ذلك، أمّا جماع اللغة والمستمعون لهذه المدوّنات فقد اعتمدوا منهجين في مهمّتهم المباركة: المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي.

1- تمام حسان "اللغة العربية معناها ومبناها"، ص46.
2- نفسه: ص46-47.
3- نفسه: ص47.

وفيما يأتي بيان كلّ منهما على الترتيب المنهجيّ في عملية جمع المدوّنات السماعية.

أ. **المنهج الاستقرائي**:

وفيما يخصّ الاعتماد على هذا النوع من المناهج العلميّة، فذلك لما يتطلبه العمل من تتبّع تصاعدي للظاهرة اللغوية، من خصوصياتها إلى عمومياتها أو من جزئياتها وصولا إلى كلياتها، وتلك طريقة علمية استدلالية تصاعدية، تعتمد على قاعدة تحليل (جزء- كل) طلبا للمعرفة اليقينية، بشأن السّماع وغيره من الظواهر اللغوية الكثيرة.[1]

ويقوم هذا المنهج أساسا على وصف ما يسمع من تراكيب متتالية (اللامتناهية) متشابهة في قواعدها، ومتباينة في خطاباتها ومتفاوتة في مستوياتها اللغوية، لأنّ السّامع(جامع اللغة) كان يقف متحيّزا في أحيان كثيرة أمام لهجات اجتماعية وأخرى جغرافية **"... فضلا عمّا كان يلاحظه من كلمات متنوّعة لم يجد لها في عاجلته وهو في البادية تفاسير لسانية منتظمة صارمة إذ علاوة على النّوعين السّابقين من السّماع الذي يصطدم به، فإنّه كان يصطدم بتلك الكلمات التي ترجع إلى لغة واحدة"**[2]

وكلّ لهجة من اللهجات العديدة التّي تنتهي بلا شك إلى لغة أمّ أصلية واحدة تتميز بخصائص نحوية وصرفية وصوتية مستقلة بها، وما على المستمع أو الملتقى لمدونات هذه اللهجات إلا:[3]

1- عبد الناصر جندلي "تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1 2005م،ص 142- 143.
2- مرتاض عبد الجليل "الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة"، ص45.
3- نفسه : ص 46.

أ- أن يسمع النص أو المدونة من جهة.

ب- أن يسجلها أو يحفظها إذا تعذرت الكتابة من جهة ثانية.

ت- أن يراجع ما سجّله أو حفظه من مدوّنات ويوازن بين اللهجات والظواهر اللغوية والصّوتية من جهة ثالثة.

ث- أن يستنتج قواعد اللغة وضوابطها من جهة أخرى.

ج- أن يتقصى مرويّات جمّاع اللغة غيره ممّن عاصروه أو سبقوه بالرّواية أو مصادر السماع التّي يسعه بلوغها ويقف على مواطن الاختلاف ومثلها في الاتّفاق، وفي هذه المرحلة يصبح السّماع **" مصدرا من مصادر التمذهب و التفلسف مثلما كان مصدرا أساسا في نشأة الدّراسات اللغوية ذاتها"**.[1]

ب. **<u>المنهج الاستنباطي</u>**:

إذا كان الاستنباط يتمثل في " **الاستدلال التنازلي الذي يتنقل فيه الباحث من الدّراسة الكلية لظاهرة معينة وصولا إلى جزئياتها"**.[2] فإنّ المنهج الاستنباطي هو تلك الطريقة المنهجية الاستدلالية التنازلية التّي تعتمد على قاعدة تحليل (كل جزء) من أجل الوصول إلى معرفة يقينية بشأن الظاهرة محلّ الدّراسة والتّحليل.[3]

وكان هذا دأب جمّاع اللغة بعد أن يطبّقوا المنهج الاستقرائي على ما تسنّى لهم جمعه، فتقودهم الحاجة إلى ضرورة الاستنباط بعد الاستقراء.

1- مرتاض عبد الجليل "الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة"، ص46.
2- عبد الناصر جندلي "تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية"،ص 133.
3- نفسه: ص134.

وانطلاقا من المراحل الأربع الأولى التّي يتوجّب على السّامع الوقوف لها من المراحل التي أشرت إليها في سبيل استقراء مادته اللغوية (المدوّنة)، فإنّ المرحلة التالية بعد ذلك هي مرحلة البحث على الأدلة ووضع تفسيرات مقنعة للقواعد المستنبطة من تلك المدوّنة اللغوية.[1]

وهذا هو المنهج الملائم لهذا الغرض، فيحاول أن يكشف عن بنيوية اللغة وما إلى تلك من علاقات لسانية داخلية وخارجية، مستعينا في ذلك بمنهج حميم للسّماع، إنّه القياس اللغوي، حتى تكتب لتلك القواعد حياة في أمّهات الكتب والمعاجم اللغوية.[2]

والدافع وراء العودة إلى الأصل إنّما هو قدرة المتكلم أو الرّاوي صاحب المدوّنة (الأصل) على إنشاء مدونات لا متناهية باللهجة الواحدة وعليه فالإحاطة بكل ظواهر اللغة عن طريق مدونات هذه اللغة ذاتها أمر يصعب بل إنّه محال لأنّها متعلقة في كل الأحوال والأماكن بالرّاوي المصدر صاحب السماع وليست متعلقة بنظيره المستمع المروي له.[3]

فإرادة المرسل إليه (الملتقى) ورغبته تنحصران في استقبال المدونات وليس من مسؤولية الحد من الكلام أو الإلمام به، وكم كانت جهود اللسانيين العرب المتقدمين ذات قيمة وأهمية، في سبيل بعث مدونات اللغة العربية إلى الخلود[3].

والقول بغير هذا إجحاف وظلم في حقهم، كما يرى آخرون من الذين ينسبون ذلك الفضل إلى رجالات الغرب، الذين تناولوا ظواهر اللغـــــــــة

1- مرتاض عبد الجليل "الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة"، ص46.
2- نفسه: ص46.
3- نفسه: ص47.

صوريا ورياضيا مجردة من الجمالية والفنية، وباق القيم، وليس لهم إلا ما حقّقوه في جانب الاستقامة النّحوية والعلاقات الدّلالية وإلاّ ما صحّ أن يوصف عملهم بأنّه: لسانيات.[1]

4- موقف الفارابي من اللغة المحكية والمدوّنة:

يوضّح الفارابي أنّ مبعث الدّرس اللغوي كان من اللغة الشفهية المروية بالسّماع فإذا أراد عربي أو باحث في اللغة أو دارس لها أن يحدث صناعة علم اللسان فعليه أوّلا حفظ ما يقع بين يديه من ألفاظ فصحاء العرب وكلماتهم المفردة الدّالة، بعد أن يحفظ أشعارهم وأمثالهم وخطبهم المرموقة، ويتوجّب عليه أن يفردها بعد التّركيب، وإلا فحريّ به أن يلتقطها **"بالسّماع من جماعتهم المشهورين باستعمال الأفضل من ألفاظهم وفي مخاطباتهم كلّها، وممّن عني بحفظ خطبهم وأشعارهم وأخبارهم أو ممّن سمع منهم، فيسمعها من واحد منهم في زمان طويل، ويكتب ما يسمعه منهم ويحفظه"**.[2]

فالتّقعيد للغة عند الفارابي يتمّ عن طريق اللغة المحكية بالسّماع ممّن يوثق بعربتيهم ثم بعد ذلك تأتي مرحلة ثانية وهي مرحلة تذوّق المسموع وفرزه وتتمّ هذه العملية بواسطة فصحاء تلك الأمة وبلغائها فهم الذين يتولون هذه المسألة **"وهؤلاء هم الذين يركّبون لتلك الأمة ألفاظا كانت غير مركّبة قبل ذلك... وهم الذين يتأمّلون ألفاظ هذه الأمة، ويصلحون المختلّ منها وينظرون إلى ما كان النطق به عسيرا في أوّل ما وضع فيسهلونه وإلى ما كان بشع المسموع فيجعلونه لذيذ المسموع، وإلى ما عرض فيه**

1- مرتاض عبد الجليل "الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة"، ص47.
2- الفارابي "كتاب الحروف"، ص145.

عسر النطق عند التّركيبات الذي لم يكن الأوّلون يشعرون به ولا عرض في زمانهم فيعرفونه أو يشعرون فيه بشاعة المسموع، فيحتالون في الأمرين جميعا حتى يسهلون ذلك، ويجعلوا هذا لذيذا في السمع"[1].

ويتضّح من كلام الفارابي أنّ العرب في تقعيدهم للغة اعتمدوا على اللغة الشفهية المرويّة عبر السّماع وإنّ هذه المنهجية المتتبعة في نقل الكلام المسموع أو المحكي تتمّ وفق مراحل فبعد عملية السّمع للمدوّنات الشّفهية تأتي المرحلة الثّانية ألا و هي مرحلة تركيب ألفاظ تلك الأمّة وهذا ما رمز له بقوله (لذيذ السّمع)، وإصلاح المختلّ منها ورمز له بقوله (بشاعة المسموع).

فالفارابي نظّر إلى اللغة، ثمّ بعدها تناول المباحث اللغوية بالدّراسة، فما منهجه في تناول هذه المباحث اللغوية؟

ثانيا: منهج الفارابي الصّوتي والصّرفي

لاشك أنّ الاهتمام بالصّوت والأصوات اللغوية، ليس جديدا وإنّما هو قديم قدم النّطق الإنسانيّ، وقد اهتم به قدماء الهنود واليونانيون والعرب، إلاّ أنّ اهتمام الهنود كان أوسع وأدق، ولم يضارع الهنود في ذلك إلاّ العرب، فللعربيّة تفرّد في مجال الأصوات يشهد به أهلها، وحتى الأجانب عنها، فقد أشاد بعض الباحثين الغربيّين بجهود العرب في علم الأصوات على الرغم من قلّة الإمكانات وعدم وجود الآلات الحديثة التي توفّرت للمحدثين، يقول **برجشتراسر** الألماني:**"لم يسبق الغربيّين في البحث الصّوتي إلاّ قومان من أقوام الشرق وهما الهنود والعرب"**[2].

1- الفارابي "كتاب الحروف"، ص144.
2- برجشتراسر "التطور النحوي للغة العربية"، أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م،ص 11.

ويقول فيرث: **"إنّ علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدّستين هما السّنسكريتية والعربيّة"**[1].

وقد اهتمّ الفارابي في القرن الرابع الهجريّ اهتماما جليا بالصّوت يمكننا تبيانه من خلال كتابه: الموسيقا الكبير خاصّة، وقد تضمّن هذا الكتاب دراسة صوتيّة جادّة، تابعه المتأخّرون في الكثير منها.

كما تناول الفارابي أيضا العديد من المباحث الصّرفية في كتابه المسمّى بالحروف.

1- أصول الدّرس الصّوتي ومصادره:

اللغة أصوات باتفاق أهلها وفي هذا يقول ابن جنيّ (ت 392هـ): **"اللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"**.[2]

ويسجل تاريخ الدّرس اللغوي بعامّته والصّوتي منه، أنّ **الخليل بن أحمد** (ت 175هـ) كانت له بصمات مميّزة واضحة في المجال الصّوتي، فهو أوّل من استخدم المفاهيم الصّوتية في صناعة أوّل معجم عربيّ بترتيب صوتي، يعنى بدراسة الأصوات وموسيقا اللغة معتمدا على سمعه المرهف الحسّاس **"فوجّه عنايته لأوزان الشّعر وإيقاعه واستخرج لنا بحور الشّعر وقوافيه أو علم العروض الذّي لا يعدو أن يكون دراسة صوتية لموسيقى الشّعر"**[3].

1- برجشتراسر "التطور النحوي للغة العربية"،ص 11.
2- ابن جنى "الخصائص"، 33/1.
3- رمضان عبد التواب "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1403هـ- 1983م،ص14.

ويمكن حصر عمل الخليل في المجال الصّوتي على الجوانب الآتية وهي أنّه"**أعطى الحركات العربيّة- الصّوائت- أشكالها الحالية فهو الذي جعل الفتحة ألف صغيرة منبسطة فوق الحرف، وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته، وللضمة واوا صغيرة فوقه، فإذا كان الحرف المتحرك منونا كرر الحرف الصّغير ويكتب مرّتين فوق الحرف أو تحته**".[1]

ولم يتوقف عمل الخليل عند هذا بل تجاوزه إلى وضع علامات صوتية أخرى تنظّم النّطق وتخدم الأداء، وفوق هذا يشهد له أنّه ألّف كتابين واحدا في النغم وأخر في الإيقاع، وأنّه استحدث في مصطلحات الصّوائت العربيّة ما يزيد عن عشرينا مصطلحا جميعها تصبّ في المجرى الصّوتي.[2]

ويلي ذلك **سيبويه** (ت 180هـ) إذ لولا أهميّة هذه الدّراسة لما تطرّق إليها في مؤلفه "**الكتاب**" إذ خصّص القسم الأخير منه لأصوات اللغة العربية، فقال:"**هذا باب عدد الحروف العربيّة ومخارجها ومهموسا ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها**".[3]

وفي هذا النّص تعرّض سيبويه لقضايا مهمّة مفيدة وهي: العدد، والجهر والهمس، وأحوال التبدّل.

إلاّ أنّ هناك من أسهموا في إثراء الدّرس الصّوتي على غير تخصّص ونذكر منهم القرّاء "**وكان انشغالهم بالصّوت هو تجميلـــــــــــه**

1- مكي درار " الحروف العربية وتبادلاتها الصوتية في كتاب سيبوسه" (خلفيات وامتداد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2007م،ص 53.
2- نفسه: ص 25.
3- سيبويه "الكتاب"، 431/4.

وتحسينه ممّا دفعهم إلى البحث في معرفة مواقع حدوث الصّوت وصفاته"[1].

وهناك طائفة أخرى اهتمّت بالصّوت وهم اللغويون ومعظمهم كانوا مقرئين و **"انصرف انشغالهم بالصّوت إلى تعليل المباني الانفرادية وتحليلها وأكثر مواضع الدّراسات الصّوتية عند اللغويين هي الإدغام والإبدال والقلب والإحالة"**[2].

بالإضافة إلى طائفة أخرى مهتمّة بالصّوت وهم الأطباء **"وكان اهتمامهم بالصّوت متوجّها إلى معالجة النّفوس بالموسيقا، وكذا علاج أمراض النّطق ومن أشهر هذه الآثار ما ورد عن حديث الصّوت في كتابي القانون والشّفاء للحسين بن عبد الله بن سينا وكذا رسالته في أسباب حدوث الحروف، وكتابا الحروف والموسيقا لأبي نصر الفارابي"**[3].

فالفلاسفة ولتفكيرهم الدّقيق، وبحثهم العميق وحرصهم على إيجاد العلاقات القائمة بين الصّوت الدّي هو كلام والكلام الدّي هو صوت من جهة أخرى، قدّموا لنا دراسة قيّمة في هذا المجال، وذلك بفضل ما كتبوه وقدّموه من دراسات علميّة دقيقة حول ذلك. فلم يكتف الفلاسفة بدراسة الأصوات من زاوية واحدة، بل تعدّدت زوايا النّظر وتنوّعت، ولقد أولى الفلاسفة عناية فائقة بالجانب الفيزيائي الدّي درسوه في مصنّفاتهم المتعدّدة وأولوه عناية فائقة، فلم يقف الفلاسفة عند الأمور العامّة لهذه الدّراسة بل وقفوا على الخصائص الجزئية في علم الصّوت.

1- مكي درار "المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية"، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، ط2، 2006م،ص 27.
2- نفسه: ص28.
3- مكي درار "المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية"،ص 28.

واهتمام الفارابي بالصّوت يبدو جليا في كتابه: الموسيقا الكبير وهو مؤلف ينضوي على ما يزيد عن 1200 صفحة **"ويشتمل على جزئيين : الجزء الأوّل: مدخل إلى صناعة الموسيقا، والجزء الثّاني في صناعة الموسيقا"**.[1]، فقد قدّم دراسة جدية حول الموضوع وقد مكّنه حسّه الموسيقي بتقديم دراسة متناهية في الدقة، فكلّ الدّين جاؤوا من بعده أخذوا منه في هذا المجال. ولم يزد المتحدّثون إلاّ تغيير بعض المسمّيات وتابعه حتّى المتأخّرون في بعضها وظلّ كثير منها خاصّا به وحده لا يشركه فيها غيره من اللغويين العرب.

2- **منهج الفارابي الصوتي**:

إنّ المنهج العلميّ في الدّراسة بات المطلب الأساس الدّي تقوم عليه الدّراسات العلمية الرّصينة، فهو الأساس الذي تستقيم بواسطته الدّراسة ويتبين ما هو صحيح فيها وما هو خطأ.[2]

وقد حاول الفارابي أن يسير على خطّ منهجيّ واحد في دراسته للجانب الصّوتي، وهو أمر يدعونا إلى الاعتزاز بالجهد الذي بذله العلماء العرب في دراستهم للجانب الطبيعي للأصوات على الرّغم من أنّ نظرة الفارابي لم تظهر في شكل نظرية صوتيّة متكاملة إذ فرضت عليه طبيعة الدّراسة أن تكون المادّة عنده متجزئة في بطون مؤلفاته وإن كان مؤلفه الضّخم يشمل على دراسة كبيرة في هذا المجال.

1- أبو نصر الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، تحقيق وشرح غطاش عبد المالك خشبة، مراجعة وتصدير محمود أمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ط ، دت، ص 1191.
2- ينظر علاء جبر محمد "المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور"، ص147.

ويمكن القول أنّ منهجيته تكاد تكون منهجية شاملة تسري على جميع ظواهر علم الأصوات الطّبيعي، وإن كان الموضوع عنده يعتمد على التّجربة الفردية كقياس سرعة الصّوت بالنسبة إلى سرعة الضوء، وقد أخذت هذه المنهجية بعد ذلك تتحوّل من ملاحظة فردية إلى قانون شامل تناقله الفلاسفة فيما بينهم[1].

فالحكم على منهجه في الدّراسة الصّوتية يظهر بشكل كبير في تناوله للجانب الطبيعي (الفيزيائي)، لكونه من أبرز المواضيع التّي حاول الفارابي دراستها والوقوف عليها، فضلا عن بقية المواضيع الصّوتية الأخرى. فكان لا بد لنا من معرفة ملامح وأبعاد المنهجية الصّوتية التي سار عليها الفارابي، فالجهد الصّوتي عنده كان متكاملا وإن عني عناية خاصّة بالدّراسة الصّوتية الفيزيائية فيه، إذ شملت دراسة موضوعات هذا العلم، واقتربت كثيرا من نظريات الدّراسة الحديثة للصّوت على المستوى الفيزيائي والنّطقي.

ويمكننا القول "**إنّ الدّراسة الصّوتية عند الفلاسفة عموما أخذت عنهم بالتّركيز والتطوّر من حيث السّعة وإضافة المفاهيم والمصطلحات، فنحن نجد الفكرة المعيّنة مثلا تبدأ عند أوّلهم لتتسّع عند آخرهم، وتأخذ ما هو أشمل وأوسع في الدّراسة مكوّنين بذلك منظومة شاملة لعلم الأصوات السّمعي. إذ بدأت المدرسة بالحديث عن ماهية الصّوت وحدوثه ثمّ بيان الوسط الناقل له وصولا إلى العملية السّمعية، وهو مسار أبدته الدّراسات الحديثة وسارت عليه في دراستها لعلم الأصوات الفيزيائي**"[1]

1- ينظر علاء جبر محمد "المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور"، ص175.

اهتمّ الفارابي اهتماما كبيرا بالدّراسة الفيزيائية، ووقف عند العديد من الظواهر الصّوتية ورصدها ممّا هيّأ له الوقوف على الكثير، إذ تعدّ دراسته منطلقا أساسيا للدّراسة الصّوتية الحديثة.[1]

وقد اتّبع الفارابي المنهج الوصفي في تناولها ومن أمثلة ذلك عملية حدوث الصّوت حيث قال:"**أن يحصل في عضو القارع استعدادا لأن ينقل الذي يقرع أو ينتقل بنفسه الجسم المقروع...والعضو القارع إمّا يد الإنسان، وإمّا العضو الذي يدفع التنفس من داخل الصّدر إلى خارج الفم**"[2].

كما نجد لمفردة (القرع) حديثا مفصّلا عند ابن سينا إذ يقول:"**الصّوت سببه القريب تموّج الهواء دفعة، سرعة وبقوة من أي سبب كان، والذي يشترط فيه من أمر القرع ألا يكون سببا كلّيا للصّوت**".[3]

ومن الأمثلة الأخرى التّي تدلّ على اتّباع الفارابي للمنهج الوصفي وصفه للوترين الصّوتيين، فهما العضو الأساسي في حدوث الصّوت حيث قال: "**فإنّ الأوتار متى كانت أصلب وأشدّ كان صوتها أحدّ، وأنّها إذا كانت على غلظ وأحدّ، وتفاوتت في الطّول فإنّ أطولها وأقصرها متى قرعا بقوة واحدة كان صوت الأطول أثقل، بسبب إبطاء حركته، وصوت الأقصر أحدّ بسبب حركته، وكذلك متى كان على طول واحد وتفاوتا في الغلظ، وكذلك متى كان متساويين في الغلظ والطول فإنّ أرخاها أثقلهما صوتا وأشدّهما توثرا وامتدادا هو أحدّ**"[4].

1- علاء جبر محمد "المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور"، ص175.
2- أبو نصر الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص52.
3- ابن سينا "أسباب حدوث الحروف"، تحقيق محمد حسان الطيات ويحيي ميرعلم، مجمع اللغة العربية، دمشق،ط1، 1983م،ص 56.
4- أبو نصر "كتاب الموسيقا الكبير"، ص218-219.

فقد استطاع الفارابي أن يصف لنا آلية النطق في فقرة بسيطة أوردها في كتابه الحروف فعرض نظرته إلى عقد قضية في علم الأصوات النطقي ألا وهي العملية النطقية، أو ما يسمى بآلية النطق. حيث قام بوصف رائع لعملية إصدار الأصوات بالرغم من أنّه لم يكن عالما بيولوجيا، ولكنّه كان عالما ذا حسّ مرهف يقول الفارابي: **"والظاهر أنّ تلك التّصويتات إنّما تكون من القرع بهواء النّفس بجزء أو أجزاء من حلقه أو بشيء من أجزاء ما فيه. وباطن أنفه وشفتيه فإنّ هذه هي الأعضاء المقروعة بهواء النّفس. والقارع أوّلا هي القوة التي تسرب هواء النّفس من الرئة وتجويف الحلق أوّلا فأوّلا إلى طرف الحلق الذي يلي الفم، والأنف وإلى ما بين الشّفتين. ثمّ اللّسان يتلقّى ذلك الهواء فيضغطه إلى جزء من أجزاء باطن الفم وإلى جزء من أصول الأسنان وإلى الأسنان. فيقرع به ذلك الجزء فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه. ويقرعه به تصويت محدود، وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم، فتحدث تصويتات متوالية كثيرة محدودة"**[1].

فهذه الفقرة على قصرها تحمل لمحات ذكية، تنمّ عن سعة أفق وبصيرة نافذة وفهم عميق للعملية النّطقية. ويرى فيها الفارابي أنّ الهواء بخروجه من الرئتين يتلقاه اللسان ويضعه إلى جزء من أجزاء باطن الفم أو إلى جزء من أصول الأسنان أو إلى الأسنان ذاتها، فيضربه بذلك الجزء محدثا ذلك الصّوت نتيجة هذا القرع أو الضّرب، ثم ينتقل هذا التّصويت من ذلك الموقع الذي حدث عنده إلى أجزاء الفم، ويحمل الهواء هذا الصّوت مـن أجزاء باطن الفم إلى الأمام، ثم يخرج محمولا بالهواء فيكون الهـــواء

1- الفارابي "كتاب الحروف"،ص 136.

وسطا ناقلا لتردّدات الصّوت. وإنّ هذه التردّدات تكسب الصّوت ملامح معينة من شدّة ورخاوة أو استمرار ووقف أو جهر وهمس وإنّ أيّ اختلاف في هذه التردّدات يؤدّي إلى اختلاف في بعض الملامح.

وعلى الرغم من اختلاف أسلوب الطّرح قديما وحديثا نجد أنّ ذلك لا يمنع من التّوافق الكبير بين ما ذهب إليه الفلاسفة، وبين ما جاء به المحدثون.[1]

3- أهم ملامح المنهج الصّوتي عند الفارابي:

أهمّ الملامح التّي يمكن ملاحظتها من منهج الفارابي الصّوتي تكمن في النّقاط الآتية:

1- اتّبع الفارابي في دراسته الصّوتية منهجا يخلط بين الوصفية والمعيارية في تفسير الظواهر الصّوتية. إذ أنّه وصف ما أحسّ به من ظواهر صوتية في العملية السّمعية الكلّية **"وقد تحدّث الفارابي عنها- الأذن- وعن استقبالها الصوت ووصفها بآلة خلقت للسّمع إلاّ أنّه لم يتطرّق إلى تشريح الأذن أو ذكر أجزائها الكلية"**[2].

وقد فسّرها وفق خبرته المستمدة من تجاربه القائمة على الملاحظة الذاتية في رصد الظواهر الطّبيعية السّمعية،**"فغلب على وصفه الطابع الفلسفي المستند إلى الأدلة المنطقية في التّعليل ومحاولة الوصول إلى الحقيقة إذ حاول البرهنة على صحّة ما توصّل إليه من نتائج في هذا الجانب غير أنّ منهجه لم يكن شكليا بحثا على الرّغم من أنّ الشّكل يعدّ من أهمّ الأسس التّي يستند إليه المنهج الوصفي الذي يعني بالظاهر أكثر من عنايته بالمضمون"**.[3]

1- علاء جبر محمد "المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور"، ص176.
2- نفسه: ص 169.
3- نفسه: ص176.

إذ وجدناه يعتمد كثيرا على المضمون، وبهذا كان الخلط بين الوصفية والمعيارية واضحا في منهجه. إذ اعتمد التّعليل والتّقنين كما في حديثه عن سرعة الصّوت قياسا إلى سرعة الضّوء فقد أخذ الفارابي من حديثه عن القرع كونه السّبب في حدوث الصّوت سببا في حديثه عن سرعة الصّوت، فهو يرى أنّ الهواء إذا اندفع بشدّة وكان الصّوت أشدّ اتّصالا كان الصّوت أسرع، وإذا كانت أجزاء الصّوت أكثر تباعدا وأقلّ اتّصالا كان الصّوت أبطأ.[1]

اعتمد أيضا التّعليل في معرض حديثه عن أسباب الحدّة والثّقل في الأصوات فيقول: **"وأمّا حدّة الصّوت وثقلها فإنّما يكون بالجملة متى كان الهواء النابي شديد الاجتماع أو كان في الحال الدون من الاجتماع ... كان الصّوت أحدّ"**[2]، ثم من ناحية أخرى يقرنه بالوتر فيقول:**"متى كان أزيد – بسبب الحدّة- كان الصوت أحدّ ومتى أنقص كان الصّوت أقل حـــــــدّة"**[3].

1- ما يلاحظ على الفارابي في دراسته الصّوتية أنّ المادّة الصّوتية جاءت عنده مجزأة لا تجمعها وحدة موضوعية.

2- يلجأ الفارابي أحيانا إلى تقديم الأمثلة في دراسته الصّوتية كما في حديثه عن الموجه الصّوتية، إذ شبّه حركة الجزئيات الهوائية بحركة الخرز التي تنتقل بين الأصابع التي تضغط عليها.

1- ينظر : الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص212، 214.
2- نفسه: ص 216.
3- نفسه : ص 219.

ومتى نبا الهواء (اندفع بشدّة) بين القارع والمقروع مجتمعا متّصل الأجزاء، حدث حينئذ صوت. وكلما كان الهواء النابي بينهما أشدّ اجتماعا فحدوث الصّوت فيه أمكن وأجود.[1]

وهو ما يسمّى في الدّرس الصّوتي الحديث (ضغط الصّوت)، إذ تتعرّض الجزئيات عند حدوث التّصويت إلى ضغط المصدر المسبب للصّوت وتتأثر به تأثيرا مباشرا، فكلما زاد الضّغط كان الصّوت قويا وكلما قلّ كان الصّوت ضعيفا.[2]

3- اعتمد الفارابي على مصطلحات صوتية مختلفة تفرّد بها عن غيره كما في مصطلح (القرع والقلع) إذ يقول:**"والدّليل على أنّ القرع ليس سببا كليا للصّوت أنّ الصّوت قد يحدث أيضا عن مقابل القرع وهو القلع، وذلك أنّ القرع تقريب جسم من جرم ما إلى جرم مقاوم له"**[3].

ويظهر من هذا النّص أنّ لحدوث الصّوت سببين هما:

<u>الأول</u>: قرع و**الثاني** قلع، وكذلك تفرّد بمصطلحات أخرى كمصطلح الحدّة والثقل والرّطوبة واليبوسة، وغيرها من المصطلحات.

4- ويلاحظ على الفلاسفة عموما امتيازهم عن غيرهم والفارابي واحد منهم بعدد **"من المعايير الصّوتية التّي كانت بمثابة الحدود الفاصلة بين الأصوات والمقياس الذي قيست به صحّة نطقها والحد الذي استطاعوا بواسطته أن يبيّنوا موضع كل صوت منها، والكيفية التي ينطق بها والتّي اعتمدتها ولم يعتمدها غيرها من المدارس الصّوتية كمعيـــــار**

1- ينظر الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"،ص 212-213.
2- ينظر علاء جبر محمد "المدارس الصوتية"، ص177.
3- أبو نصر الفارابي " كتاب الموسيقا الكبير"، ص55-56.

الرطوبة ومعيار الحدّة والثقل، إذ كان لها مفهومها الخاص بها. كما اعتمدت أيضا عددا من المعايير التي اعتمدتها غيرها من المدارس كمعيار حركة اللسان ومعيار حبس الهواء وغيرها"[1].

6- ما يلاحظ على الفارابي والذي يعدّ مأخذا مهمّا على منهجه الصّوتي هو عدم اهتمامه الكبير ببعض الظواهر الصّوتية كالإدغام والإمالة والمماثلة. إذ نلاحظ أنّ جلّ اهتمام الفارابي كان منصبّا على الجانب الطّبيعي الفيزيائي للأصوات على وجه العموم.

7- درس الفارابي علم وظائف الأصوات دراسة دقيقة واعية، فدرس المقطع والنّبر والتّنغيم، إذ حدّد مفاهيم هذه المصطلحات وبيّن تفاصيلها. وقد أثبتت الدّراسات أنّ مفهومه لهذه الموضوعات كان دقيقا بحيث شابه ما ذهب إليه المحدثون ووصل إلى دقائق الأمور في هذا المجال.

فلقد تناول الفارابي المقطع في كتابين أولاهما تلك التي كانت من إبداعه الخاص، ونعني ههنا كتابه الضّخم الموسوم **"بالموسيقا الكبير"** الذي بلغت صفحاته ألفا ومائتين تقريبا، وثانيتهما تتمثل فيما نقله من اليونانية إلى العربيّة، ونخصّ ههنا شرحه **"لكتاب العبارة لأرسطو طاليس"**[2].

فقد تطرّق الفارابي إلى المقطع مقيدا إيّاه على أنّه حصيلة اقتران حرف غير مصوّت (صامت) بحرف مصوّت (صائت) فقال: **"المقطع مجموع حرف مصوّت وحرف غير مصوّت"**[3].

1- علاء جبر محمد "المدارس الصوتية"،ص 177.
2- ينظر المهدي بوروبة "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري"، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه ، تلمسان، 1423هـ-2002م، ص275.
3- أبو نصر الفارابي "شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة"، عني بنشره وقدم له ولهم كوتش اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط2، دت، ص49.

وهما نوعان فصّل فيهما أيّما تفصيل المقطع القصير والطويل. بحيث نجده يقول:**"وكلّ حرف غير مصوّت اتبع بمصوت قصير قرن به فإنّه يسمّى المقطع القصير، والعرب يسمّونه الحرف المتحرّك من قبل إنهم يسمّون المصوّتات القصيرة حركات وكلّ حرف لم يتبع بمصوت أصلا وهو يمكن أن يقترن به فإنّهم يسمّونه الحرف السّاكن وكلّ حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنّا نسميه المقطع الطويل"**.[1]

كما انتقل إلى الدّراسة العروضية عند العرب موازنا بينهما وبين الدّراسة المقطعية فقال في ذلك:**"كل حرف متحرّك اتبع بحرف ساكن، فإنّ العرب يسمّونه السّبب الخفيف وكل حرف متحرّك اتبع بحرف متحرّك فإنّهم يسمّونه السّبب الثقيل، والسبب الثقيل متى اتبع بحرف ساكن، سمّوه الوتد المفروق لاقتران المتحركين فيه بالسّاكن المتوّسط، والسّبب الخفيف متى اتبع بحرف ساكن سمّي الوتد المفرد لانفراد المتحرّك فيه، والسّبب الثقيل متى اتبع بمتحرّك فلنسمّه نحن السّبب المتوالي لتوالي المتحركات الثلاثة فيه"**[2].

ويلاحظ ممّا سبق ذكره حول المقطع عند الفارابي أنّه ذكر مقطعين فقط هما: القصير والطويل، ولم يذكر المتوسط ويمكن أن نشعر بوجود المتوسط في قوله**"كلّ حرف متحرّك اتبع بحرف متحرّك فإنّ العرب يسمّونه السّبب الخفيف"**[3]، وانطلاقا ممّا فات يمكن التّسليم بأنّ الفارابي هو أوّل علماء العربية من استخدم المقطع بمعناه العلمي المعهود في الدّراسات الصّوتية الحديثة [4].

1- أبو نصر الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص1072، 1079.
2- نفسه : ص 1075-1078.
3- نفسه: ص 1076.
4- المهدي بوروبة "ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري"، ص277.

والفارابي يعرض للنّبرة في الكلام في أكثر من موضع مقيّدا إيّاها بالزّمن مقرّرا أنّ صدى نغمتها لا يتجاوز زمن إحداث وتد فيقول :"**النّبرات نغم قصار، أطول مداها مثل زمان النّطق بوتد**"[1]، ومن أحاديثه التّي وظف فيها النّبرة بمعنى الضّغط أو إطالة زمن النّطق بمقطع ما عمد المتكلم إلى إبرازه أكثر ممّا يجاوره من مقاطع أخرى لغرض قصدي قوله:"**الحروف المتحرّكة إذا مدت حركاتها أدنى مد أو قرنت حركاته بنبرات كانت قريبة من سبب خفيف**"[2].

إلاّ أنّ مداها الزّمني الأدنى يعادل زمن إنتاج سبب خفيف.

"**ومن نصوص الفارابي التّي حملها ما يشعرنا بإدراكه النبر بمعناه العلمي المعهود في الدّرس الحديث نذكر قوله الذي أشار فيه إلى أنّ النبر في العربية يفضل المقطع الطويل أينما حلّ في الكلمة**"[3]، بحيث "**متى توالت متحركات كثيرة وتناهت إلى متحرك ووقف عليه فإنّه ربّما جعل المتحرّك الأخير ممدودا أو مقرونا بنبرة**"[4].

كما أنّه يوافق النّحاة واللغويين في عدّ الهمز المصطلح المرادف للنّبر[5]، إذ يقول:"**أمّا الهمز و النّبر فيجعل افتتاح كالواحد من المصوتات الإثنتي عشر... والأجود أن تجعل افتتاحات الألف والممزوجات التّي تميل إلى الألف، أن تجعل افتتاحا لحرف الياء وما إليه من الممزوجـــــــات،**

1- الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص1173.
2- نفسه: ص1084.
3- المهدي بوروبة "ظواهر التشكيل الصوتي"، ص302.
4- الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص 1085.
5- أمينة طيبي "الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين"، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سيدي بلعباس 1425هـ-2005م، ص 266.

أو المتوسطات بين الياء والألف لم يبشع به مسموع النغمة، ومتى جعلت افتتاحا للواو والممزوجات المائلة إليها أكسبت النغم بشاعة المسمـوع"[1].

وفيما يخصّ التنغيم فالثابت من الرّوايات الموجودة في الكتب التراثية أنّ العرب احتكمت في كلامها إلى التنغيم، وظيفيا لإبراز مقاصدها دون التّصريح بالمصطلح، ومن ذلك ما نص عليه الجاحظ بقوله:" **لا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدال والشكل... وغير ذلك من الأمور"**[2].

كما فرّق الفارابي بين مصطلح النغمة والتّنغيم فكانت النغمة عندما يتعلّق الأمر بالكلمة المفردة والتنغيم إذا أرادوا مصطلح اللحن، وفي ذلك يقول:"**وإذا أردنا أن نقرن القول بنغم مؤلفه فإنّنا نعمد أولا نحصي عدد نغم اللحن، ونحصي عدد حروف القول غير المصوتة وما كان فيها من المصوتة أضفناه إلى غير مصوتة، وعددنا كل مصوت مع غير المصوت المقرون به كحرف واحد، ثم نقايس بين العددين فبالضرورة تكون نغم اللحن إمّا مساوية في عددها للحرف الأوّل وإمّا أقلّ عددا منها"**[3].

فهذه مجمل الملاحظات حول منهج الفارابي الصّوتي، فما منهجه الصّرفي؟

1- أبو نصر الفارابي "الموسيقا الكبير"، ص1117-1118.
2- أبو عثمان الجاحظ "البيان والتبيين"، دار موفق شهاب الدين مطبعة علي محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003م، 75/1.
3- أبو نصر الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص1100.

منهج الفارابي الصّرفي:

درس الفارابي الصّرف أو ما يسمّى اليوم بعلم الصّرف ضمن إطار سمّاه علم اللسان، وذلك لأنّ استقلالية هذا العلم لم تكن موجودة عند القدماء بهذا المصطلح.

1- علم الصّرف عند القدماء:

كان اهتمام العرب القدماء أوّل الأمر منصبا على البحوث النّحوية ثمّ أخذ العلماء يعالجون بعض المسائل الصّرفية استطرادا وهذا يعني أنه قديما كان جزءا من علم النّحو، وقد ورد في كتاب سيبويه وهو أوّل كتاب يؤلف في هذا العلم قوله، وهو يعرف علم الصّرف **"هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلّة والمعتلّة، وما قيس من المعتلّ الذي لا يتكلمون به، ولم يجيء في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسمّيه النّحويون التّصريف"**[1].

أما ابن جنيّ فيعرّف التّصريف بقوله:**"اعلم أنّ التّصريف تفعيل من الصّرف وهو أن تصرف الكلمة المفردة، فتتولّد عنها ألفاظ مختلفة ومعان متفاوتة"**[2].

أما ابن الحاجب فيقول:**"التّصريف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التّي ليست بإعراب"**[3].

1- أبو نصر الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص1100.
2- عبد القاهر الجرجاني "المفتاح في الصرف"، حققه وقدم له على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 1407هـ-1978م، ص26.
3- ابن الحاجب "الشافية في علم التصريف والوافية نظم الشافية، حققه ابن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، ط1 1415هـ-1995م، ص06.

مما سبق نفهم أنّ علم الصّرف هو العلم الذي نعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية وأحوال هذه الأبنية ليست إعرابا ولا بناءا والمقصود بالأبنية هنا هيأة الكلمة ومعنى هذا أنّ العرب القدامى قد فهموا الصّرف على أنّه دراسة لبنية الكلمة وهو فهم صحيح في الإطار العام للدّرس اللغوي.

ولكنّ القدامى مع هذا يركّزون في مواضيع دراستهم للصّرف على ما يلحق الصّيغ الأصلية من تبدّلات بسبب حروف العلّة، غير أنّ المحدثين يرون أنّ كلّ دراسة تتصّل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة أو الجملة فكلّ دراسة من هذا القبيل هي صرف[1].

2- علم الصّرف عند الفارابي:

فكما أشرنا هذا العلم عند القدماء لم يكن مستقلا ولا ظاهرا وإنّما كان جزءا من علم العربية فنلمس عند الفارابي ما يشير إلى هذا العلم، وذلك أثناء حديثه عن علم قوانين الألفاظ عندما تتركّب فيعرفه بقوله:**"....والثاني- يقصد به علم الصّرف- يعطي قوانين في أحوال التركّيب والتّرتيب نفسه كيف هي في ذلك اللّسان"**[2]، فهو لم يذكر في تعريفه كلمة صرف أو تصريف، ولكن أشار إلى مضمون هذا العلم لما قال بأنّه يخصّ القوانين المعلّقة بأحوال التّركيب.

3- أهم ملامح المنهج الصّرفي عند الفارابي:

ما نلحظه على منهج الفارابي الصّرفي يكمن في النقاط الآتية:

1- ينظر عبده الراجحي "التطبيق الصرفي"، دار النهضة العربية، 1973، ص09/07.
2- الفارابي "إحصاء العلوم"، حققه وقدم له وعلق عليه عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1968، ص22.

1.منهج الفارابي في تناول المباحث الصّرفية لا يخرج عن الوصف، وهذا ما تميز به القدماء، فكان حين يفتقد المصطلح الدقيق يعمد بدل ذلك إلى وصفه ومن أمثلة ذلك:

اسم الآلة: وقد وصفه بقوله:**" .... والثاني يدلّ على الآلة والذي فيه تستعمل الآلة، فإنّ الذي يطلب بلوغه باستعمال الآلة هو الذي لأجله الآلة مثل: المبضغ والفصاد... فإنّ المبضع إنّما التمس لأجل الطبيب والمثقب لأجل النجار، فإنّ النّجار هو الذي لأجله عمل المثقب"**[1]

اسم الفاعل : يصفه الفارابي بأنّه ضرب من المشتقّات فيقول:**"... وباقيها مشتقّة منها، مثل الضرب ... والضارب... والضارب... وأشباه ذلك مشتقة"**[2].

اسم المفعول: يقول الفارابي: **"الموجود في لسان جمهور العرب أوّلا اسم مشتق من الوجود والوجدان"**[3].

2. كثيرا ما كان يتوق إلى تحديد مصطلحاته بدقة ومن أمثلة ذلك حديثه عن المصدر فهو يعرفه بقوله:**"وعلى أن في سائر الألسنة سوى العربية مصادر ما تتصرف من الألفاظ وتجعل منها كلم على ضربين، ضرب مثل "العلم" في العربية وضرب مثل الإنسانية"**[4]، والمصدر اصطلاحا **"هو ما دلّ على حدث مطلق مجرّد من الزّمان"**[5]، وهو نفس ما عبّر عنه الفارابي بقوله:**" فإنّ العلم والسّواد والبياض إنّما تدلّ على معاني هذه مجردة مفردة عن كل موضوع وكل ما يقرن به"**[6].

1. الفارابي "كتاب الحروف"، ص129.
2. نفسه: ص74.
3. نفسه: ص110.
4. نفسه: ص80.
5. عباس حسن "النحو الوافي"، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط15، 3 /118.
6. الفارابي "كتاب الحروف"، ص80.

3. الفارابي يعتمد فقط على الكلام الفصيح ويكتفي بذكر الأمثلة فهو لا يستدلّ لا بقرآن ولا بحديث شريف.
4. أسلوبه مختصر، ودقيق في عرض مسائله الصّرفية وكثيرا ما كان يعلل كلامه بإعطاء أمثلة، من ذلك حديثه عن الاشتقاق حيث يقول:"**هناك من المقولات والتّي تسمّى باسم واحد مشتق من اسم الشيء الذي إليه تنسب مثل الطبي المشتق من اسم الطب**"[1].
5. يعتمد الفارابي في بسط وعرض مسائله الصّرفية على منهج المقارنة فكثيرا ما كان يقارن بين العربية والفارسية وحتى اليونانية أثناء حديثه عن بعض المسائل الصّرفية من أمثلة ذلك حديثه عن النسب وهو يصطلح عليه بالإضافة فيقول:"**على أن اسم الإضافة واسم النسبة يستعملها النحويون في الدّلالة على ما هو أخص من هذه كلّها، وذلك أنّ المنسوب إلى بلد وإلى جنس أو عشيرة أو قبيلة يدلّ عليه عند أهل كلّ طائفة بألفاظ مشكّلة بأشكال متشابهة ينتهي آخرها إمّا إلى حرف واحد مثل ما في العربية والفارسية ناو إلى حروف أعيانها مثل اليونانية وكل اسم كان مشكلا بذلك الشكل فإنه دال عندهم على النسبة**".[2]
6. و من المآخذ عليه إهماله لبعض المسائل الصرفية كأبنية الأفعال والأسماء وذكر الأوزان وما إلى ذلك، وكذلك المادّة الصّرفية عنده لا تجمعها وحدة موضوعية.

1- الفارابي "كتاب الحروف"، ص71.
2- نفسه : ص 84.

ثالثا: منهج الفارابي النّحوي والدّلالي:

ترك الفارابي أثارا عميقة في التراث الفكري العربيّ، تمحورت حول الفلسفة وعلم المنطق، وأكثر ما برع فيه ما سمي بفلسفة اللغة حيث تناول علاقة النحو بالمنطق أيضا كما أسهم في التأسيس للدّرس الدّلالي العربي عندما ناقش مشكلة المعنى وأصل اللغة وتطورها وظهور الصّنائع اللغوية، وعليه فهو من أوائل الفلاسفة الذين أدركوا قيمة اللغة واهتمّوا ببيان الصفة بينها وبين الفلسفة، ولم يتجاهل ضرورة اللغة للمنطق لأنّ هناك من رأى أنّ المنطقي لا حاجة له بالنحو؟ يردّ الفارابي على ذلك قائلا:**"... وهذه الصّناعة تناسب صناعةأخرى ذلك أنّ نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ، فكما يعطينا علم النحو من القوانين في الألفاظ فإنّ علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقـــــولات"**[1].

وقال في موضع آخر مميّزا بينهما:**"... ويفارقه في أنّ علم النحو إنّما يعطي قوانين تخصّ ألفاظ أمّة ما وعلم المنطق إنّما يعطي قوانين مشتركة تعمّ ألفاظ الأمم كلّها، فإنّ في الألفاظ أحوالا تشترك فيها جميع الأمم: مثل أن الألفاظ منها مفردة ومنها مركّبة والمفردة اسم وكلمة وأداة وأنّ منها ما هي موزونة وغير موزونة وأشباه ذلك"**[2].

1- المنهج النّحوي عند الفارابي:

درس الفارابي المسائل النحوية في كتابه المسمّى بالألفاظ والحروف وإنّ لهذا العلم أصول تعود إلى عهد بعيد.

1. الفارابي "إحصاء العلوم"، ص68.
2. نفسه: ص76.

2- أصول الدّرس النّحوي:

تجمع الكثير من المصادر على أنّ العراق هو المهد الأوّل لإنشاء النحو آخذين في ذلك بعوامل ثلاثة:

الأوّل: كان العراق يضمّ الأعاجم قبل الفتوحات الإسلامية، أمّا بعدها فقد توافد النّاس أفواجا على الإسلام عربا وعجما لما في هذه البلاد من حضارة.

الثاني: منذ القديم كان لأهل العراق اهتمام بجميع العلوم ومدارستها وتوريثها.

وارتبط ظهور الدّرس النّحوي عموما بظهور النّحو الذي نشأ هو الآخر عندما شاع اللحن في البلاد العربيّة التّي اختلط فيها العجم بالعرب،وأخذ أولائك يتكلّمون بلسان هؤلاء ويلحنون فيما يعجزون عنه من الكلام حتى وصل ذلك إلى كلام الله عز وجل وهذا ما لم يقبله علماء العربية وأئمة القرّاء ولذا وقفوا لهذا الزّحف بالمرصاد فأسّسوا علم النحو لهذا الغرض[1].

تشير أغلب البحوث العربية أنّ وضع النحو يعود إلى **"أبي الأسود الدّؤلي"** (ت 69هـ)، فقد أسّسه بإشارة من الخليفة **"علي بن أبي طالب"** كرّم الله وجهه وتعدّدت الرّوايات في هذا الشأن ومهما اختلفت مضامينها إلاّ أنّ نتيجتها واحدة.[2]

قال ابن خلدون:**".... والسّمع أبو الملكات اللسانية ففسدت تلك الملكة بما ألقي إليها ممّا يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السّمع، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة ويطول العهد بها فينغلق القرآن**

1- ينظر إبراهيم السامرائي "المفيد في المدارس النحوية"، ص23.
2- ينظر نفسه: ص10.

والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة.... يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه، مثل أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثمّ رأوا تغيّر الدّلالة بتغيّر حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا.... واصطلحوا على تسميتها بعلم النّحـــــو"[1].

ذكر النّحو في كلام الإمام " **علي كرم الله وجهه**" كان اسما لا مصطلحا لما قال **لأبي الأسود**: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، ولذلك سمّي العلم الذي يتناول قواعد اللغة وإعرابها نحو[2].

أو يقول" **أبو الطيب اللغوي**" (ت 351هـ)، عن **أبي الأسود الدّؤلي**:"**كان أوّل من رسم للنّاس النحو... أخذ تلك الملكة عن أمير المؤمنين عليّ... لأنّه سمع لحنا فقال لأبي الأسود الدّؤلي : اجعل للناس حروفا، وأشار له إلى الرفع والنصب والجر...**"[3]

وقال "**ابن سلام الجمحي**" (ت 232هـ):"**كان أوّل من أسّس العربية وفتح بابها ووضع قياسها أبو الأسود الدّؤلي... وإنّما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب...**"[4].

وذهب **ابن فارس** (ت 395هـ) إلى أنّ النحو كان من معارف العرب القديمة غير أنّهم لم يكونوا في حاجة إليه بسبب سلائقهم السّليمة حتى ترك وبخاصة بعد الإسلام مباشرة حيث شغلوا بالدّين وبالفتوحات فنسيه النّاس حتّى جاء **أبو الأسود** فبعثه من جديد[5]، وهو رأي لا يؤيده دليل من سند تاريخي أو منطقي.

1- ابن خلدون "المقدمة"، ص566.
2- محمود سليمان ياقوت " مصادر التراث النحوي"، ص19.
3- أبو الطيب اللغوي "مراتب النحويين"، ص20.
4- ابن سلام الجمحي "طبقات الشعراء"، ص05.
5- ينظر ابن فارس "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت، 1964، ونشر المكتبة السلفية في القاهرة، 1328هـ- 1910م، ص10.

غير أنّ بعض المستشرقين* يستبعدون الرّوايات العربية التّي تنسب وضع النحو **لأبي الأسود،** ويشكّكون في صدقها بل إنّهم يصفونها بالأساطير، و**الدّؤلي** شخصية أسطورية[1]، وفي نظرهم أنّ النحو العربي من أبرز آثار الاتصال بين العرب والأمم الأعجمية كالسريان والرومان[2].

3- أهم ملامح المنهج النحوي عند الفارابي:

كان **الفارابي** إضافة إلى علو شأنه في المنطق عارفا بالعربية وفقهها ونحوها أخذ عن **ابن السراج** إمام زمانه في هذه الفنون وتظهر آثار قراءته النحو على يد هذا الرجل في اهتمامه بالصلة بين النحو والمنطق، وهو أمر لم ينظر فيه مفكر إسلامي قبله أو بعده بالتفصيل والعمق الذي نظر فيه **الفارابي** في مصنفاته العديدة.

و لقد ربط **الفارابي** علم النحو بالمنطق فيقول:" **فنسبه علم النحو إلى اللسان والألفاظ كنسبة علم المنطق إلى العقل والمعقولات، وكما أن النحو عيار اللسان... كذلك علم المنطق عيار العقل"**[3].

وقد تحدّث **الفارابي** عن علم النحو أثناء حديثه عن علم اللسان عندما تكلم عن علم قوانين الألفاظ المركبة حيث قال:"**وعلم قوانين الأطراف المخصوص بعلم النحو، فهو يعرف أن الأطراف إنّما تكون أوّلا للأسماء ثم الكلم"**[4]، فعلم النحو يدعوه بعلم قوانين الأطراف والأطراف أو أواخر الكلمات والأسماء يطرأ عليها تغيّرات تدعى الإعراب من نصب ورفع وخفض وجزم.

---

*- من هؤلاء: بروكلمان وليتمان، وجوزيف بلانش وحرجي زيدان، وأحمد أمين ينظر : ضحى الإسلام 287/2.

1- ينظر أحمد عمايرة "المستشرقون ونظرياتهم في نشأة اللغة"، وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط3، 2002م، ص40.

2- ينظر زكي المبارك "النثر الفني في القرن الرابع الهجري"، دار الجيل ، دت، 63/1.

3- الفارابي "كتاب اسياغوجي والفصول الخمسة"، تحقيق وتقديم ماجد فخري دار المشرق، ط1، 1994م، ص05.

ومن أهم ملامح منهجه النحوي:

1- ما يلاحظ على الفارابي أنّه لم يقدم مادّته النّحوية في أفكار رئيسية وأبواب شاملة، وإنّما في معرض حديثه عن أمور لغوية كثيرة ضمن كتابه الحروف.

2- **الفارابي** يقتفي سير النّحاة في معالجة المسائل النّحوية التي تنطلق من ذكر القاعدة ثم الاستشهاد عليها بالفصيح من كلام العرب ومن أمثلة ذلك يذكر **الفارابي** أنّ الفعل الماضي هو ما دلّ على زمان مضى حيث يقول:**"فبعض الكلم يدلّ على زمان سالف مثل: كتب، وضرب"**[1].

3- مذهبه النّحوي: لم يصرّح **الفارابي** بمذهبه في النّحو ولكنّه كان كثير الاستدلال بآراء النحاة البصريين ممّا يدلّ على تقديره لهم، وميله إلى مذهبهم ولكنّنا نلمح دائما قدرته على اختيار الرأي الرّاجح لديه، فلقد احتذى حذو سيبويه في تقسيم الكلام، ولم يخرج **الفارابي** عن هذا المفهوم فهي اسم وفعل وحرف، فسيبويه يقول في باب علم ما الكلم من العربية:" **فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل... وأمّا ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة، ونحوها"**[2].

و**الفارابي** اتّبع هذه القسمة وإن اختلفت الأسماء عنده فما يسمّيه سيبويه الكلم يسمّيه الفارابي **"الألفاظ الدّالة"**، وما يسمّيه سيبويه ونحويو العرب **"الأفعال"** يسمّيه الفارابي **"الكلم"** أمّا **"الاسم"** و**"الحرف"** فتتفق فيهما التسمية عند سيبويه والفارابي وفي ذلك يقول **الفارابي "إنّ الألفاظ الالـــــة**

1- الفارابي "إحصاء العلوم"، ص21.
2- الفارابي "الألفاظ المستعملة في المنطق"، ص42.

منها ما هو اسم، ومنها ما هو كلم والكلم هي التّي يسمّيها أهل العلم باللسان العربي الأفعال... ومن الألفاظ الدّالة الألفاظ التّي يسمّيها النّحويون الحروف التي وضعت دالة على معان"[1].

4- قدّم **الفارابي** مفاهيمه النّحوية ومصطلحاته متّبعا في ذلك طريقة تعتمد على شكلين متميزين:

أحدهما: الوصف، من أمثلة ذلك وصفه للفعل وأزمنته فيقول:**"والكلم هي الأفعال مثل مشى ويمشي وسيمشي وضرب ويضرب وسيضرب، وما أشبه ذلك وبالجملة فإنّ الكلمة لفظة مفردة تدلّ على المعنى وعلى زمانه"**[2]، وهو نفس ما جاء به سيبويه حيث يقول:**"وأمّا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولمّا يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع"**[3]، وهناك مصطلحات عبر عنها الفارابي بالإصلاح تارة وبالوصف تارة أخرى من ذلك مثلا:

أسماء الإشارة حيث يقول:**"وأمّا أنواع المقولات الأخر فإنّ المشار إليه الذّي هو تحت كل نوع منها لا يمكن أن نشير إليه إلاّ مع المشار إليه الأوّل، مثل "هذا البياض"، فإنّا نشير إليه وهو في هذا الثوب أو في هذا الحائط، لأنا نشير إلى الثوب أو إلى الحائط"**[4]

فقد جاء الاصطلاح هنا عرضا لا قصدا.

و**الثاني**: التّعبير عن الفكرة بأكثر من مصطلح، فلا يكاد يستقرّ على مصطلح واحد، وفي الكثير منها يكون اختياره موفّقا لأنّه يقوم على الذوق السّليم والمعرفة العميقة بأسرار اللغة ومن نماذج ذلك المضاف والمضـاف

1- سيبويه "الكتاب"، 12/1.
2- الفارابي "الألفاظ المستعملة في المنطق"، ص41-42.
3- سيبويه "الكتاب"، 12/1.
4- الفارابي "الحروف"، ص75.

إليه: حيث يقول:" **والمضافان ينسب كل واحد منهما إلى الآخر بمعنى واحد مشترك لهما يوجد معا لكل واحد منهما..."**[1] ، ويقول أيضا:"... **كقولنا ثور زيد، فإنّه لا ثور ولا زيد يدلّ على نوع الإضافة التي لأجلها نسب الثور إلى زيد، بل إن قلنا " إنّ الثور المملوك زيد مالكه كان المملوك والمالك هما اسماهما من حيث يوجد لهما ذلك النوع من الإضافة، وزيد هو اسمه الدال على ذات المضاف إليه..."**[2].

كما يطلق الإضافة بمعنى النّسبة فيقول:" **غير أنّه إذا كان معنى قولنا "زيد في البيت" ليس نعني به أنّه محاط بالبيت – وإن كان يلزم ضرورة أن يكون محاطا بحسب حد المكان، وكان قولنا "في البيت" ليس نعني به هذه النسبة بل نسبة أخرى لا تدخل في المضاف كانت مقولة أين ليست من المضاف"**[3].

5- **<u>موقفه من مصادر الاحتجاج</u>**

لا نجد الفارابي يعتمد على نصوص القرآن الكريم ولا أجد له احتجاجا بالحديث الشريف، بل كلام العرب فقط (نثر) حتى الشعر لا يوجد أو قليل وهذا ما اعتمد عليه النحاة القدامى فكلامه في عرض المسائل النّحوية لا يخلو من قوله:

"يستعملها النّحويون" أو **"يسمّيه العرب"** حيث يقول :"... **وجميع ما تسمع نحويي العرب يقولون فيها أنّها مضافة فإنّها داخلة تحت المضاف الذي ذكرناه..."**[4]، ويقول أيضا:**"على أن اسم الإضافة واسم النسبة يستعملها النحويون في الدّلالة على ما هو أخص من هذه كلها"**[5].

1- الفارابي "الحروف"، ص 85.
2- نفسه :ص86.
3- نفسه: ص89.
4- نفسه: ص88.
5- نفسه: ص84.

وكان أيضا يستشهد بأقوال **أرسطو طاليس** حيث يقول **الفارابي** عندما كان يتحدث عن المضافين:".... **فلذلك قال أرسطو طاليس "إنّ المضافين هما اللّذان الوجود لهما أنّهما مضافان بنوع من أنواع الإضافة"**[1].

6- **التأثر بالعقل والمنطق**:

فالفارابي ينظر في النّصوص، ويعمل فيها العقل بحيث يحاول تفسير الظواهر النّحوية بمقتضى العقل ومن أمثلة ذلك حديث الفارابي عن الأدوات والحروف فهي في رأي الفارابي مبنية إلاّ ما شاكل البعض منها الأسماء والأفعال فيقول:**"وأمّا الأدوات فإن كانت عادتهما أن تكون كلّ واحدة منهما مبنية على طرف واحد، أو كان بعضها على واحد فقط، وبعضها ينصرف في شيء من الأطراف عرف كل ذلك فإن كانت توجد لهم ألفاظ شك في أمرها هل هي أدوات أو أسماء أو كلم، أو كان بعضها يشاكل الأسماء وبعضها يشاكل الكلم، احتاج أن يعرف ما من هذه تجري مجرى الكلم وفي ماذا ينصرف من أطرافها"**[2]، وحول الأسماء والأفعال المبنية يقول:**"ويعرف أن من الألفاظ مالا ينصرف من الأطراف كلّها، بل إنّما هو مبني على طرف واحد فقط في جميع الأحوال التّي ينصرف فيها غيره من الألفاظ"**[2].

7- أشار الفارابي إلى أهمّ ظاهرة في النّحو العربي ألا وهي **"الإعراب"** فقد رمز الفارابي إليه بالتّغيير الذي يلحق أواخر الكلمات أو كما يسمّيها الأطراف الأخيرة للكلم والأسماء وما يلحقها من تغييرات تدعى الإعراب من نصب ورفع وخفض وجزم فيقول:**"ومنها ما يكون في نهاياتها وهي**

1- الفارابي "كتاب الحروف"، ص87.
2- الفارابي "إحصاء العلوم"، ص23.

الأطراف الأخيرة وتلك هي التّي تسمّى حروف الإعراب... والأطراف الأخيرة للأسماء والكلم هي في العربية مثل التنوينات الثلاث والحركات الثلاث والجزم..."[1].

8- اعتمد الفارابي طريقة الإيجار في عرض مسائله النّحوية فهو يكتفي بإيراد القاعدة والتمثيل لها بمثال أو اثنين وهذا أمر يبرره منهجه الذي ارتضى الإيجار واختاره، ومن ذلك تعريفه للاسم وهو تعريف موجز وواضح فيقول:"**هو كل لفظ مفرد دال على المعنى من غير أن يدل بذاته على زمان المعنى**"[2]، ويواصل الحديث حول أنواع الاسم فيقول:" **فالمفردة منها ما هي ألقاب أعيان*** **مثل زيد وعمر**"[3]، **ويقول أيضا:" ومنها ما يدل على أجناس الأشياء وأنواعها مثل الإنسان والفرس والحيوان والبياض والسواد**"[3].

9- فلقد اهتم الفارابي بالصّلات القائمة بين الكلمات التي تؤلف الجملة وبالتالي يكون الفارابي قد أمعن النّظر في التّراكيب النّحوية للجملة ونظامها، وما يخصّها من إسناد. فاللغة عنده تتألف من ثلاث أشياء اسم وفعل وحرف، فهو يسمي الجملة بالألفاظ المركّبة أو يسمّيها القول فيقول:"... **والمركّبة كقولنا الإنسان حيوان وعمرو أبيض**"[4]، **ويقول أيضا:"والألفاظ المركّبة إنّما تترتّب عن هذه الأصناف أعني عن الأسماء والكلم والحروف وجميع الألفاظ المتركّبة عن هذه تسمى الأقاويل ولذلك تسمى هذه أجزاء الأقاويل**"[5].

1- الفارابي "إحصاء العلوم"، ص22.
2- الفارابي "الألفاظ المستعملة في المنطق"، حققه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986م، ص41-42.
*- ألقاب أعيان: أسماء علم.
3- الفارابي "إحصاء العلوم"، ص19.
4- نفسه، ص18.
5- الفارابي "الألفاظ المستعملة في المنطق"، ص56.

10- لقد تفرّد الفارابي بمصطلحات خاصّة به في بعض الأحيان، ومن ذلك حديثه عن الحروف فهو يصنّفها إلى خمسة أقسام وهي: الخوالف والواصلات، والواسطات ، والحواشي والروابط[1]، وكذلك مصطلحات أخرى مثل: الكلم، الأقاويل، القول الجازم، الألفاظ الدالة.... الخ.

11- ما يؤخذ على الفارابي هو غياب بعض الأبواب النّحوية، وإهماله لها بالدّراسة حيث أنّنا نجده يركّز على أساسيات هذا العلم، كما أنّه لم يفرد لهذا كتابا خاصّا به بل نجد دراسته النّحوية لا تخضع لوحدة موضوعية ونجدها متناثرة هنا وهناك في طيّات بعض كتبه اللغوية.

وبعد هذا العرض البسيط نتساءل يا ترى كيف عالج الفارابي مباحثه الدّلالية؟ وما هي الطّريقة التي اتّبعها في ذلك.

4- **المنهج الدّلالي عند الفارابي**:

لقد اقترن اسم الفارابي في التراث العربي بميادين من ميادين الثقافة الإسلامية وهما: ميدان علم المنطق وميدان الفلسفة، وصلة هذين الميدانين بعلوم اللغة لا تخفى على أيّ مطلع ودارس للتراث المعرفي العربي فالفارابي كان يرى ضرورة الأخذ بعلوم العربية وقوانينها وسننها في التّعبير والخطاب لأنّها أدوات أساسية في البحث المنطقي والفلسفي واهتمام الفارابي بعلوم العربية سيكشف من خلال مؤلفاته في المنطق والفلسفة ولا نكاد نعثر عنده على تنظير للدّلالة ومتعلقاتها إلا بقدر ماله ارتباط بهذين العلمين.

1- ينظر الفارابي "الألفاظ المستعملة في المنطق"، ص44-45.

5- الدّلالة عند الفلاسفة:

إنّ الفلسفة أمّ العلوم من هذه المقولة نعطي لأنفسنا الحق بالقول إنّ الدّراسات الدّلالية على اللغة العربية كانت ضمن اهتمامات الفلاسفة الأوائل.

فالفلسفة هي ضمن العلوم التّي ترجمها العرب نقلا عن اليونان ومن آثارهاإنّه كان بين نحاة البصرة كثير من أهل الشيعة والمعتزلة الذين فتحوا الأبواب لتلك المؤثرات الفلسفية، فعملت يد التّغيير والتّشكيل في مذاهبهم الكلامية، ويقال إنّ **الخليل بن أحمد** هو أوّل من استعمل في مذاهبهم الكلامية، ويقال إنّ **الخليل بن أحمد** هو أوّل من استعمل القياس في اللغة، كما أنّ الرّوح الإسلامية العامّة لم تقف عائقا أمام الاستفادة من المنطق وضروب استدلالاته[1].

فلقد اهتمّ الفارابي بمراعاة مستوى المتلقّي في الخطاب وفي هذه النقطة يقول:**"فأمّا متى نظرنا في المعاني المشهورة عند الجمهور استعملنا هذه الألفاظ بحسب دلالاتها عندهم لا بحسب دلالاتها عند أصحاب العلوم... فكذلك في هذه الصّناعة التّي نحن بسبيلها إنّما ينبغي أن نذكر من دلالات أصناف الألفاظ بحسب دلالتها عند أهل هذه الصّناعة"**[2].

لقد أدرك الفلاسفة أهمّية البحث اللغوي وضرورته لفهم مصطلحات المنطق والفلسفة ومشاكلها ممّا يعتبر إضافة إلى التراث اليوناني، كما يعتبر استباقا لفلسفة اللغة كاتجاه فلسفي معاصر ويعتبر الفارابي أوّل من رأى ضرورة علم اللغة لدراسة المنطق، حيث يخصّص الفصل الأوّل من كتابه **"إحصاء العلوم"** لعلم اللسان، والذي يشمل عنده على مبحثين هما مبحـــث

1- فايز الداية "علم الدلالة العربي"، دار المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1999م، ص110-112.
2- الفارابي "الألفاظ المستعملة في المنطق"، ص43-44.

الدّلالة أي علم ما تدلّ عليه الألفاظ، ثمّ مبحث القوانين التّي تخضع لها تلك الألفاظ من حيث هي مفردة أو مركّبة أي العلم الذي يدرس البنيات التي تنقل بها الألفاظ إلى أن تكون لسانا معينا بعينه.[1]

وعن دلالة المصطلح لغويا وفلسفيا يفرّق بينهما الفارابي في تعريفه لكلمة **"عرض":" عند جمهور العرب يقال على كل ما كان نافعا في هذه الحياة فقط... أمّا في الفلسفة فإنّ العرض يقال على كل صفة وصف بها أمر، ولم تكن الصفة محمولا حمل على الموضوع أو لم يكن المحمول داخلا في ماهية الأمر الموضوع أصلا... والعارض غير العرض وغيرها بالعرض فإنّ العارض يقال على كيفيات ما توجد في شيء ما، إذا كانت قليلة المكث فيه سريعة الزّوال مثل الغضب وغيره..."**[2].

فما هي أهم ملامح المنهج الدّلالي عند الفارابي؟

6- بعض ملامح المنهج الدّلالي عند الفارابي

1- اعتمد الفارابي على المنهج الوصفي في وصف دلالة بعض الألفاظ في عصره مثل دلالة مصطلح **"الجوهر":"والجوهر عند الجمهور يقال على الأشياء المعدنية والحجارية مثل اليواقيت واللؤلؤ وما شابهها... وقد يستعملها اسم الجوهر في مثل قولنا "زيد جيّد الجوهر" ويعنون به جيّد الجنس وجيّد الآباء وجيّد الأمّهات... وكثيرا ما يقولون "فلان جيّد الجوهر" يعنون به جيّد الفطرة التّي بها يفعل الأفعال الخلقية أو الصناعية، وبالجملة الأفعال الإرادية..."**[3].

1- ينظر الفارابي "إحصاء العلوم"، ص17.
2- الفارابي "كتاب الحروف"، ص95.
3- نفسه: ص 97-99.

2- تعرّض لدراسة بعض الظواهر الدّلالية متّبعا طريقة التّحليل كحديثه عن مرادف كلمة الموجود حيث يقول:"... **فإنّما يعنون بقولهم "وجدت الضالة" و" وجدت ما كنت فقدته" إنّني علمت مكانه وتمكّنت ممّا التمس منه متى شئت وقد يعنون به أن يصير الشيء معلوما، وأمّا الذي يستعمل مقيدا في مثل قولهم "وجدت زيدا كريما" أو لئيما فإنّما يعنون به عرفت زيدا كريما أو لئيما لا غير وقد يستعمل العرب مكان هذه اللفظة في الدّلالة على هذه المعاني "صادفت" و"لقيت"، ومكان الموجود "المصادف" و"الملقى".**[1]

3- كثيرا ما كان الفارابي يوضّح مرادف الكلمة بالعربية، ويبين مفهومها والمرادف لها حتى في سائر الألسنة وهو منهج يوضح طريقته الواسعة في التّحليل والدّراسة وتنمّ أيضا هذه الطريقة على ثقافته الواسعة ومعرفته للعديد من اللغات ومن أمثلة ذلك لفظة "**الموجود**" فبعدما تعرّض لمعناها الدّلالي في العربية وسائر الكلمات المرادفة لها، راح يتتبع معناها المرادف في مختلف اللغات حيث قال:" ... **وهي في الفارسية "يافت" وفي السغدية "قيرد" يعنون به الوجود والوجدان، و"يافته" و"قيردو" يعنون به الموجود وفي كل واحد من باقي الألسنة لفظة من نظير ما في الفارسية والسغدية، مثل اليونانية والسريانية وغيرها"**[2].

4- أحيانا يتّبع الفارابي طريقة الإجمال ثم التّفصيل ومن أمثلة ذلك شروحه المستفيضة لأحرف السّؤال كحرف السؤال هل حيث يقول:"**وحرف "هل" يستعمل في العلوم في عدّة أمكنة أحدهما مقرونا بمفرد يطلب وجوده، كقولنا "هل الخلاء موجود" و"هل الطبيعة موجودة" فإنّ كل واحد مـــن**

1- الفارابي "كتاب الحروف"، ص110.
2- نفسه: ص111.

هذه وأشباهها هو في الحقيقة مركّب... وقد يقال في ما علم فيه أنّ ما يفهم عن لفظه هو بعينه خارج النفس "هل هو موجود أم لا"... وقد نقول "هل كل مثلث موجود زواياه مساوية لقائمتين" و"هل كل إنسان موجود حيوانا" على أنّ ما نعني بالموجود ههنا كلمة وجودية يرتبط بها المحمول بالموضوع حتى يصير القول قضية حملية ... وقد نقول "هل كذا موجود كذا" ونحن نعني هل كذا وجوده يوجب أن يوصف هكذا وإنّه كذا ونعني هل كذا ماهيته توجب أنّه كذا أو أنّه يوصف بكذا..."[1]

5- سعى الفارابي إلى تحليل طبيعة اللغة وفق منهج يعتمد على المنطق ومن أمثلة ذلك تمييزه بين الحقيقة والمجاز حيث قال:"**فإذا استقرّت الألفاظ على المعاني التي جعلت علامات لها فصار واحد واحد لواحد واحد وكثير لواحد أو واحد لكثير، وصارت راتبة على التي جُعلت دالة على ذواتها، صار الناس بعد ذلك إلى النسخ والتجوز في العبارة بالألفاظ، فعُبّر بالمعنى بغير اسمه الذي جُعل له أولا وجعل الاسم الذي كان لمعنى ما راتبا له دالا على ذاته عبارة عن شيء آخر متى كان له به تعلق ولو كان يسيرا إما لشبه بعيد وإما لغير ذلك، من غير أنّ يجعل ذلك راتبا للثاني دالا على ذاته، فيحدث حينئذ الاستعارات والمجازات...**"[2].

6- إنّ جديد الفارابي يكمن في توضيحه أنّ الألفاظ بنوعيها في كل أمّة تدرس ضمن علم اللسان هذا العلم الذي يعنى به حديثا ورائده فرديناند دوسوسير (F.Desaussure) الدّراسة العلمية للسان البشري، فعلم اللسان عنده يشتمل على مبحثين هما: مبحث الدّلالة أي علم ما تدلّ عليه الألفـــاظ،

1- الفارابي "كتاب الحروف"، ص213-215.
2- نفسه: ص141.

ثـم مبحث القوانين التي تخضع لها تلك الألفاظ من حيث هي مفردة أو مركّبة، أي العلم الذي يدرس البنيات التّي تنتقل بها الألفاظ إلى أن تكون لسانا معينا بعينه"[1].

7- أحيانا يعبّر عن بعض المفاهيم الدّلالية بالتّعبير النّاضج المستقرّ الدّي لا نزال نستخدمه حتى اليوم ومن ذلك حديثه عن اللفظ المفرد والمركّب حيث يقول :"**إنّ الألفاظ الدّالة على لسان كل أمّة ضربان، مفرد ومركّب، فالمفرد كالبياض والسّواد، والإنسان والحيوان، والمركّب كقولنا: الإنسان حيوان، وعمرو أبيض**"[2].

8- يعتمد الفارابي على المنهج الاستقرائي ومن أمثلة ذلك حديثه عن مفهوم اللفظ حيث يقول:"**ما يخرج بالصّوت الألفاظ.... دالة على المعقولات التّي في النّفس، وأنت فينبغي أن تزيد في قرائتك فتقول ما يخرج بالصّوت وهو الألفاظ دال أوّلا على المعقولات التّي في النّفس**"[3].

ونستنتج من هذا التعريف أنّه يجمع بين الشّكل والمضمون فأحاط بالموضوع من كلّ جوانبه حيث ذكر أنّه ما يخرج بالصّوت من جهة وأنّه للإبانة عمّا في النّفس من جهة أخرى، وفي موضع آخر ذكر أنّ الخطوط دالة على الألفاظ والتّي هي بدورها دالة على المعاني وأنّ هذه الألفاظ موضوعة بالاصطلاح على تلك المعاني، ويبنه قوله التّالي:"**وكل ما يمكن أن يقال في الألفاظ فإنّه ممكن أن يقال بعينه في الخطوط فلمّا كانت الخطوط دلالتها على الألفاظ لاصطلاح كذلك دلالة الألفاظ على المعقــولات**

1- ينظر الفارابي "إحصاء العلوم"، ص17.
2- نفسه: ص58.
3- الفارابي "شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة"، ص24.

في النفس باصطلاح ووضع وشريعة... فكما أنّ الشّرائع في الأفعال ربّما كانت لاصطلاح الجماعة من جمهور أمّة أو مدينة كذلك الألفاظ وكذلك الخطوط".[1]

فاستقراءه يوصلنا إلى أنّ هناك طريقتان للدّال يعبّران عن مدلول ويعبّر عن ذلك بالشكل التالي:

الخطوط (الكتابة) ← **الألفاظ** ← **المعاني**

الصّوت ↗

9- تفرّد الفارابي بمصطلحات دلالية خاصّة به كمصطلح المعقولات والمعقولات الثواني ويقصد بها المعاني أو الدّلالات والتي يكون محلها النفس التّي يتمّ فيها تصحيح المفاهيم برؤيا منطقية حيث يقول:**"وأمّا موضوعات المنطق وهي التّي تعطي القوانين فهي المعقولات من حيث تدلّ عليها الألفاظ والألفاظ من حيث هي دالة على المعقولات وذلك أنّ الرأي إنّما نصحّحه عند أنفسنا بأن نفكر ونقيم في أنفسنا أمورا و معقولات شأنها أن تصحّح ذلك الرّأي"**[2].

فالنّظرية الدّلالية عند الفارابي لا تخرج عن إطار علاقة الألفاظ بالمعاني ضمن القوانين المنطقية.

1- الفارابي "شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة"، ص 27.
2- الفارابي "إحصاء العلوم"، ص167.

الفصل الثالث

نقد وتقويم لمنهج الفارابي اللغوي في ضوء علم المنهج الحديث

قبل أن ندخل في عرض منهج الفارابي اللغوي وما عليه، لا بد من إشارة ولو خفيفة إلى المقصود من تلك الكلمتين اللتين تكوّنان هذا الفصل وهما: النّقد والتّقويم.

فالنّقد في الاصطلاح هو ميز الخبيث من الطيب، والخطأ من الصّواب والصّحيح من الفاسد[1]، وهذا المعنى مستقى من دلالته المعجمية، فالنّقد في اللغة هو خلاف النّسيئة والنّقد والتّنقاد: تمييز الدّراهم وإخراج الزّيف منها، ومعنى نقدتهم أي عبتهم واغتبتهم[2]، والتّقويم في الاصطلاح هو العملية التي يتمّ بها إصدارحكم على مدى وصول العملية لأهدافها، ومدى تحقيقها لأغراضها، والعمل على كشف نواحي النقص[3]، وتشير **"رمزية الغريب"** إلى مفهوم التّقويم فتقول:**"التّقويم هو تقدير للقيمة وقوم الشيء قدّر قيمته، وقوم الشيء وزنه"**[4].

وهذا المعنى أيضا مستقى من دلالته المعجمية، فلغة يقال قوام كلّ شيء مااستقام به، وقومت الشيء فهو تقويم أي مستقيم وفلان أقوم كلاما من فلان أي أعدل كلاما[5].

فالعلاقة بين المعنيين الاصطلاحي واللغوي هو نقل من دلالة عامّة إلى أخرى خاصّة فالنّقد والتّقويم إذن هما تمييز الخطأ، وتحديد قيمة العمل بعد تصحيح ذلك الخطأ.

1- محمد مصايف "النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط2، 1984م، ص17-18.
2- ابن منظور "لسان العرب"، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر احمد حيدر، منشورات علي بيضون، لبنان، ط1- 1424هـ، 2003م، 522/3.
3- فرنسيس عبد النور "التربية والمناهج"، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت، ص300، وينظر: أحمد محمد الطيب "التقويم والقياس النفسي والتربوي"، المكتب الجامعي الحديث، الازاريطة، الإسكندرية، ط1، 1999م، ص23.
4- رمزية الغريب "التقويم والقياس النفسي والتربوي" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1971م، ص07.
5- لسان العرب مادة (قوم) 595/12.

أما مفهوم "**المنهج**" فلغة: قد جاء في لسان العرب تعريفه للمنهج أنّ المنهج والمنهاج: هو الطريق الواضح، والنهج بتسكين الهاء هو الطريق الواضح والنهج بتسكين الهاء هو الطريق المستقيم، حيث يقول ابن منظور (ت 711هـ):" **طريق نهج بيّن واضح وهو النهج... وأنهج الطريق: وضُح واستبان وصار نهجا بيّنا واضحا... والمنهاج: الطريق الواضح، واستنهج الطريق: صار نهجا.... والنهج: الطريق المستقيم"..... والجمع نهجات ونهج ونهوج"**[1].

وفي كتاب العين:" نهج: طريق نهج، واسع واضح، وطرق نهجة، ونهجالأمر وأنهج- لغتان- أي: وضح، منهج الطريق: وَضَحُهُ، والمنهاج: الطريق الواضحُ"[2].

وكثيرا ما يوظف المنهج على أنّه التّيار أو المذهب أو المدرسة، بهدف الكشف عن الطريقة أوالأسلوب لتيار معين، أو مذهب معين أو مدرسة معينة وفي هذا الصدد يقول **أحمد مطلوب** في (**معجم النقد العربي القديم**):"**... إنّ المعنى العام للمنهج هو الأسلوب الذي يقود إلى هدف معيّن في البحث والتّأليفأو السّلوك"**[3].

والمنهج: يعني" **الطريقة أو مجموعة الإجراءات التّي تتّخذ للوصول إلى شيء محدّد كأن نتخذ خطوات تحلّل بها الكلمة صرفيا، ذلك أنّ المنهج والمنهاج يردفي العربية على معنى الطريق الواضح والمنهاج: الخطة المرسومة ومنه منهاج الدّراسة أو منهاج التّعليم ونحوهما... المنهج المنهاج، الجمع مناهج"**[4].

1- ابن منظور "لسان العرب" مادة (نهج) 383/2.
2- الخليل بن أحمد الفراهيدي "العين" مادة (نهج) 292/3.
3- نور الهدى لوشن "مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، جامعة الشارقة، القاهرة ،ط2 2006م، ص285.
4- محمد عبد العزيز الدايم "النظرية اللغوية في التراث العربي"، دار السلام للنشر والتوزيع، ط1 2006م، ص20.

واصطلاحا يراد" **بمنهاج البحث الطرق التّي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتّي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض"**[1].

ويشار أيضااصطلاحا بالمناهج إلى:" **الأصول التّي تتّبع لدراسة أي جهاز من الأجهزة اللغوية"**[2].

وسنحاول في هذا الفصل نقد منهج الفارابي اللغوي في ضوء علم المنهج الحديث من خلال العناصر الآتية:

أوّلا: اختلاط مستويات التّحليل عند القدماء :

لقد تناول القدماء المستويات اللغوية بالدّراسة ولكن دراستهم لم تكن مجتمعة "**إذ جاءت جلّ أعمالهم مشتملة على هذه المستويات جميعا ولكنّها جاءت منعزلة بعضها عن بعض في حين أنّ هذه المستويات تكوّن كلاّ متكاملا يتعلّق كلّ مستوى بصاحبه ويخدمه، فالصّرف مثلا لا يستغني عن الأصوات وكلاهما يخدم النّحو ويعمل على تفسير قضاياه ومشكلاته"**[3].

فالفارابي شأنه شأن القدماء لم تكن المستويات اللغوية لديه مجتمعة، وإنّما عالجها منفردة "**إذ كان الاهتمام الكبير باللغة دافعا لهؤلاء القوم إلى أن ينتهجوا نهجا يضمن لهم وضع قواعد ثابتة مطردة تضمن الصّحة المطلقة مع محاولة فرض هذه القواعد على أصحاب اللغة ضمانا لوحدتها، فكان المنهج الغالب في أعمالهم هو ما يسمّى بالمنهج المعياري**

1- علي عبد الواحد وافي "علم اللغة"، دار النهضة، مصر، ط7، 1972 م، ص33.
2- حسان تمام "اللغة بين المعيارية والوصفية"، الانجلو، مصر، ط1، 1975 م، ص191.
3- كمال بشر "التفكير اللغوي بين القديم والحديث"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2005م، ص14.

ومن المعروف أنّ هذا المنهج منهج مثالي صعب تحقيقه، ومن ثمّ اضطروا إلى طلب المعونة من منهاج أخرى وصفية وفلسفية وافتراضية وتأويلية... الخ فجاء العمل معقّدا إلى حدّ واضح"[1].

وفي نظر بعض العلماء المحدثين أنّ" **الصّرف العربي كان من أقلّ العلوم العربية حظا من الإجادة وحسن النّظر، فقليله مستساغ مقبول، و كثيره يحتاج إلى معاودة البحث والدّرس ويتطلب مراجعة الرّأي فيــه"[2].**

فالصّرف عند المحدثين "**يبحث في الوحدات الصّرفية Morphèmes وأهم أمثلتها الكلمات وأجزائها ذات المعاني الصّرفية كالسّوابق واللّواحق...."[2].**

كما أنّ علم الصّرف يعنى بالصّيغ كما يعنى بالتّغييرات فيها سواء كانت عن طريق السّوابق أو اللواحق أو التّغييرات الدّاخلية فيها التّي تؤدي إلى تغيّر المعنى الأساسي للكلمة ويعرّف الوحدة الصرفية بأنها أصغر وحدة ذات معنى ومنه المورفيم الحر المتّصل أو المقيّد[3].

فالفارابي عالج مثلا مباحثه الصّرفية ضمن المباحث اللغوية الأخرى وهذه ميزة القدماء، فالمستويات اللغوية تتكامل عندهم، ولأنّ واقع اللغة المنطوق لا يعرف هذا التّقسيم، فالكلام المنطوق تتكامل فيه هذه المستويات وتأتي دفعة واحدة وهذا خدم العربية بشكل كبير حيث يقول أحد المحدثين **"ورغم جمع العلمين (النّحو والصّرف)... ورغم اختلاط مسائل دراسة الصّرف والنّحو في القديم إلاّ أنّ الحقيقة التّي ينبغي تأكّيدها، هي عـــــدم**

1- كمال بشر "التفكير اللغوي بين القديم والحديث"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2005م، ص14.
2- كمال بشر "دراسات في علم اللغة"، دار المعارف، القاهرة، 1973م، ص12.
3- ماريو باي "أسس علم اللغة"، ص44.

إقامة القدماء علاقة واضحة بين العلمين، بحيث تفيد المستويات بعضها من بعض ممّا يساعد على تحليل كثير من الظّواهر اللغوية المختلفة"[1].

أمّا البحث اللغوي الحديث فيتعامل مع المستويات اللغوية على أنّها تتكامل فكلّ مستوى يرتبط بالأخر، ويفيد منه، ولا يجوز الفصل بينها أو الاكتفاء بواحد منها في معالجة أيّ قضية لغوية، وتلك لأنّ النّص اللغوي كلّ لا يتجزأ[2].

ونستطيع أن نقرّر **"أنّ كلّ دراسة تتّصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة أو الجملة، وتؤدي إلى اختلاف المعاني النّحوية كلّ دراسة من هذا القبيل هي صرف"**[3].

والملاحظأنّ الفارابي عالج أهم أبواب علم الصّرف كأنواع المشتقات، وتقسيم الفعل إلى أزمنته المختلفة، التّعريف والتّنكير وأقسامهما ويعترف **كمال بشر "بأنّ البحث في هذه المسائل وأمثالها بحث صرفي صميم إذ هو ممّا يخدم الجملة ويجعلها ذات معان نحوية مختلفة بحيث لو تغيّرت وحداتها تغيّرت معانيها"**[4].

كما أنّهعالج النّحو ومسائله علاجا منفردا ومستقلا وهذه الطريقة في المعالجة عرف بها القدماء **"فالنّحو العربي لم يميّز حدودا واضحة لمستويات التّحليل اللغوي، وإنّما اختلطت فيه هذه المستويات اختلاطا شديدا، فقد ظلت كتب النّحو منذ كتاب سيبويه تجمع الظواهر الصّوتية إلى الصّرفية إلى النّحوية"**[5]

1- محمد محمد داوود" العربية وعلم اللغة الحديث"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص108.
2- ينظر كمال بشر "التفكير اللغوي بين القديم والحديث"، ص149.
3- نفسه: ص423.
4- نفسه: ص432.
5- عبده الراجحي "النحو العربي والدرس الحديث" بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1979 م، ص52.

ثانيا:الرّقعة الجغرافية للغة النّموذجية :

فقد وضع الفارابي شروطا في تحديده للأطلس الجغرافي للغة النموذجية يكمن في:

أ- **الانزواء**: فالفارابي يرى أنّ القبائل التي يحتجّ بها هي القبائل المنزوية البعيدة والمتواجدة في كبد الصّحراء، فهي البعيدة كلّ البعد عن المدن المجاورة للأعاجم، وذلك لسلامة لغتها من اللحن فيقول:"... **ثمّ من سكّان البراري ... ومن أشدّهم توحّشا وجفاءا وأبعدهم إذعانا وانقيادا، وهم قيس وتميم وأسد وطي، ثمّ هديل، فإنّ هؤلاء هم معظم من نقل عنهم لسان العرب، والباقون لم يؤخذ عنهم شيء لأنّهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم**".[1]

ب-البداوة: فالفارابي يفضّل لغة أهل البدو عن لغة أهل المدن، وذلك لأنّ لغة أهل البادية نقية محافظة على سلامتها من الخطأ والزلل وذلكنظرا لبعدها المكاني عن كلّ ما يمسّها من لحن أو خطأ[2] .

وقد وُفّقَ الفارابي في منهجه وأحسن في وضع شروط اللغة النموذجية وهذا الرأي يوافق ما جاء به المحدثون فهذا **حسين نصار** يقول:"**إنّ العربية الفصحى، هي العربية النقية من الشوائب التي لم تخالطها لغة أخرى، إنّهم رأوا أنّأفصح اللغات هي لغة البدو، البعيدين عن الاختلاط في أواسط البيداء.... فالطريق إلى الحكم على سلامة اللغة وفصاحتها ونقائها هو قياسها على لغة هؤلاء البدو، والطريق إلى تعلّم الفصحى هو معاشرتهم، وهذا هو ما حدث فعلا، بل اعتبر البدوي وكل مـا**

1- الفارابي "كتاب الحروف"، ص147.
2- ينظر نفسه: ص146.

يصدر منه طُرْفة، فهو مثل أعلى في الفصاحة والذكاء وسرعة الفهم والصراحة، وما إلى ذلك...". [1]

ومن المحدثين أيضا**أحمد مختار عمر** فهو يعترف بفضل العرب في هذه العملية، ويوضّح أنّ اللغويين وضعوا شروطا فيما نقل عن الأعراب وتشمل الزّمان والمكان بالنسبة لهذا النوع من المادّة" **أمّا من ناحية الزّمان، فقد حدّدوا نهاية الفترة التي يستشهد بها بآخر القرن الثّاني الهجري بالنّسبة لعرب الأمصار، وآخر القرن الرّابع بالنّسبة لعرب البادية، وأمّا المكان فقد ربطوه بفكرة البداوة لأنّ لغتها أفصح، والثّقة فيها أكثر وكلّما كانت متحضرة، أو أقرب إلى حياة الحضارة كانت لغتها محل شكّ ومثار شبهة، ولذلك تجنّبوا الأخذ عنها وفكرتهم في ذلك أنّ الانعزال في كبد الصحراء، وعدم الاتصال بالأجناسالأجنبية يحفظ للغة نقاوتها ويصونها عن أيّ مؤثر خارجي وأنّ الاختلاط يفسد اللغة، وينحرف بالألسنة"**[2].

ويواصل **أحمد مختارعمر** في تبيين أنّ الفارابي هو أوّل من روى لنا قائمة محدّدة بالقبائل التّي يُستشهد بها والتّي لا يستشهد بها الفارابي في كتابه الألفاظ والحروف وتعدّ هذه القائمة وثيقة هامّة تناقلتها كتب اللغة المتأخّرة مثل "**شرح التّسهيل" لأبي حيان،** و"**المزهر**" و" **الاقتراح" للسّيوطي"**[3].

وهذا هو نصّ الوثيقة، وقد تقدّم ذكر هذا النص في المذكرة ولكن سنعيد البعض من هذا النّص للحاجة، المنهجية لذلك:**"... والذين عنهـــــم**

1- حسين نصار"المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطبعة ، ط1، دت ، ص27.
2- أحمد مختار عمر "البحث اللغوي عند العرب"، عالم الكتب، ط2003م، ص50-51.
3- نفسه: ص51.

نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإنّ هؤلاء الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتّكل في الغريب وفي الإعراب والتّصريف، ثمّ هذيل وبعض كنانة وبعض الطّائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فإنّه لم يؤخذ عن حضري ولا عن سكّان البراري ممّن كان يسكن أطراف بلادهم التّي تجاور سائر الأمم الذين حولهم..."[1].

وجاء**ابن خلدون**فأيّد في مقدمته رأي الفارابي وأوضح هذه الفكرة وارتكز على نفس الأساس السّابق، وإن كنا نجد بعض الفروق الطفيفة في تحديد أسماء القبائل[2].

يقول**ابن خلدون**:" **الصّريح من النسب إنّما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معناهم، وذلك لما اختصّوا به من نكد العيش وشظف الأحوال... فلا ينزع إليهم أحد من الأمم، فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم... واعتبر ذلك في مصر من قريش، وكنانة وثقيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة، لما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع، وبعدوا من أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب ... وأمّا العرب الذين كانوا بالتلول، وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لحم وجذام وغسان وطيء وقضاعة وإياد فاختلطت أنسابهم وتداخلت شعوبهم"**[3].

ويظهرأن هذه القائمة لم تكن محلّ اتّفاق بين جميع اللغويين، ويظهر كذلك أنّ البصريين كانوا أكثر تمسّكا بها من الكوفيين[4]، ولهذا كانـــــــــوا

1- السيوطي "المزهر في علوم اللغة"، 173/1.
2- ينظر أحمد مختار عمر "البحث اللغوي عند العرب"، ص52.
3- ابن خلدون "المقدمة"، ص129-130.
4- ينظر أحمد مختار عمر "البحث اللغوي عند العرب"، ص52.

يفتخرون بقولهم:"**نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وهؤلاء يعني الكوفيين أخذوا اللغة عن أهل السّواد أصحاب الكواميخ، وأكلة الشّواريز**"[1].

كما كانت هذه القائمة محلّ نقد من بعض المعاصرين، كما فعل مهدي المخزومي الذي يرى أنّ التّفرقة بين القبائل خطأ منهجي[2].

ولكن يمكننا القول أنّ القدماء والفارابي واحد منهم اهتموا بقضية الفصاحة عن باقي القضايا الأخرى وهذا ما يبرّر موقفهم من تلك القبائل التّي منع الأخذ عنها فمنهج الفارابي كان واضحا فعلى أساس الفصاحة قسّم القبائل إلى قسمين: فصيحة يؤخذ عنها، وثانية لا يؤخذ عنها وذلك لعدم فصاحتها والسّبب هو الاختلاط بغير العرب وهناك من المحدثين وهو **محمود فهمي حجازي** الذي يبرّر منهج القدماء ويدعمهم ويؤيد رأيهم فيقول:"**والواقع أنّ اللغويين لم يهتموا في القرن الثاني الهجري بالتنوّع اللغوي في الجزيرة العربية، وقصروا اهتمامهم على تقرير فصاحة لغة القبيلة أو عدم فصاحتها، فشغلتهم قضية الفصاحة عن باقي القضايا الكثيرة التي يمكن طرحها في العمل اللغويالميداني، فسّر اللغويون التغيّر الذي لاحظوه في لهجات بعض القبائل التي رفضوها بأنّه ثمرة الاختلاطبأبناء الجماعات الغوية غير العربية في مصر والشام والعراق...**"[3].

1- ينظر أحمد مختار عمر "البحث اللغوي عند العرب"، ص52، نقلا عن السيرافي "أخبار النحويين البصريين"، ص68.
2- نفسه: ص53.
3- محمود فهمي حجازي "علم اللغة العربية"، ص97.

فمنهج الفارابي يعتمد على أخذ اللغة من أفواه العرب، كما حدّد لنا صفات العرب البداة والذين تؤخذ عنهم اللغة وهم سكّان البرية في بيوت الشعر أو الصّوف والخيام والأحسية وذلك لبعدهم عن الاختلاط بمن تشوب لغتهم أيّ شائبة وذلك للتوحش والجفاء الذي فيهم، فمنهجه يقتضي الأخذ عن هؤلاء والابتعاد عن الأخذ عن سكّان المدن وذلك لاختلاطهم بالأعاجم، ولأنّ لغتهم لن تسلم من الخطأ والزلل[1].

ولقد حدّد لنا الفارابي القبائل التّي تؤخذ عنها اللغة وهم: قيس وتميم، وأسد وطي ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم من أخذ عنهم اللسان العربي[2].

وحول هذا يقول تمام حسان:" **لقد كانت دراسة اللغة تدور في مبدأ الأمر على تلقّي النّصوص من أفواه الروّاة، ومشافهة الأعراب وفصحاء الحاضرة فكان ثمة مجال للاستقرار واستنباط القاعدة من تقصي سلوك المفردات والأمثلة، ومن ثمّ رأينا الدّراسات العربية الأولى تتّسم بالوصف، وتنأى إلى حدّ كبير عن المعيار**"[3].

ومن النقد الموجّه إلى القائمة التّي ذكرها الفارابي حول من تؤخذ عنهم اللغة ما قاله **مهدي المخزومي** والذي يرى أنّ التّفرقة بين القبائل خطأ منهجي، ويشرح ذلك بقوله أنّهم يجهلون أنّ اللغة سليقة وطبيعة ويجهلون أنّ صاحب اللغة لا يخلط في لغته لأنّها جزء من حياته التّي فطر عليها وعادة من عاداته التّي نشأ عليها، وإذا كان الجاهليون يغلطون والمخضرمون يغلطون، والإسلاميون يغلطون فعلى من بعد هؤلاء يعتمد النحاة؟ بماذا يحتجّون؟ ومن أين جاءوا بهذه الأصول التّي وضعوها، وهذه القواعد التي استنبطوها؟[4]

1- ينظر الفارابي "كتاب الحروف"، ص146.
2- ينظر نفسه: ص147.
3- تمام حسان "اللغة بين المعيارية والوصفية"، ص44.
4- ينظر أحمد عمر مختار "البحث اللغوي عند العرب"، ص53.

فكما سبق وقلنا إن النّحو العربي مع تحديده لمستوى اللغة التّي يقعّد لها حدّد أيضا بيئته المكانية والزّمانية، فهو لم يسمح بالتّقعيد إلاّ على اللغة المستعلمة في بوادي نجد والحجاز وتهامة، ومن قبائل مخصوصة لم تتأثر بحياة الحضر أو بالاتصال ببيئات لغوية أخرى و" **يقرّر الوصفيون أنّ هذا الأصل من أصول النّحو العربي جعله نحوا لا يمثل العربية إنّما يمثل جانبا واحدا منها، فهو لا يصوّر إلاّ هذه العربية التّي حدّدوها مكانا وزمانا، ومعنى ذلك أنّه نحو ناقص لا يقدّم قواعد الكلامالعربي في بيئاته المختلفة بل يذهب بعض علمائنا إلى أنّ هذا الأصل في تحديد البيئة اللغوية لا يقدّم العربية الصّحيحة**"[1].

ثالثا: اللغة الشّفهية والمدوّنة

ومن المحدثين أيضا**كمال بشر** فهو يساند منهج الفارابي في طريقة جمع مفردات العربية فالعرب انصرفوا إلى دراسة لغتهم والنّظر في أسرارها وظواهرها بغية ضبطها وتعيين حدودها بالتّعقيد والتّقنين.وذلك بالاعتماد على المشافهة فلقد "**أخذوا في جمع المادّة من بيئاتها الأصلية، واتّبعوا في ذلك مبدءا علميا دقيقا يصرّ البحث اللغوي الحديث على تحقيقه وتطبيقه، ذلك هو مبدأ "المشافهة" ونعني به تلقّي اللغة عن أصحابها بطريق الاستماع المباشر إلى الكلام الحيّ المنطوق في بيئته وسياقه، وسلكوا في سبيل ذلك طريقين متكاملين: يمثل أحدهما (وكان الأشيع استخداما) في نزول اللغويين أنفسهمإلى البوادي والبيئات التّي عيّنوها مصدرا صالحا للأخذ عنها، فيختلطون ويلاحظون وسيجلون مادّتهم ثمّ يعودون بها إلى مقارّهم للنظر والتّحليل والتّقعيد أمّاثاني هذين الطريقيــن**

1- عبده الراجحي "النحو العربي والدرس الحديث" ، ص51.

فيأخذ وجهة أخرى، تلك هي نزوح بعض الروّاة أو رجال القبائل أنفسهم إلى حيث يقطن العلماء ويعيشون ويمدّونهم بحاجتهم من نصوص وأمثلةأو شواهد، تسدّ نقصا أو تضيف جديدا أو تؤكد ظاهرة أو قاعدة"[1].

وما يمكن أن نلاحظه **"أنّ علماء اللغة جميعا في حال الرّواية لم يجيزوا الاعتماد على النص المكتوب، وإنّما استندوا أساسا على المشافهة والتلقّي وحذروا العالم من الاعتماد على النص المدوّن، وحذروا المتعلّم من تلقّي العلم على من يفعل ذلك، ومن أقوالهم المشهورة:" لا تأخذوا العلم عن صحفي، ولا القرآن عن مصحفي"، وهم بذلك لا يختلفون كثيرا عن المنهج الحديث الذي يعتمد على الرّاوي اللغوي، ويعتمد على الكلام المنطوق دون المكتوب"**[2].

إلاّأنّ هناك بعض المآخذ عليهم حسب رأي**أحمد عمر مختار** وهي: عدم استمرار المشافهة، وتكميل الثغرات بالمنطق والقياس لا بمعاودة المشافهة، وخلطهم الشّواهد الشعرية بالشّواهد النثرية وأنّهم لم يكثروا من الاستشهاد بالحديث، بالإضافةإلىأنّهم خلطوا بين مستويين من اللغة لا يصحّ الخلط بينهما، وهما مستوى اللغة الأدبية النّموذجية، ومستوى اللهجات العامية، كما أنّهم لم يكونوا على حق في ربطهم الفصاحة بالبداوة[3].

ولكن رغم ذلك فالعدل والإنصاف يقتضي **"أن نقرّر أنّ العرب بذلوا جهودا جبّارة في خدمة لغتهم، ونظروا في كل جوانبها نظرات عميقة شاملة، ولم يفتهم في واقع الأمر شيء يعرض له الدّرس اللغوي الحديث من مسائل تتعلّق بمادة اللغة،بل زادوا عليها وأضافواإليهـــا موضوعات**

1- كمال بشر "التفكير اللغوي بين القديم والحديث"، ص273.
2- أحمد مختار عمر "البحث اللغوي عند العرب"، ص54.
3- نفسه: ص55-56.

انفردت بها اللغة العربية، وكانت نظرتهم إلى لغتهم نظرة عملية حيث دفعهم حرصهم عليها والاعتزاز بها إلى دراستها دراسة جادّة تضمن صياغة لغة القران الكريم من التّحريف واللحن على كلّ المستويات اللغوية"[1].

فمنهج الفارابي في الأصوات ومنطلقه كان بالسّماع من اللغة الشّفوية، وهذه ميزة اللغويين القدامى فقد اعتمدوا على النطق والمشافهة في وصف الأصوات، وإن كان من النقد الموجّه إلى اللغويين القدامى أنّهمأسّسوا قواعدهم على اللغة المكتوبة دون المنطوقة فقد ذكر **ميشال زكريا**أنّ الباحثين في مجال الدّراسات اللغوية درجوا على الاهتمام بدراسة اللغة في شكلها المكتوب، وحصروا دراستهم بقواعدها وقضاياها دون أن يولواأيّ اهتمام للغة في شكلها المحكم، وهذا الوضع قديم قدم الدّراسات اللغوية وهذا ما أظهر اتجاه القواعد بصورة عامة إلى ما هو مكتوب في اللغات[2].

ويبدو من كلامه أنّ هذا النقد يشمل حقلالدّارسين المحدثين، ولكن لا ينبغي أن نعمّم الحكم، فأصوات اللغة العربية وصفت في البداية خدمة للقران الكريم، وكان مصدر وصفها المشافهة وليس الكتابة غير أنّ من مواطن اللبس والغموض اللذين مسا الدّراسة الصّوتية والصّرفية ما يراه **"بارتيلمالبرج"** أنّ القدامى **"لا يؤسّسون قواعدهم على الأصوات وطبائعها بل على الكتابة ورموزها، وقد خدعت الكتابة الأجيال منذ سيبويه حتى الآن، فاستمرّوا بترديد كثير من القواعد الكتابية دون أن يلتفتواإلى التحليل الأصواتي"**[3].

1- أحمد مختار عمر "البحث اللغوي عند العرب"، ص273.
2- ميشال زكريا "الألسنة علم اللغة الحديث: مبادؤها وأعلامها"، بيروت لبنان، 1980 م،ص 153.
3- بارتيلمالبرج "علم الأصوات، تعريب: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، دط، دت، ص87.

فقد ذكر **"تمام حسان"** أن اللغويين القدامى اعتمدوا في استنباطهم قواعد اللغة المحكية على مشافهة الأعراب إلا أنهم قبل التقعيد كان يحولون ما سمعوا إلى نص مكتوب، يقول:" **بل إنّه حتّى هذا الاتصال باللغة الحيّة، لم يكن ينسجم مع مطالب الدّراسة الصّوتية، لأنّأصحاب الرّحلة الذين استمعوا إلى هذه الأصوات الحيّة كانوا يحوّلون ما سمعوا إلى نص مكتوب، ولم يحاولوا أن يجعلوا رحلتهم رحلة بحث ميداني بالمعنى الدّقيق بأن يصلوا إلى تصنيف الظاهرة أو التّجريد منها في أثناء السّماع"**[1].

فرغم أنّهم شافهوا الأعراب وجمعوا اللغة من قبائلها إلاّأنّهم حال التّقعيد تعاملوا مع الخط مع ما كان يعاينه من نقص، يقول:" **فحين عادوا إلى ما كتبوا لم يعودوا في الحقيقة إلىلغة مسموعة منطوقة، وإنّما عادوا إلى نص مكتوب، فلم تكن قيمة هذه المشافهة التّي كانت بأكثر من قيمة الزاوية عن الشعراء الجاهلين لأنّ كلا النصين كان مكتوبا وليس منطوقا وقت إجراء الملاحظة، ومن ثمّ لم يكن النّحاة يستطيعون من خلال ما دوّنوا أنيبدؤوابإنشاءالنظام الصّوتي للغة العربية، ولاسيما إذا تذكرنا أنّ الخط العربي في تلك الحقبة تعرّض لكثير من اللبس بسبب النقص الذي اتّسم به من حيث الإعجام، والإعراب، وضبط البنية الداخلية للكلمة"**[2].

1- الأصول "دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي"، ص101.
2- تمام حسان "الأصول"، ص101.

ويبدو من كلام **تمام حسان**أنّ الخطأ الذي وقع فيه جمّاع اللغة واللغويون القدامى كان تأثيره أكبر في مجال الدّراسة الصّرفية، لأنّالأصوات اللغوية كان مصدرها الأوّل القراءات القرآنية التّي تنقلت مشافهة، وأغلب النّحاة كانوا قرّاء وحفّاظ لكلام **الله عزّ وجلّ**، وبالتّالي كان وصفها مباشرا يعتمد التّجربة والأداء والاختبار المباشر انطلاقا من المقعّدين أنفسهم.

ويمكننا القول إنّ البحث اللغوي العربي القديم ارتكز على **الملاحظة المباشرة** بواسطة اللغة الشفهيةأو المنطوقة، فقواعد اللغة العربية استنبطت من تراكيب شفوية، وإن كان مادوّنوه ورسموه رسما صوتيا لم يكن مطابقا تماما للعربية المنطوقة- وهذا ما ذكره تمام حسان- فإنّهم في مقابل ذلك لم يضعوا قواعدهم لمجرد سماعهم تركيبا واحد من عربي واحد، بل اعتمدوا توظيف قواعدهم العقلية وملاحظاتهم الحسية[1].

فمن الملاحظ **"أنّ كثيرا من هؤلاء التّابعين والخلافيين يوجّهون عنايتهم ويركّزون في عملهم على اللّغة المنطوقة إذأنّها تتّسم بسمات معينة حرمت منها اللغة المكتوبة، ففي النطق والأداء الصّوتي للغة خواص لا يمكن أن تفصح عنها النّصوص المكتوبة، فهذه النّصوص في صورتها العامّة جامدة ساكنة خالية من الخواص النطقية البالغة الأهمّية في عملية الإيصال والتّوصيل، كالنّبر وموسيقا الكلام (التّنغيم) والفصل والوصل، وما يلف كل ذلك من ظروف ومناسبات في مقامات الكلام وسياقه الاجتماعي"**[2].

1- ينظر: عبد الجليل مرتاض "في مناهج البحث اللغوي"، دار القصبة حيدرة، الجزائر، 2003م، ص42.
2- كمال بشر "التفكير اللغوي بين القديم والحديث"، ص57.

ويؤيّد هؤلاء المحدثين القدماء **"بأنّ اللغة المكتوبة لا ترقى بحال إلى مرتبة الكلام المنطوق في بيان الحقيقة اللغوية التّي تهدف إلى استخلاص القواعد والظواهر الصّوتية التّي تميّز كلاما من كلام، وتعين في الوقت نفسه على الفهم والإفهام ودليل ذلك أنّ النّاس يختلفون في تفسير النّصوص المكتوبة واستخلاص القواعد منها، ذلك لأنّهم يختلفون في قراءتها وأوجهأدائهاأداء صوتيا مناسبا"**[1].

فاللغة المكتوبة تؤدي إلى **"فقدان الكثير من العناصر الصّوتية التّي تعين الدّارس على الوصول إلى هدفه ومقاصده من تعيين خواص الموادّ المدروسة بصورة صحيحة تنبئ عن الواقع"**[1].

ومن هنا يمكننا القول **"إنّ دراسة العرب لأصوات لغتهم دراسة أصيلة، ليست منقولة في منهجها أو طريقة التّفكير فيها عن غيرهم من الأمم، والقول بأنّها ترجع إلىأعمال الهنود أو اليونان في دراستهم الصّوتية قول تعوزه الأدلّة العلمية التّي تستطيع أن تؤكد هذا الزعم أو تنفيه، على أنّ النظر الدّقيق في جملة ما طلع علينا به علماء العربية في مجال الأصوات اللغوية يحملنا على الجزم بأنّ هؤلاء العلماء كانوا يصدرون عن عقليتهم الخاصّة، وثقافتهم العربية"**[2].

فالمعروف عن العرب **"أنّ نهجهم في دراسة أصوات لغتهم قد تمّ على أساس نطقي –فسيولوجي- ناظرين إلى الخواص النطقية للأصوات آخذين في الحسبان وظائف الجهاز النطقي وحركات أعضائه عند إصدار هذه الأصوات، ودليل ذلك تصنيفهم لها بحسب مخارجها، كما هو معروف**

1- كمال بشر "التفكير اللغوي بين القديم والحديث"، ص57.
2- نفسه: ص381-382.

ومقرّر عند الخليل وغيره، ولم يفتهم الأخذ بهذا المبدأالأساسي في عملهم إلاّ في صورة ثانوية، عندما كانوا يلجأون إلى عنصر التأثير السّمعي للأصوات ووقعها على الأذن، ويظهر ذلك في تصنيفهم للأصواتإلى ما سمّوها بالشّديدة والرّخوة..."[1].

فلقد قام العرب **"بهذا الجهد العلمي الرّائع منذ زمن طويل، دون الاستعانة بأدوات البحث الصّوتي الحديث ووسائله، ومع ذلك جاء عملهم هذا بارعا دقيقا، يحمل بين طيّاته دقة التّفكير ودلالة السّبق".[1]**

<u>رابعا</u>: منهج الوصف ومبدأ الملاحظة :

فالعرب لم ينجحوا **"في بحوثهم اللغوية نجاحهم في دراسة الأصوات وذلك من حيث المنهج وطريقة البحث، لقد كان هذا المنهج في عمومه وصفيا خاليا من الافتراضات والمتاهات الفلسفية التّي مسّت "الصّرف والنّحو" بصورة واضحة، وقد كان هذا الوصف نفسه مبنيا على أساس من أهمّالأسس في البحث الصّوتي في الوقت الحاضر، وهو الملاحظة الذاتية فقد تذوّق علماء العربية الأصوات وحدّدوا مواقعها تحديدا دقيقا إلى درجة ملحوظة"[2].**

وهذا ينطبق تماما على دراسة الفارابي اللغوية فقد اعتمد على الوصف المبني على الملاحظة الذاتية ولقد عالج الفارابي الأصوات ضمن كتابه المشهور والضخم الموسيقا الكبير، فلقد كانت له وجهة نظر مميـــّزة

1- كمال بشر "التفكير اللغوي بين القديم والحديث"، ص382.
2- نفسه: ص385-386.

إزاءأصوات العربية، ودراسته مسّت في الكثير من الأحيانقضايا لم يلفت إليها حتّى النّحاة والقرّاء فيما مضى، فقد مكّنه حسّه الموسيقى من دراسة الأصوات بدقّة متناهية لم يزد المحدثون على أكثرها، إلاّ تغيير بعض المصطلحات.

وبالتّالي لا يستطيع أي دارس للصّوتيات العربية تجاهل الدّراسات القديمة للأصوات العربية، والتّي جعلت اللغة العربية من أوائل اللغات البشرية التّي درست العربية وحدّدت مخارج أصواتها وطرق إخراجها، وبقيت هذه الدّراسات مرجعا لعلماء الأصوات المحدثين يقول **"صبحي الصّالح":" لسنا نزعم طبعا أنّ الدّراسات القديمة لم تعد بالفائدة على الأبحاث اللغوية، فما يجرؤ على مثل هذا القول باحث منصف، ومن ذا الذي ينكر على علماء الأصوات دقتهم في ملاحظة المسموعات وتسجيلها بالأجهزةوالآلات ولم يكن شيء من هذا ميسّرا لعلمائنا المتقدمين لدى دراستهم الأصوات وكيفية خروجها من أعضاء النطق وما يعتريها من التغيّر وما يصيبها من الانحراف، وجاءوا مع ذلك بوصف دقيق لجهاز النطق ووظائف أعضائه فكانوا أوّل الروّاد لعلم الأصوات وعلى كثير من ملاحظتهم بنيت المباحث الصّوتية الحديثة في مخارج الحروف وصفاتها"**[1].

ومن هنا فإنّ الربط بين ما ذكر قديما، وما تقوم به الدّراسات الحديثة في هذا المجال ضروري.

1- صبحي الصالح "دراسات في فقه اللغة"،ص54.

حيث يصف الفارابي الصّوت فيقول:" **إنّ من الأجسام من إذا زحمه جسم آخر لم يقاوم الزاحم وانقاد لها امّا بأن يندفع إلى عمق نفسه مثل الأجسام الجامدة اللينة أوأن ينحرف للزاحم من غير مقاومة أصلا فمتى كان كذلك لم يوجد في الجسم الذي زحم صوت أصلا، ومنها ما إذا زحم بجسم آخر قاوم الزاحم فلم ينحرف له ولم يندفع لا إلى عمق نفسه ولا إلى الجهة التّي إليها حركة الزّاحم وذلك مثل جميع الأجسام الصّلبة متى كانت قوّة الزاحم دون قوّة الذي زحم وحينئذ يمكن متى قرع أن يوجد له صوت والقرع هو مماسة الجسم الصّوت جسما آخر صلبا مزاحما له عن حركة، والأجسام التّي لدينا تتحرك إلى جسم آخر في هواء أو في ماء أو فيما جانسهما من الأجسام التّي يسهل انحرافها ومتى تحرّك الجسم القارع إلى المقروع الذي يقرعه فإنّ أجزاء الهواء الذي بينه وبين المقروع منها ما قد ينحرف، ويبقى في الهواء أجزاء لا ينحرف"**[1].

وما عبّر عنه الفارابي حول حدوث الصّوت ليس بعيد عمّا ورد عند المحدثين يقول **إبراهيمأنيس "الصّوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها، فقد أثبت علماء الصّوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أنّ كلّ صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، على أنّ تلك الهزّات لا تدرك بالعين في بعض الحالات، كما أثبتوا أنّ الهزّات مصدر الصّوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى يتنقل إلىالأذنالإنسانية"**[2].

1- الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص51-52.
2- إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية" مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، مصر، ط3، 1992م، ص06.

أمّا عن الصّوت الإنسانيفيصفه **الفارابي**بقوله:" **والتّصويت الإنساني يحدث سلوك الهواء في الحلوق وقرعه مقعرات أجزاء الحلوق وأجزاء سائر الأعضاء التّي يسلك فيها، مثل أجزاء الفم وأجزاءالأنف**"[1]، وهذا الوصف لصدور الصّوت الإنساني ليس بعيد عمّا جاء عند المحدثين فالصّوت الإنساني عندهم ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان، فعند اندفاع النفس من الرئتين يمرّ بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التّي بعد صدورها من الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلىالأذن[2].

فلقد اعترف **إبراهيمأنيس** بمجهود القدماء في هذا المجال حيث قال:"**وقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنّها جليلة القدر بالنّسبة إلى عصورهم وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربي... ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية واتّصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحسّ دقيقي الملاحظة، فوصفوا لنا الصّوت العربي وصفا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم غير أنّالمتأخّرين منهم اكتفوا بترديد كلمات المتقدّمين دون فهم لها أو نظر فيها، فقد أصاب بعض هذه الأصوات تطوّرا لم يلحظوا ولم يفطنوا إليه، ووقفوا بهذا حيث وقف القدماء لم يستكملوا تلك البحوث القيّمة بل رووها مبتورة حينا، وممسوخة حينا آخر**"[3].

1- الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص1066.
2- ينظر إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية"، ص07.
3- نفسه: ص05.

أ. مبدأ الملاحظة والاستقراء:

تحدّث الفارابي مثلا عن انتقال الصّوت اللغوي، ووصوله إلىالآلة السّامعة له، بل أولىالأمر عناية كبيرة فلدقّة ملاحظته وحسن استقراءه تنبّه إلى كونه العنصر المتمّم لعملية حدوث الصّوت اللغوي، وأنّ الموجة الصّوتية تنتقل على شكل كروي يتّسع ويضيق بحسب قوّته وبعده عن المصدر إلىأن يضمحل وهو أمرأثبتته الدّراسات الصّوتية الحديثة.[1]

وتظهر دقّة ملاحظة الفارابي واستقراءه دائما في حديثه عن انتقال الصّوت مشيرا إلى الطّريقة التّي ينتقل بها الهواء بعد حمله للصّوت فقال:" **أمّا كيف يتأدّى إلى السّمع فإنّ الهواء الذي ينبو من المقروع هو الذي يحمل الصّوت فيحرك مثل حركته الجزء الذي يليه فينتقل الصّوت الذي كان قبله الأوّل ويحرّك الثاني ثالثا يليه فيقبل ما قبله الثاني، والثالث رابعا يليه فلا يزال هذا التّداول من واحد إلى واحد حتى يكون آخر ما يتأدّى إليه من أجزاء الهواء هو الهواء الموجود في الصماخين، وهواء الصماخ ملاق للعضو الذي فيه القوة التي بها يسمع ويتأدّى ذلك إلى القوّة السّامعة فيسمعه الإنسان**"[2].

وقد كان "**هذا النص بسبب دقته مدعاة لقول بعض الدّارسين المحدثين أنّ كلام الفارابي فيه إشارة إلى ما يسمّى حديثا بالرّنين الذي هو ظاهرة جعل جسم ما يتحرّك عن طريق ذبذبات جسم آخر، أي تقوية الصّوت الصّادر من جسم ما باهتزاز جسم آخر متأثر بالجســـــــــم الأوّل**

1- ينظر أحمد مختار عمر "دراسة الصوت اللغوي"، عالم الكتب، القاهرة، ط31408هـ- 1985م، ص10.
2- الفارابي " الموسيقا الكبير "،ص 216.

فالجسم المتذبذب ينقل دبدبته إلى جسم آخر يليه، لأنّ كل ذبذبة تميل إلى تحريك الأجسام المرنة التّي توجد عن طريق موجتها الصّوتية"[1].

وقد أشار الفارابي إلى الموجة الصّوتية أثناء حديثه عن انتقال الصّوت حيث ذهب إلىأنّ الهواء يحمل الصّوت فيحرك، بمثل حركته الجزء الذي يليه فينتقل الصّوت الذي كان قبله الأوّل ويحرّك الثاني ثالثا يليه فيقبل ما قبل الثاني والثالث رابعا يليه، وهذا التّداول لا يزال من واحد إلى واحد حتى يكون آخر من يتأدّى إليه من أجزاء الهواء هو الهواء الموجود في الصماخين إلى أن يلاقى القوة التي بها يسمع وقد أبرز تلك الإشارة بقوله:" **يكون هذا الهواء نفسه إذا فارق الذي عنه نبا، يتّفقأن يصدم جسما آخر فينبو عنه أيضا وينكفئ فيصدم من خلفه آخر ثمّ ينكفئ أيضا فيصدم آخر ولا يزال هذا التّداول حتى تسكن حركته، فتضعف موجته حتى يسكن"**[2].

فقد أخذ الفارابي من حديثه عن القرع كونه السّبب في حدوث الصّوت سببا في حديثه عن سرعة الصّوت، فهو يرى أنّ الهواء إذا اندفع بشدّة وكان الصّوت أشدّ اتّصالا كان الصّوت أسرعوإذا كانت أجزاء الصّوت أكثر تباعدا وأقلّ اتّصالا كان الصّوت أبطا[3].

ومن هنا يظهر أنّ الفارابي توصّل إلى قياس سرعة الصّوت وموازنته بالضوء ورؤية المصدر الذي يحدث عنه الصّوت، واستطاع الوصول إلى حقيقة مهمّة مفادها أنّ الضوء أسرع من الصّوت على الرغـم

1- علاء جبر محمد "المدارس الصوتية"، ص157.
2- الفارابي "الموسيقا الكبير"، ص216.
3- ينظر نفسه:ص212-241.

من عدم استعمال الأجهزة الصّوتية الحديثة التّي استعملها المحدثون، فسرعة الصّوت تعتمد كما يراها الفارابي على سرعة القارع، وسرعة انسلال الهواء منه، ومقدار التموّج، وبعد القارع عن الأذن،" **ويسمّي المحدثون سرعة الصّوت (الشدّة الصّوتية)وهم يرون أنّ شدّة توثر الصّوت تزداد إذا قرب من مصدره، وتضعف إذا بعد عن مصدره لأنّ الصّوتمهما كان مصدره يحتوي على اضطراب مادّي في الهواء يتمثل في قوة أو ضعف سريعين للضغط المتحرّك من المصدر ثم ّيضعف تدريجيا حتى ينتهي إلى نقطة الزّوال النّهائي"**[1]، وحول هذا يقول**إبراهيمأنيس:" تتوقف شدّة الصّوت أو ارتفاعه على بعد الأذن من مصدر الصّوت، فعلى قدر قرب الأذن من ذلك المصدر يكون وضوح الصّوت وشدّته كما تتوقف شدّة الصّوت على سعة الاهتزازة وهي المسافة المجهورة بين الوضع الأصلي للجسم المهتز وهو في حالة السكون وأقصى نقطة يصل إليها الجسم في هذه الاهتزازة، فعلى قدر اتّساع هذه المسافة يكون علوّ الصوت ووضوحه"**[2].

وحول مبدأ الملاحظة دائما الذي اعتمده الفارابي في دراسته اللغوية والصّوتية خاصّة فقد ذهب الفارابي إلى القول بأنّ درجة الصّوت تعتمد على حدّته وثقله وشدّة القرع فيقول:".... **ومتى نبا الهواء من بين القارع والمقروع مجتمعا متّصل الأجزاء أحدث حينئذ صوتا وكلّما كان الهواء النّابي من بينهما أشدّ اجتماعا فحدوث الصّوت فيه أمكن وأجود ومتى كان المقروع خشنا أو متخلخلا كان فيه أقلّإمكانا"**[3].

1- علاء جبر محمد "المدارس الصوتية"، ص161.
2- إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية"، ص6.
3- الفارابي "الموسيقا الكبير" ،ص212.

ب. **الوصف**:

استطاع الفارابي أن يصف لنا آلية النطق دون الاعتماد على الأجهزةالالكترونية، بل اعتمد على إحساسه المرهف ولقد سبقت الإشارةإلى تلك الفقرة، وإن كان البعض يرى أن ابن سينا هو من قام بوصف آلية النطق والحقيقة أنّ الفارابي قام بوصف رائع لعملية إصدارالأصوات بالرغم من أنّه لم يكن عالما بيولوجيا ولكنّه كان ذا حسّ مرهف، ولعلّ عدم التفات العلماء القدماء والمحدثين إلى كلام الفارابي في كتاب الحروف أنّ هذا العالم فيلسوف ولم يخصّص لهذه القضية دراسة خاصّة كما فعل ابن سينا بل جعلها فقرة أثناء حديثه عن حدوث الألفاظ والفلسفة والملة ولكن عنوان الكتاب يوحي إلى مثل هذه الدّراسة كما يوحيإلى غيرها من القضايا يقول الفارابي:" **والظاهر أنّ تلك التّصويتات إنّما تكون من القرع بهواء النفس بجزء أو أجزاء حلقه أو بشيء من أجزاء ما فيه، وباطن أنفه وشفتيه فإنّ هذه هي الأعضاء المقروعة بهواء النّفس والقارع أوّلا هي القوة التّي تسرّب هواء النّفس من الرئة وتجويف الحلق أوّلافأوّلاإلى طرف الحلق الذي يلي الفم، والأنف وإلى ما بين الشّفتين ثمّ اللسان يتلقّى ذلك الهواء فيضغطهإلى جزء من أجزاء باطن الفم، وإلى جزء من أصولالأسنان وإلى الأسنان فيقرع به ذلك الجزء فيحدث من كلّ جزء يضغطه اللسان عليه، ويقرعه به تصويت محدود وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاءأصل الفم فتحدث تصويتات متوالية كثيرة محدودة"**[1].

ومن الأمور التي التفتإليها الفارابي في هذه الفقرة التي ذكرناها:

1- الفارابي "الحروف"،ص 136.

1- نظر إلى الصّوت هو نتاج تنوّع الضّغط في الهواء عند انحباسه ثمّ انفلاته عند مواضع النّطق على مجرى الهواء.

2-تكلم الفارابي عن حجرات الرّنين ومواضع النطق المتنوّعة على ممرّ الهواء مبتدئا بالحلق، وأجزائه وباطن الأنف، وأصولالأسنانوالأسنان والشفتين وكذلك حجرة الفم كاملا، وفي هذه الحجرة يتمّ ترشيح الصّوت وتنقيته وبذلك يكتمل الصّوت ويخرج إلىالأسماع...

1- التفت الفارابي إلى أهمّية الوسط الناقل.

ومن الأمور التّي غفل عنها رغم تلك اللمحات الذكية:

1- لم يتحدث عن الأوتار الصّوتية والحنجرة وفتحة المزمار مع ما لهذه الأعضاء من أهمّية عظيمة في تكوين الصّوت اللغوي.

2- تكلم الفارابي عن القرعولم يتكلم عن القلع وهو المقابل للقرع.

3- هناك بعض الأصوات ليس للسان دور في إنتاجها، وإنّما تنتج من الهواء الموجود في الفم أو في الحنجرة ثم إنّ هناك أصواتا لا تنتج من قرع اللسان، وإنّما يكون إنتاجها بواسطة الشفتين.

4- هناك بعض الأصوات ليس للقرع في إنتاجها فهي تنسرح من الأوتار الصّوتية دون اعتراض كلي أو جزئي فتخرج طليقة دون فرع من اللسان وهذه الأصوات هي حركات المدّ الطويلة.

لقد تفوّق الفارابي في وصف **المقطع** ودراسته فلقد عرفه بأنّه حصيلة اقتران صامت بمصوّت إمّا طويل أو قصير[1]، فالمقطع بمفهومه العام كما هو معروف في الدّرساللساني الحديث هو كما عرفه الفـــــــارابي، وإن

1- ينظر الفارابي "شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة"، ص49.

اختلفت تقسيماته لعدم شيوعه عند علماء العربية آنذاك[1]، ولعلة أخرى وهي مزج الفارابي الدّراسة المقطعية بالدّراسة العروضية يقول **حسام النّعيمي**:" **لقد كنّا نرجو أن يبقى الفارابي مع الرّوح الموسيقي للمقطع، وهو يتناول بالدّرس تحليل العروضيين الألفاظ في موسيقى الشعر، ولو أنّه أرجح كلّ ما ركّب إلى المقاطع لا إلىالأسبابوالأوتاد....، لو فعل هذا لكان قدّم لنا دراسة صوتية نفيسة في هذا الباب، كان يمكن أن تحدث تغييرا جوهريا في دراسة موسيقى الشعر وأوزانه "**[2].

على العكس من هذا نجد من الدّارسين المحدثين من ينكر جهود القدامى في هذا المجال يقول **عبد السّلام المسدي**:" **من الغريب أنّه اطرد لدى الدارسين عموما أنّ العرب لم يعرّفوا المقطع بمفهوم Sylable وهو حكم كاد يصبح مقررا لدى كلّ النّاظرين في علم الأصوات كما عرّفه العرب وبلوروه"**[3].

ونلاحظ مثل هذا الإنكارأيضا في خلوّ دراسات بعض المحدثين من أيإشارةأو تمهيد لبذور وأسس الدّراسة المقطعية عند القدامى[4]، ومن ثمّفإنّهم لم يتفّقوا على تعريف محدّد له، ويرجع جانب من ذلك إلىأنّهم يذهبون في تعريفه مذاهب شتّى (صوتية، فيزيائية،أومخرجية، نطقيـــة، أو

1- عبد العزيز الصيغ" المصطلح الصوتي في الدراسات العربية"، دار الفكر، سوريا، ط1، 1421هـ- 2000م، ص275.
2- أحمد حسام الدين النعيمي" أبحاث في أصوات العربية"، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، العراق، ط1، 1998م، ص110.
3- عبد السلام المسدي "التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط2، 1986م، ص261.
4- ينظر على سبيل المثال إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية"، ص160، اللغة العربية معناها ومبناها، ص71.

وظيفية)، وإلى أنّالأجهزة المستخدمة لم تمكّنهم من رسم حدود المقطع بدقة[1]، ومع ذلك هم يتّفقون على أهمّيته في الدّراسة الصّوتية، باعتبار كلام الإنسان عبارة عن مقاطع صوتية يشكّل كلّ مقطع **"درجة في السلّم الهرمي للوحدات الصّوتية، والتّي يتشكّل كلّ منهما من أصغر وحدة تسبقه، الوحدة الصّغرى الفونيم، ثمّ يأتي المقطع المكوّن من فونيمات بترتيب معيّن، ثمّ يأتي مجموعة النّغم المحتوية على النّبر وعلى تتابعات من مجموعة النّغم"**[2].

فالمقطع هو مجال العمل الذي تشتغل عليه باقي الظواهر التّشكيلية من: نبر وتنغيم وهو **"الوحدة الأساسية التّي يؤدي الفونيم وظيفة داخلها"**[3]، وبالتّالي الأصوات اللغوية تقوم على عملية إنتاج المقطع مثل هذه الدّراسة لم تكن بعيدة عن الفارابي الذي لم يتوّفر إلاّ على حسّه المرهف، وذكاءه الثاقب مقابل ما تحفل به الدّراسات الصّوتية من آلاتوأجهزة متطوّرة، فقد تناول المقطع بالمفهوم الصّوتي الحديث.

ويرى **أحمد مختار عمر**أنّ علماء اللغة لم ينجحوا في إعطاء وصف شامل ودقيق للمقطع الصّوتي، وهذا ما أدّى إلى غموضه[4]، ويرى **عبد العزيز الصّيغ**أنّأكثر التّعريفات تقييدا لمعنى المقطع هو التّعريف الذي قدّمه **حسام النعيمي** من كون المقطع**"مجموعة صوتية تبدأ بصامت، يتبعه صائت وتنتهي قبل أوّل صامت يرد متبوعا بصائت"**[5]، فتعريف النعيمي للمقطع جاء واضحا وبسيطا.

1- بارتيلمالبرج "علم الأصوات"، ص154.155.
2- فرديناندوسوسير "محاضرات في الألسنة العامة"، ترجمة: يوف غازي ومجند النصر، دار النعمان للثقافة، جونيه، لبنان، دت، دط، ص27.
3- أحمد مختار عمر "دراسة الصوت اللغوي"، ص241.
4- عبد العزيز الصيغ "المصطلح الصوتي في الدراسات العربية"، ص278.
5- الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص109.

فالفارابي يسبق الدّرس الصّوتي الحديث كثيرا في نفيه لوجود مصوّت قصير قبل المصوّت الطويل، والصّوامت (الحروف) عنده إمّا "**أن تردف بمصوتات قصيرة، وإمّاأن تكون ساكنة وإمّاأن تردف بمصوتات طويلة**"[1].

فالفارابي على هذا أوّل من استعمل المقطع بمفهومه الاصطلاحي وإن كان يستعمله في بعض الأحيان بالمعنى اللغوي كقوله مثلا:" **والألحان المسموعة من الآلات منها ما صيغت ليحاكي بها ما يمكن محاكاته من الألحان الكاملة، أو لتجعل تكثير لها، وافتتاحات ومقاطع واستراحاتإليها في خلال المحاكاة**"[1].

أمّا عن **النّبر** فقد مسّ الفارابيهذا المجال مسّا علميا حديثا في بعض جنباته، وإن لم ترق دراسته في هذا الباب إلى تلك التي ألفيناها في المقطع، فها هو يعرض للنّبرة في الكلام في أكثر من موضع من كتابه مقيّدا إيّاها بالزّمن مقرّراأنّ مدى نغمتها لا يتجاوز زمن إحداث وتد يقول في ذلك:" **النبرات نغم قصار، أطول مدّاتها في مثل زمان النطق بوتد**"[2]

كما يوافق النّحاة واللغويين في عدّ الهمز المصطلح المرادف للنّبر، إذ يقول:" **أمّا الهمز والنّبر فيجعل افتتاح كلّ واحد من المصوّتات الاثني عشر... والأجودأن تجعل افتتاحات الألف والممزوجات التي تميل إلىالألف، وإن جعلت افتتاحا لحرف الياء وما مـــالمن الممزوجـــات**

1- الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"،ص 67-68
2- الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"،ص 1084.

أو المتوسطات بين الياء والألف لم يبشع به مسموع النّغمة ومتى جعلت افتتاحا للواو والممزوجات المائلة إليهاأكسبت النّغم بشاعة المسموع"[1].

تعرّض الفارابي كذلك للتّنغيم بالدّراسة والتّحليل وإن كان من المحدثين من ينكر على القدماء ذلك حيث يقول **تمّام حسّان**:**"إنّ العربية الفصحى لم تعرف هذه الدّراسة في قديمها، وإنّ القدماء لم يسجّلوا لناشيئا عن هذه الظاهرة"**[2].

إلاّأنّ عدم إشارة بعض كتب القدامى إلى هذه الظاهرة، لا يعني أنّ الحديث عنها ليس موجودا في بعضها الأخر لاسيما أنّ المادّة الصّوتية لم تقتصر على الكتب النّحوية أو اللغوية أوالقرآنية بل تعدّتها إلى كتب أخرى بعيدة عن الاختصاص كما هو الحال مع الفلاسفة[3].

يقول الفارابي:**"إذاأردناأن نقرن القول بنغم مؤلفه، فإنّا نعمد أوّلا فنحصي عدد نغم اللحن ونحصي عدد حروف القول غير المصوّتة، وما كان فيها من المصوتة أضفناهاإلى غير المصوّتة وعددنا كل مصوت مع غير المصوّت المقرون به كحرف واحد، ثم نقايس بين العددين فبالضرورة تكون نغم اللحن إمّا مساوية في عددها لحروف القول، وإمّا أقلّ عددا منها"**[4].

1- الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"، ص 1117-1118.
2- ينظر تمام حسان "مناهج البحث في اللغة"،ص 197-198.
3- ينظر أمينة طيبي "الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين"، ص276.
4- الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"،ص.1100

فمصطلح **"اللحن"** عند الفارابي قد أخذ بعدا دلاليا جديدا حيث أراد به التّنغيم المصاحب للألفاظ فهو جماعة النّغم التّي تصاحب الحروف والعلاقة بينهما قائمة كما يتوضّح ذلك أكثر في قوله:" **أمّا ترتيب النّغم في أجواء اللحن فإنّه على أنحاء كثيرة فمنها ما أجزاؤها حاد النغم والتالي له ثقيل النغم،وعلى هذا التّرتيب إلىأن تنفذ أجزاء اللحن"**[1].

يستخدم الفارابي النّغم والنّغمة للدّلالة على المعنى نفسه، وهو ما يعرف لدينا اليوم بـ **"التنغيم"** والذي يختلف باختلاف درجات الإسماع لقوله:" **النغم الأصوات المختلفة في الحدّة والثقل التّي تتخيل أنّها ممتدّة"**[2].

فالتنغيم ظاهرة موجودة في اللغة العربية تناولها علماء العربية تحت مصطلحات مختلفة، وأبدع فيها الفلاسفة بشكل خاص ثمّ جاءت اللسانيات الحديثة فشغلت لها حيّزا مستقلا وأفردت لها أبحاثا خاصّة.

التّنغيم كما ورد في الكتب اللسانية الحديثة هو **"تتابع النغمات الموسيقية والإيقاعات في حدث كلامي معيّن"**[3]، لذلك فهو يختلف من لغة إلى أخرى.

لم يحد الفارابي عن جمهور النّحاة في الاعتماد على الأصول المعروفة في بناء القواعد الصّرفية بل كان يسند آراءه دائما بالأدلة في الاعتماد على الأصول المعروفة في بناء القواعد الصّرفية فالمباحث اللغوية عند القدماء وجدت متداخلة مع بعضها البعض، وذلك لأنّ كلّ مبحث يخدم

1- الفارابي "كتاب الموسيقا الكبير"،ص 1168.
2- نفسه: ص 1090.
3- ماريو باي "أسس علم اللغة"، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 1403هـ- 1983م، ص93-94.

الأخر فمع أنّ هذا الدّرس هو درسمحدث وقديما كان جزءا من علم النّحو إلاّأنّ هذا لا يعني أنّ العرب اهتموا بدراسة الصّيغ والمقولات الصّرفية قديما وهو ما يعبّر عنه اليوم بالمورفيمات.

وقد ورد في كتاب سيبويه وهو أوّل كتاب يؤلف في هذا العلم قوله وهو يعرّف علم الصّرف:" **هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة وما قيس من المعتلّ الذي لا يتكلّمون به، ولم يجيء في كلامهم إلاّ نظيره من غير بابه وهو الذي يسمّيه النّحويون التّصريف**"[1].

ممّا سبق نفهم أنّ علم الصّرف هو العلم الذي نعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية وأحوال هذه الأبنية ليست إعرابا ولا بناءا والمقصود بالأبنية هنا هيأة الكلمة ومعنى هذا أنّ العرب القدامى قد فهموا الصّرف على أنّه دراسة لبنية الكلمة وهو فهم صحيح في الإطار العام للدّرس اللغوي.

ولكن القدامى مع هذا يركّزون في دراستهم للصّرف على ما يلحق الصيغ الأصلية من تبدّلات بسبب حروف العلة غير أنّ المحدثين يرون أنّ كلّ دراسة تتّصل بالكلمة أوأحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة أو الجملة فكلّ دراسة من هذا القبيل هي صرف[2].

فكما أشرنا هذا العلم عند القدماء لم يكن مستقلا ولا ظاهرا وإنّما كان جزءا من علم العربية فنلمس عند الفارابي ما يشير إلى هذا العلم فيقول:" **... والثاني- ويقصد به علم الصرف- يعطي قوانين في أحوال التّركيب والتّرتيب نفسه كيف هي في ذلك اللسان**"[3]، فهو لم يذكر في تعريفه كلمة

1- سيبويه "الكتاب"، 242/4.
2- ينظر عبده الراجحي "التطبيق الصرفي"، دار النهضة العربية، 1973م، ص07-09.
3- الفارابي "إحصاء العلوم"، ص22.

صرف أو تصريف ولكن أشارإلى مضمون هذا العلم لمّا قال بأنّه يختصّ بالقوانين المتعلّقة بأحوال التّركيب.

أمّا عند المحدثين فيقصد به " **دراسة البنية أو البحث في القواعد المتّصلة بالصّيغ، واشتقاق الكلمات وتصريفها، وتغيير أبنيةالألفاظ للدّلالة على المعاني المختلفة، وهو ما يدرس عند العرب باسم "علم الصّرف""**[1].

وهذهالأبواب المتّصلة بالصّيغ والاشتقاق وغيرها كلّها تعرّض لها الفارابي وهي تندرج ضمن مباحث علم الصّرف.

غير أنّ المنهج الحديث يتناول علم الصّرف كعلم مستقل بذاته فمعالجة الفارابي للمسائل الصّرفية كان يغلب عليها **المنهج الوصفي،** وكذلك الاعتماد على **أسلوب الافتراض والتّأويل،** ويظهر هذا بوجه خاص في أبواب مثل المصادر والنّسبة... حيث يقول:" ... **وهذه الألفاظ يستعملونها مصادر مثل "الإنسان" الذي هو مثال أوّل في العربية ولا مصدر له ولا تصريف ولكن إذاأرادواأن يعملوا منها مصدرا قالوا "الإنسانية" مشتقا من "الإنسان" وكذلك تعمل سائر الألسنة بتلك اللفظة مثل ما في الفارسية، فإنّه متىأرادواأن يعملوا "هست" مصدر قالوا "هستي" فإنّ هذا الشّكل يدلّ على مصادر ما ليس له تصاريف من الألفاظ عندهم، كما يقولون "مردم" وهو الإنسان و"مردمي" وهو الإنسانية"**[2].

1- رمضان عبد التواب "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"، ص10.
2- الفارابي "كتاب الحروف"، ص111.

ويرجع لجوءه إلى هذه الطريقة في التّفسير والتّعليل إلى ولعة بربط الصّيغ بأصل صرفي واحد وإرجاعهإليه ثمّ تفسير أوجه التّشابه أو الخلاف بطريق التّأويلأو افتراض صور ونماذج من لغة أخرى هذا بالإضافةإلى بعض أفكاره الفلسفية والمنطقية التّي تثبت من آنلأخر في أعماله الصّرفية.

فالجوانب الصّرفية التّي درسها الفارابي تقترب من معنى الصّرف حاليا "**فالصّرف كما يعرّفونه علم بأصول يعرف بها أحوالأبنية الكلمة التي ليست بإعراب**"[1]، وبهذا يقترب معنى الصّرف من مصطلح المورفولوجيا في الدّراسة اللغوية الحديثة[1].

فعلم المورفولوجيا Morphologie، هو الذي يتولى دراسة بنية الكلمة وقد وضعته الدّراسات العربية تحت عنوان (علم الصّرف) أو (علم التّصريف)، وأريد به معرفة أحوال البنية التّي ليست بإعراب وهي في الواقع طرق اشتقاق الكلمة العربية بالمعنى الواسع، الذي يضم إلى جانب استخراج المشتقات معرفة معاني الصّيغ، واستخدام الزّوائد في صيغ الجموع وغيرها"[2].

وفي رأي**عبد الصّبور شاهين**أنّ الخلل الذي وقع لدى القدماء في دراستهم الصّرفية يكمن في اعتمادهم على الكتابة أو ما يسمّى بالرسم الإملائي فيقول:" **وكان أحد مصادر الخلل في النظام الصّرفي الذي وضعه السّلف هو الرّبط بينه، وبين الكتابة، فيتداخل بذلك ما هو من اهتمامات علم الرسم (الإملاء) فيما هو من ظواهر النطق، وخصائص التّصريف**"[3].

1- عبد الصبور شاهين" المنهج الصوتي للبنية العربية"، مؤسسة الرسالة بيروت، 1400هـ- 1980م، ص23.
2- نفسه: ص24.
3- نفسه: ص09-10.

فنظام الكتابة عموما لا يؤدّي في أيّ لغة أكثر من نصف الواقع اللغوي الملحوظ[1].

ويمكننا القول أنّ الصّرف التقليدي يشتمل على نوعين رئيسين هما:

النّوع الأوّل: يشمل أبواب وبحوث هي من صميم الصّرف بالمعنى الذي نفهمه ونعني بذلك الدّراسة التّي تعرض لدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها ومن أهمّ هذه الأبواب: المشتقات، تقسيم الفعل إلىأزمنته المختلفة التّذكير والتّأنيث ... الخ... والبحث في هذه المسائل وأمثالها هو بحث صرفي صميم[2]، وذلك لأنّها ذات قيمة كبيرة في التّركيب.

الملاحظ أنّ الفارابي وصف لنا **المشتقّات** حيث قال:" **... وباقيها مشتقّة منها، مثل "الضّرب" فإنّه مثال أوّل، و"الضّارب" و"يضرب" و"ضرب" و"سيضرب"و"مضروب" وأشباه ذلك مشتقّة"[3]، ومن المقولات أيضا منها ما هو مشتقّ فقال:"....** وأسماؤه المشتقّة كثيرة، **مثل "عالم" و"معلوم" و"يعلم" و"علم" وغير ذلك ممّا له تصاريف"[3]**.

أمّا**النّوع الثاني**: فيشمل أبوابا ومسائل شتّى من الصّرف التّقليدي تجمعها كلها خاصّة ظاهرة، تلك هي أنّها جميعا تعنى بالنّظر في الكلمة من حيث الزّيــادة والأصـلوالأوزانوالأبنية، وما إلى ذلك من تغيير في صور الكلمــات وهي تغييرات لا تعطي معـاني أو قيما صرفيــة تخدم الجملة أو العبارة[4]، وهذا النّوع أشارإليه الفارابي في التّعريف الذي قدّمه لنا لعلم الصّرف لمّا ذكر أنّه يعطي قوانين متعلقة بالتّرتيب نفسه[5].

4- عبد الصبور شاهين" المنهج الصوتي للبنية العربية"، ص 10.
5- ينظر : كمال بشر "التفكير اللغوي بين القديم والحديث"، ص431-432.
6- الفارابي "كتاب الحروف"، ص74
7- ينظر كمال بشر "التفكير اللغوي بين القديم والحديث"، ص434.
8- ينظر الفارابي "إحصاء العلوم"، ص22.

وبهذا يمكننا القول أنّ الفارابي عالج مسائل مهمّة تندرج ضمن علم الصّرف، وإن كانت معالجته لهذا المستوى لم تكن معالجة مستقلّة وفي كتاب منفرد، وإنّما جاءت ضمن معالجته لمباحث لغوية عدّة، وهذه الميزة بالطبع هي ميزة القدماء من علماء العربية.

ولا يمكننا القول إنّه استوعب كل أبواب الصّرف ومسائلها وإنّما عالج الأهمّ منها.

فقد وصف الفارابي النّحو بقوله:" **إنّ علم النحو إنّما يعطي قوانين تخصّألفاظ أمّة ما...**"[1].

وما دام أنّالإعراب هو أهمّ شيء في النّحو فقد أشار الفارابي إلى ذلك بقوله أنّ النّحو إنّما هو علم قوانين الأطراف فقال:" **... وعلم قوانين الأطرافالمخصوص بعلم النّحو، فهو يعرف أنّالأطرافإنّما تكون أوّلاللأسماء، ثمّ الكلم... ومنها ما يكون في نهاياتها وفي الأطرافالأخيرة، وتلك التّي تسمّى حروف الإعراب...**"[2]، وهذا التّعريف يطابق ما جاء به القدماء فابن جني يعرّف النّحو فيقول:**" النّحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالثنية والجمع والتّحقير والتّكسير والإضافة والنّسب والتّركيب وغير ذلك**"[3].

ويظنّ كثير من النّاس أنّ النّحو هو الإعراب والصواب أنّ النّحو أشمل وأعمّ من الإعراب فالنّحو دراسة للعلاقات التّي بين الكلمات في الجملة الواحدة مع بيان وظائفها[3].

1- أبو نصر الفارابي "إحصاء العلوم"، ص34.
2- نفسه: ص21-22.
3- ابن جني "الخصائص" ، 35/1.

فقد وصف لنا الفارابي علم النّحو بما يطابق ما ورد لدى القدماء معتمدا في ذلك على المنهج الوصفي أحيانا في معالجة بعض القضايا النّحوية كوصفه لطريقة جمع نحاة العربية لمفردات اللغة ووصف منهجهم.

وقد كان الفارابي يتناول الظواهر اللغوية على أساس شكلي، وهو مبدأ من مبادئ النّحو الوصفي ومن ذلك معالجته للتذكير والتأنيث، والافراد والتثنية والجمع فقال" **ويلحق الأسماء والكلم التذكير والتأنيث،والتوحيد والتثنية والجمع..."**[1]

إنّأهمّ ما في النّحو العربي أنّه نحو شامل يدرس الصّوت والنظم والدّلالة وهو بذلك يصل اللغة بالفكر ويعالج الشّكل والمعنى غير أنّ هناك بعض الانتقادات توجّه إلى القدماء في بعض الخواص منها:

1- إنّهم لم ينظروا إلى اللغة على أنّها بناء متكامل ذو جوانب وأركان مرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، فهم نظروا في كلّ جوانب اللغة تقريبا ولكنّهم عزلوا هذه الجوانب بعضها ببعض، كما لو كانت مستقلة أو ما أشبه.فدرسوا الأصوات والصّرف والنّحو....لكن على وجه ينقصه التّكامل،كما لو كان كل مستوى منها مستقلا بنفسه[2].

2- لم يلتزموا في أعمالهم كلها بمنهج محدد من مناهج الدّرس، بل خلطوا بين هذه المناهج خلطا، قادهم إلى التّعقيد والغموض كما يظهر ذلك واضحا في كثير من أعمالهم كانوا يعالجون الحقيقة الواحدة أو الظاهرة اللغوية الواحدة بأكثر من منهج وأكثر من أسلوب.2

1- الفارابي "إحصاء العلوم"، ص19.
2- ينظر كمال بشر "التفكير اللغوي بين القديم والحديث"، ص59.

قد نجد أحيانا الفارابي يعالج مباحثه النّحوية باستعمال المنهج العقلي وينوّع في استخدام أسلوب الموازنة والتّحليل ويستخدم حتّى التّعليل موظفا **طريقة الاستقراء** في دراسة الجزئيات إلى وضع القوانين .

فمن التّعليل قوله مثلا:" **....ومنها الحروف التّي تقرن بالاسم فتدلّ على أنّ الحكم الواقع على المسمّى هو حكم واقع على جميع أجزاء المسمّى وهو مثل قولنا: كلَ ومنها ما يدّل أنّه حكم على شيء من أجزائه لا كلّه، وهو قولنا: بعض، وما يقوم مقامه"**[1] .

وحول **طريقة الاستقراء** في دراسة الجزئيات إلى وضع القوانين قوله مثلا حول الحروف أيضا:" **فصنف منها يسمّونه الخوالف، وصنف منها يسمّونه الواصلات، وصنف منها يسمّونه الواسطة، وصنف منها يسمّونه الحواشي، وصنف منها يسمّونه الرّوابط وهذه الحروف منها ما يقرن بالأسماء، ومنها ما يقرن بالكلم ومنها ما قد يقرن بالمركّب منها وكل حرف من هذه قرن بلفظ فإنّه يدلّ على أنّ المفهوم من ذلك اللفظ هو بحال من الأحوال"**[2].

إضافةإلى ذلك الفارابي عاش في القرن الرّابع الهجري، وهذا العصر هو عصر سلطنة القواعد وغلبتها، وهو عصر لم يمنع ما قيس علي كلام العرب أن يكون من كلام العرب، فتلك النّظرة إلى دراسة اللغة معيارية، تتّخذ القاعدة معيار للاستعمال اللغوي[3].

1- الفارابي "الألفاظ المستعملة في المنطق"، حققه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986 م، ص44.
2- نفسه: ص 42.
3- ينظر تمام حسان "اللغة بين الوصفية والمعيارية"، ص28.

ويسجّل المحدثين أنّ "**تاريخ النّحو العربي يدلّ على اتّخاذه منهج الوصف: في تحليل الظواهر اللغوية بدءا بالاستقراء كما هو ملاحظ بصورة جلية في كتاب سيبويه**"[1]، وقد سبق وقلناإنّأوّليات النّحو العربي كان فيها اتّصال بالواقع اللغوي اتّصالا مباشرا، والواقع اللغوي هو الاستعمال والاستعمال من أهمّ الرّكائز للمنهج الوصفي، وقلنا إنّ من أمثلة هذا الاتصال بالواقع اللغوي تلقّي النّصوص من أفواه الروّاة ومشافهةالأعراب والنّقل عنهم ممّا مهّد إلى استقراء اللغة واستنباط القواعد نتيجة لهذا الاستقراء، فالفارابي وضّح في منهجه أنّ البادية كانت من أهمّ المصادر للدّراسات اللغوية المبكرة.

يتناول الفارابي الظاهرة اللغوية أحيانا على أساس شكلي وليس على أساس معنوي، والشكل هو الظاهر والمنهج الوصفي يعني بالظاهر أكثر من عنايته بما هو خلف ذلك ومن أمثلة ذلك تعريفه للمنادى:" فإنّ النداء يقتضي به أولا من الذي نودي الإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه منتظرا لما يخاطبه به بعد النداء، وهو نفسه لفظة مفردة قرن بها حرف النداء"[2].

سنستنتج مما تقدم" **أن الدراسات اللغوية في العربية قد بدأت وصفية في كثير من أصولها ثم انتهت في الفترات المتأخرة ولاسيما بعد القرون الهجرية الأربعة إلى المعيارية، ثم استنبطت منها القواعد الكلية والجزئية أن جعلت القاعدة خاضعة للاستقراء وليس العكس**"[3].

1- علي زوين" منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م، ص11.
2- الفارابي "كتاب الحروف"، ص162.
3- علي زوين" منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث"، ص16.

ويحاول**تمام حسان** أن يعطي تعريفا للنحو لا يبتعد كثيرا عما ورد عند الفارابي فيقول**:" إن النحو هو دراسة العلاقات بين أبوابه..."**[1] ، ويقصد بالأبواب هنا الكلمات، ويقول أيضا:" **فحين تتحول الكلمات بالتحليل الإعرابي إلى أبواب تصح العلاقات التي بينها، لأن هذه العلاقات مقررة في قواعد النحو، وكل باب من هذه الأبواب معنى وظيفي للكلمة المعربة به، فحين نقول أن المعنى الوظيفي "لضرب"، إنها فعل ماضي، ونقصد أنها تقوم في السياق بدور الفعل الماضي، وتؤدي وظيفته النحوية الخاصة به، وحين قال النحاة قديما: إن الإعراب فرع المعنى، كانوا في منتهى الصواب في القاعدة، وفي منتهى الخطأ في التطبيق، لأنهم طبقوا كلمة المعنى تطبيقا معيبا، حيث صرفوها إلى المعنى المعجمي حينا، والدلالي حينا، ولم يصرفوها إلى المعنى الوظيفي"**[2]

ونخلص إلى القول أن الفارابي طبق مناهج لغوية عدة في دراسته، وإن دراسته اللغوية شبيهة بما جاء عند القدماء وقد لقيت استحسانا كبيرا لدى المحدثين، حتى إننا يمكننا القول أن المحدثين لم يضيفوا الشيء الكثير في مجال النحو فأعمالهم تقريبا ما هي إلا استقراء لما ورد عند القدماء في هذا المجال.

ولم يغفل الفارابي عن الاهتمام بالألفاظ ومعانيها فقد أشار **تمّام حسّان** إلى أنّ علم الدّلالة أو علم المعنى، أوعلم السيمانتيك، فرع من فروع الدّراسات التّي تناولها بالبحث أنواع من العلماء تختلف موضوعاتهم كالفلاسفة واللغويين وعلماء النّفس وغيرهم[3].

1- تمام حسان "مناهج البحث في اللغة" مكتبة الأنجلو المصرية، ص192.
2- نفسه: ص193.
3- نفسه: ص240.

يقول **منقور عبد الجليل** :"**ودراسة الفارابي للألفاظ لا يمكن تصورها بمعزل عن الدّلالة، فلا وجود لألفاظ فارغة الدّلالة في علمي المنطق والفلسفة، إنّماالألفاظ ودلالاتها وجهان لعملة واحدة ممّا يسمح ذلك في القرون المتأخرةإلىإبراز جملة من العلاقات الدّلالية النّاتجة عن اتّحاد الدال بمدلوله، وهو ما ظهر جليا في العصر الحديث في مباحث دوسوسير الذي وضع مصطلح الدّليل اللساني Le Signe Linguistique على اتّحاد اللفظ بالمعنى، قطبي الفعل الدّلالي**"[1].

وإنّ المستوى التّي تتمّ فيه الدّراسة الدّلالية عند الفارابي هو مستوى الصّيغة الإفرادية، وهو يطلق عليه في الدّرس الألسني الحديث بالدّراسة المعجمية، التّي تتناول الألفاظ بمعزل عن سياقها اللغوي، فتدرس دلالاتها وأقسامها ضمن حقول دلالية تنتظم فيها وفق قوانين حددها علماء الدّلالة وذلك لإدماجها في استعمال لغوي أمثل[1]، يقول الفارابي مشيرا إلى هذه الدّراسة "**الألفاظ الدّالة منها مفردة تدلّ على معان مفردة، ومنها مركبة تدلّ على معان مفردة، والألفاظ الدّالة على المعاني المفردة ثلاثة أجناس : اسم وكلمة وأداة، وهذه الأجناس الثلاثة تشترك في أنّ كل واحد منها دال على معنى مفرد**"[2].

1- منقور عبد الجليل "علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي" منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص29.

2- الفارابي "شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة"، عني بنشره وقدم له ولهم كوتش اليسوعي وستانلي ماروواليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط2، دت، ص.74

فأقسام الألفاظ باعتبار دلالتها تنتظم في قسمين: ألفاظ مفردة ذات دلالة مفردة، ومعيار اللفظ المفرد هو ما يدل جزؤه على جزء معناه، فدلالته قابلة للتجزئة، أمّا قسم الألفاظ المفردة المركّبة ذات الدّلالة المفردة فهي على نقيض الألفاظ المفردة، إذ هي غير قابلة لأن تتجزأ دلالتها وتعرف بأنّها ما لا يدلّ جزؤه على جزء معناه[1].

من هذا العرض تتبيّن لنا أهمية المساهمة التّي قدّمها المناطقة في التطرّق إلى موضوعات علم الدّلالة، والتّي كانت محصورة ضمن إطار الدّلالة اللفظية.

فعلم الدّلالة يعتبر قمّة الدّراسات اللغوية **"ولهذا السّبب اهتمّ الفلاسفة بدراستها ولو أنّه من الملاحظ عليهم أنّهم تناولوها بشكل مختصر، واعتمدوا في دراستهم لها على منطق أرسطو الذي عرّفها بنفس التّعريفات التّي وردت عندهم، والتّي اعتمد فيها على "اللفظ الدّال"، فالكلمة عنده لفظ دال و"الاسم لفظ دال"و "القول أيضا لفظ دال"، ولهذا الاعتبار قال الفلاسفة عن اللغة بأنّهاألفاظ دالة من خلال ارتباطها بالفكر الإنساني وهو ما وقع فيه الاتفاق بينهم وبين اللغويين الذين هم أيضا يرون ذلك"**[2].

فالفارابي كان من المهتمّين جدّا بموضوع **"الدّلالة"** وطرحها في معظم كتبه المنطقية، وكان مركّزا فيها على مفهوم وتطبيق **"الدّلالة"**، وظهر تركيز الفارابي في حديثه عن **"الدّلالة"** على نواحي ثلاث هي :

1- ينظر: منقور عبد الجليل "علم الدلالة أصوله ومباحثه"، ص29.
2- حسن بشير صالح "علاقة المنطق باللغة عند الفلاسفة المسلمين"، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، 2003م، ص282.

الأول: مفهوم الدّلالة في اللفظ (الاسم)

ثانيا: مفهوم الدّلالة في الكلمة التي عند النّحاة (الفعل)

ثالثا: مفهوم الدّلالة في الجملة[1].

أما الدّلالة عند اللغويين فهي أيضا لها تعريفات متميّزة جاءت من تعريف اللغة أنّها نظام من الرّموز الصّوتية، ومن أجل معرفة علاقة هذه الرّموز بالمدلول أو المعنى نشأت نظرية الدّلالة التّي عرفت عند أصحاب اللغة، وهي تعني بالبحث في العلاقة بين اللفظ ومدلوله التّي أقرّها كثيرا من اللغويين **كالخليل بن أحمد** و**ابن جني**[2]، حيث يقول **ابن جني** في كتابه الخصائص :"**اعلم أنّ هذا موضع شريف لطيف وقد نبّه إليه الخليل وسيبويه، وتلقّته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحّته**..."[3]

وقد واصل الفلاسفة المسلمون الحديث في الدلّالة "**وركّزوا في دراستهم على الدّلالة اللفظية وأهملوا الدّلالة غير اللفظية، فجاء تناولهم للدّلالة اللفظية على النحو التالي: فالدّلالة اللفظية وهي التّي يكون فيها الدّال لفظا، أو كما يقول أهل اللغة "صوتا"، وسمّوها دلالة صوتية، كقولك كاتب أو قارئ على الإنسان الذي يقوم بفعل الكتابة، وبفعل القراءة، أو يكون الدّال لفظا في قولك زيد الذي استدلّت به على الإنسان**"[4]

وتنقسم الدّلالة اللفظية إلى ثلاثة أقسامهي:

أ- دلالة لفظية وضعية

ب-دلالة لفظية عقلية

ت-دلالة لفظية طبيعية

1- حسن بشير صالح "علاقة المنطق باللغة عند الفلاسفة المسلمين"، ص278.
2- ينظر نفسه: ص 283.
3- ابن جني "الخصائص"، 2/ 152.
4- ينظر: حسن بشير صالح "علاقة المنطق باللغة"، ص248-286.

والجديد بالذكر أنّ الفلاسفة لم يستعملوا إلا نوعا واحدا منها، وهي الدّلالة الوضعية التّي قاموا بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام، وهي دلالة مطابقة، ودلالة تضمّن ودلالة التزام[1].

فقد درس الفارابي الدّلالة بطريقة وصفية محضة ترتكز على المعنى أو المعاني التّي تدلّ عليها الكلمة وهذه المعاني محتواة في النّفس وقد سمّاها بالمعقولات حيث قال:"... **والقول المركوز في النفس وهو المعقولات التّي تدلّ عليها الألفاظ"**[2]، ويوضّح ذلك بشكل أكثر فيقول:" **والآثار في النفس مثالات للمعاني الموجودة خارج النفس"**[3].

وقد سار الفارابي وفق منهج علمي عرضي في أوّله مسألة العلاقة بين الدّال والمدلول، فيذكرأنّ دلالة الألفاظ تتحقّق إمّا بالصّوت أو بالكتابة والتّي هي الخطوط، فتصبح دلالة الصّوت علامة منطوقة ودلالة الكتابة علامة مكتوبة فيقول:" **وكل ما يمكن أن يقال في الألفاظ فإنّه ممكن أن يقال بعينه في الخطوط، فلمّا كانت الخطوط دلالتها على الألفاظ لاصطلاح كذلك دلالة الألفاظ على المعقولات في النفس باصطلاح ووضع وشريعة...."**[4].

والمنهج الوصفي في البحث الدّلالي معتمد عليه في البحث الدّلالي في العصر الحديث **"فقد بدأ البحث الدّلالي في العصر الحديث بمنهج وصفي يعاين جزئيات الظاهرة اللغوية معاينة وصفية تعتمد طريقة الملاحظة والتحليل فالاستنتاج وهي طريقة تعدّ امتداد لمنهـــج البحـــــث**

1- الفارابي "إحصاء العلوم"، ص78.
2- الفارابي "شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة"، ص24-25.
3- نفسه: ص27.
4- حسن بشير صالح "علاقة المنطق باللغة"، ص284.

اللغوي القديم، ثم ارتقى الدرس الدلالي إلى مرحلة محاولة التنظير والتقعيد، فغدا يعتمد على المنهج المعياري وذلك لنزوح الباحثين اللغويين نحو تشكيل معالم مشروع دلالي بدءا ببلورة جهود السّابقين في ميدان البحوث اللغوية المختلفة"[1].

كما أنّ الفارابي أفاض في تقسيم الدّلالات متّخذا معايير لفظية لغوية ومعايير عقلية منطقية و"**إنّالمتأمّل لتراث العلماء العرب القدامى في ميدان علم الدّلالة ليقف على ملمح علمي دلالي قيّم في هذا الميدان تنبّه إليهأولائك العلماء وسمّاها بعضهم بأسمائه، مثل له بشواهده، وأمثلته، وسياقاته في الوقت الذي لا نجد لهذا الملمح الدّلالي المعمّق حضورا في أغلب دراسات المحدثين الدّلالية ممّن درجوا على الخلط بين أنواع الدّلالة، وعناصر تحديد الدّلالة فتحدّثوا عمّا سمّوه الدّلالة الصّوتية والدّلالة الصّرفية والدّلالة النّحوية والدّلالة السياقية وغير ذلك ممّا عدّوه نوعا من أنواع الدّلالة وقسيما من أقسامها وليس الأمر كذلك عند الدّلالين العرب القدامى الذين ميّزوا أكثرهم بين عناصر تحديد الدّلالة-محددات المعنى- وأنواع الدّلالة"[2].**

فدراسة الفارابي لمفاهيم الدّلالة لا تخرج عن إطار المنهج الوصفي وقد تنبّه أسلافناالأقدمون من الفلاسفة منذ فترة مبكّرة جدّا إلىأهمّية العلامة من حيث هي شيء محسوس بديل في الواقع المدرك عن شيء مجرد غائب عن الأعيان.

1- منقور عبد الجليل "علم الدلالة أصوله ومباحثه"، ص42.
2- هادي نهر "علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي"،دار الفكر، دمشق، ط1، 2000م، ص47.

فالاهتمام بالدّراسة الدّلالية أمسى تحوّلا علميا في ظل النّشاط الفكري الإنساني الذي ارتبط نضجه بعطاء لا ينضب في رحاب التدارس اللساني بكل أبعاده، فانصرفت الهمم لدى الأوّلين منذ أنأدركواأهمّية اللغة في حياتهم اليومية إلى استجلاء حقيقتها بسبر أغوارها، واستكشاف العلائق الضمنية الحاصرة لمسارها، والضّابطة لرموزها فانتهوا إذ ذاك إلىأنّأصفى بنية اللغة الإنسانية تتجلّى في الثنائية دال ومدلول[1].

فلاأحد ينكر جهود الفلاسفة في الدّرس الدّلالي وفضلهم على المتأخّرين لأنّ تلك المفاهيم الأوّلية التّي توصّل إليها العرب تعدّ بمثابة الأرضية الخصبة لإمكانية وجود تفكير دلالي وسيميائي عربي أصيل استفاد منه البحث الدّلالي السيميائي الحديث.

1- أحمد حساني "مباحث في اللسانيات"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1994م، ص149.

خاتمـــة

خاتمـــــة:

على الرّغم من أنّ الدّراسة اللغوية لدى الفارابي لم تكن مقصودة، ورغم بعده عن الميدان اللّغوي، إلاّ أنّه نافس غيره في الكثير من القضايا اللغوية، ولم يكن ذلك بالعسير عليه، بل إنّ القارئ لمؤلفاته ليجد أنّه أحرص من غيره على ضبط المصطلحات والمفاهيم التي شاكلت كثيرا المفاهيم اللغوية الحديثة.

وقد أفضت بنا رحلتنا في المنهج اللغوي عند الفارابي إلى مجموعة من النتائج منها:

1- استفاد الفارابي من مادّة غنية جدّا، وهي تلك التّي أخذها عن النحاة واللغويين العرب فكثيرا ما كان يستشهد بآرائهم، يظهر هذا في بعض مؤلفاته اللغوية.
2- محاولة الفارابي تبيين منهج العرب القدماء في جمع مفردات العربيّة، وهو خير من أحصى القبائل التي أخذت عنها اللغة وهي: قيس وتميم وأسد.
3- اختلاط الدّراسات اللغوية في مرحلة نشأتها، وظهور أثر ذلك في مصنّفات الأوائل من المسلمين كالفارابي مثلا، فلقد درس هذه العلوم النّحو والصّرف والدّلالة مجملة فلم يفرد لكلّ منها كتابا خاصّا بها وهذه الطريقة كانت موجودة عند القدماء أمثاله.
4- اتبع الفارابي في دراسته الصوتية منهجا يختلط بين الوصفية والمعيارية في تفسير الظواهر الصوتية.

5- الدقة والعمق في تناول الموضوعات اللغوية عند الفارابي مما يدلّ على استيعاب كبير لظواهر اللغة وفهم قوانينها.

6- حاول هذا العالم الاعتماد على تقديم الأمثلة الموضحة في دراساته اللغوية بالاعتماد على الظواهر المنظورة.

7- وصف الفارابي عملية إصدار الأصوات وصف عالم بيولوجي وذلك لأنّه كان يعتمد على الملاحظة الذّاتية، وكان ذا حس مرهف.

8- أسلوب الفارابي مميّز ودقيق فهو موجز ولكنّه دقيق في إعطاء المسمّيات ووضع التّعريفات.

9- أصالة الدّراسات اللغوية عند العرب، ويتمثل ذلك في الدّراسة الصّوتية والنّحوية والدّلالية.

10- تحدث الفارابي عن كلّ ماله علاقة بالصّوت فعرّفه كما تحدث عن أسباب حدوثه، فحدّد خصائصه وكيفية انتقاله.

11- رغم تأثر الفارابي بالفكر اليوناني إلّا أنّ فكره ظلّ عربيّا صرفا صافيا، فعند تناولنا للجوانب الصّوتية في دراسته نجد أنّه لا علاقة لها بالفكر اليوناني، بل إنّ تلك المصطلحات في عمقها ودقّتها تجاوزت ما توصّل إليه اللغويون ممّن عاصروه، وإنّ أكثرها لا تزال محلّ تقدير وإعجاب من قبل المحدثين.

12- اعتمد الفارابي في دراسته الصّوتية على مصطلحات صوتية تفرّد بها كما في مصطلح القرع والقلع والحدّة والثقل، والرّطوبة واليبوسة وغيرها من المصطلحات.

13- درس الفارابي علم وظائف الأصوات دراسة دقيقة وواعية حيث درس المقطع والنّبر والتّنغيم وحدّد مفاهيم هذه المصطلحات وبيّن

تفاصيلها وقد أثبتت الدّراسات أنّ مفهومه لهذه المصطلحات كان دقيقا بحيث شابه ما ذهب إليه المحدثون، ويمكن القول أنهم لم يؤتوا بالكثير إذا وازنا عملهم بما قدّمه الفارابي في هذا المجال.

14-الفارابي أسّس لعلم الصّوت في كتابه الموسيقا الكبير وجعله قسمين: نظري وفكري تجريدي، وعملي تطبيقي تجريبي، وأسند للصوت وظيفة التأثير على النّفس الإنسانية سلبا وإيجابا.

15-الفارابي من العرب القدماء الذين بدؤوا دراستهم اللغوية بالاعتماد على المنهج الوصفي، فقد اهتم بوصف الظواهر اللغوية ثم دراستها بعد ملاحظتها وتجربتها والخروج بعدها بنتائج أو قواعد تخصّ هذه الظواهر.

16-مصطلح الحلق عند الفارابي هو تجويف القصبة الهوائية أو ما بين الحنجرة واللهاة أو ما بين اللهاة، وفتحتي الأنف، أو ما بينها وبين الشفتين، ومن تمّ ينبغي أن يؤخذ مفهوم الحلق عند الفارابي على غير ما قال به اللغويون من قبله ومن بعده.

17-تحدّث الفارابي عن الأوتار وأسند إليها مهمة إنتاج الصّوت.

18-الجهاز النّطقي عند الفارابي يتشكلّ من ثلاثة أقسام: تجاويف وأعضاء ومواقع (مخارج الحروف)، فقد تحدّث الفارابي عن التّجاويف بأكثر ممّا تحدّث له عن غيرها، وكان حديثه عن الأعضاء دونها، وكان للّسان حظّه الأوفر، ومن بعد الشّفتان، وأقلّ ما تحدّث عنه حتىّ وكأنّه مهمل، هي المواقع التّي سمّاه غيره مخارج الحروف.

19-وممّا يلاحظ أيضا أنّ معظم أسماء الأصوات ومصطلحاتها التي دارت على ألسنة الدّارسين العرب كمصطلح الصّائت والمصوّت، والكمية الذي استعمله ابن جنّي، ومصطلح القرع والقلع، والصّائت القصير والطّويل، الدّي استعمله ابن سينا جميعا من عمل الفارابي.

20-تقويم مصطلحات الفارابي في ضوء الدّرس الحديث تؤكّد عمقها وجدّتها ودقّة ملاحظة الفارابي على الرّغم من الإمكانات التّحليلية المتواضعة لديه، والتقدّم العلمي والتّقني الهائل في الدّراسات الصّوتية الحديثة حيث اتّفقت معظم مصطلحاته مع الوصف الحديث.

21-برع الفارابي في الكثير من القضايا اللغوية التي مسّها النّحاة واللغويين وتفوّق في تناوله لها، لاسيما من جهة توحيد المصطلحات المناسبة، واستخدام المنهج العقلي الذي كان له بالغ الأثر في تعليلهم للقضايا اللغوية.

22-يرى الفارابي أنّ الصّوائت تمثّل أعلى قمّة إسماع للمقطع وهو نفس ما ذهب إليه علماء الأصوات المحدثين.

23-تعرّض الفارابي لبعض المسائل الصّرفية خاصّة ما يتعلق بأنواع المشتقّات كاسم الفاعل والمفعول والنّسب، وكثيرا ما كان يشير إلى المفهوم دون أن يصطلح عليه، فيرى أنّ الكثير من مصطلحات أبواب الصّرف حديثة الاستعمال فقد وجدت المفاهيم عند القدماء أمّا المصطلحات فهي من صنع المحدثين.

24-أشار الفارابي إلى علم الصّرف، وعرّفه بكونه العلم الدّي يتعلق بأحوال التّركيب والتّرتيب، وهذا يشبه إلى حدّ ما، ما ورد عند المحدثين.

25-استطاع الفارابي لما عقد مقارنته بين صناعة النّحو والمنطق أن يعطي معالم هذا العلم فقد استطاع تحديد مفهوم النّحو والفائدة منه.

26-عالج الفارابي الكثير من المسائل النّحوية بطريقة علميّة.

27-برع الفارابي في تحديد أقسام الكلام، واستطاع تحديدها بدقّة (اسم وفعل وحرف) على شاكلة سيبويه والمحدثين، ولم يتّبع القسمة الأرسطية (اسم وفعل ورابطة) في تحديده لها ، وهذا ما يدل على الطريقة اللغوية التي يتمتع بها الفارابي في تناول هذه المسائل.

28-عرّف الفارابي الجملة تعريف عالم لغوي مدرجا أنواعها بما يوافق ما ورد لدى علماء لغويين كبار.

29-جاءت دراسة الفارابي للظواهر اللغوية دراسة وصفية تحليلية.

30-العلامة عند الفارابي شيء حسّي حاضر ينوب عن شيء غائب لذلك شغلت الدّلالة وركناها حيّزا كبيرا من اهتمامه منذ وقت مبكر، وهذا يعدّ في حدّ ذاته نجاحا أحرزته العرب.

31- تميّز الفارابي بطريقة علميّة دقيقة في شرحه للعملية الدّلالية اللغوية واقفا على الأبعاد النّفسية.

32-تنحصر الدّلالة عند الفارابي على الدّلالة اللفظية، فالدّلالة بنظره تتناول اللفظة والأثر النّفسي أي ما يسمّى أيضا بالصّورة الذهنية والأمر الخارجي، أمّا الكتابة فهي لا شك تدخل بعين الاعتبار إذ أنّها دالّة على ألفاظ.

33-اهتم الفارابي اهتماما بالغا بالألفاظ، فصنّفها إلى تصنيفات عدّة بل إنّه وضع لها علما خاصّا سمّاه **"علم الألفاظ"** الذي عدّه من فروع علم اللسان.

34-دراسة الفارابي للألفاظ لا يمكن تصوّرها بمنعزل عن الدّلالة، فلا وجود لألفاظ فارغة الدّلالة وإنّما الألفاظ ودلالاتها وجهان لعملة واحدة، ممّا يسمح ذلك إلى إبراز جملة من العلاقات الدّلالية النّاتجة عن اتّحاد الدّال بمدلوله، وهو ما ظهر جليّا في العصر الحديث في مباحث دوسوسير الدّي وضع مصطلح الدّليل اللساني (Le Signe Linguistique) على اتّحاد اللفظ بالمعنى، قطبي الفعل الدّلالي.

35-إنّ المستوى التّي تتمّ فيه الدّراسة الدّلالية عند الفارابي هو مستوى الصيغة الإفرادية وهو يطلق عليه في الدّرس الألسني الحديث بالدّراسة المعجمية التّي تتناول الألفاظ بمعزل عن سياقها اللغوي.

36-قسم الفارابي الألفاظ الدّالة إلى ثلاثة أقسام: اسم، فعل وأداة.

37-يطلق الفارابي على المعاني أو الدّلالة مصطلح منطقي هو المعقولات التي يكون محلّها النّفس التي تتمّ فيها تصحيح المفاهيم برؤية منطقية.

38-النظرية الدّلالية عند الفارابي لا تخرج عن إطار علاقة الألفاظ بالمعاني ضمن القوانين المنطقية، ويمكن أن نجمل تعريف الفارابي لعلم الدّلالة بأنّه الدّراسة التّي تنتظم وتتناول الألفاظ ومدلولها وتتّبع سنن الخطاب والتّعبير لتقنينه وتقعيده.

هذا وغيره ممّا استوقفني في تراث الفارابي الدّي حاولت قدر الإمكان الوقوف على معالمه، ويبقى الكثير لدى هذا العالم في مخطوطاته التّي بقيت حبيسة المتاحف العربيّة، والتّي أحالت إليها بعض الكتب، فلا نعرف حتى ما تحتويه من أفكار ومعلومات من شأنها أن تنير البحث أكثر.

وأخيرا فالحمد والشكر أوّلا وآخر لله وحده، مثنية ومترحمة على من أفدنا منهم من علماء وباحثين أحياءا وأمواتا **"وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب"** سورة هود، آ 88، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

1/- أبو نصر الفارابي " كتاب الموسيقا الكبير " ، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة ، مراجعة وتصدير محمود أحمد الحنفي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، د ط ، د ت .

2/- أبو نصر الفارابي " الحروف " ، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1986 .

3/- أبو نصر الفارابي " شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة " ، عني بنشره وقدم له ولهم كوتش اليسوعي وستانلي مارو اليسوعي ، دار المشرق ، بيروت ، ط 2 ، د ت .

4/- أبو نصر الفارابي " الألفاظ المستعملة في المنطق " ، حققه محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 1986 .

5/- أبو نصر الفارابي " تعاليق ابن باجة على منطق الفارابي " ، تحقيق وتقديم ماجد فخري ، دار المشرق ، بيروت ، ط 1 ، 1994 م .

6/- أبو نصر الفارابي " إحصاء العلوم " ، حققه وقدم له وعلق عليه عثمان أمين ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ط 3 ، 1968 .

7/ أبو نصر الفارابي " التنبيه على سبيل السعادة " ، تحقيق جعفر آل ياسين ، صدر في بيروت ، طبعة 1984 م .

8/- أبو نصر الفارابي " كتاب ايساغوجي والفصول الخمسة " ، تحقيق ماجد فخري ، دار الشرق ، بيروت ، ط1 ، 1994 .

9/- أبو الفتح ابن جني " الخصائص " ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2 ، د ت .

10/- أبو الفتح ابن جني " اللمع في الأدلة " ، تحقيق حامد المؤمن ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط 2 ، 1405 هـ /1985م .

11/- أبو عثمان الجاحظ " البيان والتبيين " ، دار موفق شهاب الدين ، مطبعة محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 2003 .

12/- أبو الطيب اللغوي "مراتب النحويين"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1423هـ- 2002م.

13/-أحمد شمس الدين "الأعلام من الفلاسفة"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 144هـ- 1990م.

14/- أحمد حسام الدين النعيمي "أبحاث في أصوات العربية"، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، العراق، ط1، 1998م.

15/-أحمد مختار عمر "دراسة الصوت اللغوي"، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1405هـ - 1985م.

16/- أحمد حساني "مباحث في اللسانيات"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط ، 1994 .

17/- أبو الطيب اللغوي "مراتب النحويين" ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط 1 ، 1423 / 2002 م.

18/- أحمد ابن فارس "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها " ، تحقيق مصطفى الشويمي ، بيروت ، 1964 ، ونشر المكتبة السلفية في القاهرة ، 1328 هـ / 1910 م.

19/- أحمد عمايرة "المستشرقون ونظرياتهم في نشأة اللغة"، وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 3، 2002 م.

20/- أحمد أمين "ضحى الإسلام "، دار الكتاب العربي، بيروت، ط

21/- أحمد أمين "فجر الإسلام "، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1975 م.

22/- أحمد جميل شامي "النحو العربي قضاياه ومراحل تطوره"، مؤسسة عز الدين، بيروت، ط 1، 1418 هـ - 1997 م.

23/- أحمد مختار عمر " البحث اللغوي عند العرب " ، عالم الكتب ، ط8 ، 2003م .

24/- ابن النديم " الفهرست " ، تحقيق رضا – تجدد – د ط ، د ت .

25/- ابن خلكان " وفيات الأعيان " ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د ط، د ت، ابن بطوطة "رحلة بطوطة"، دار بيروت، بيروت، طبعة 1400 هـ - 1980م.

26/- ابن أبي أصيبعة " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " ، شرح وتحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ط، د ت .

27/- ابن سينا " أسباب حدوث الحروف " ، تحقيق محمد حسان الطيات ، ويحيى مير علم ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط 1 ، 1983 م.

28/- إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية " ، مكتبة الأنجلومصرية ،القاهرة، مصر، ط3، 1992م.

29/- ابن كثير "البداية والنهاية" تحقيق علي بشري، دار إحياء التراث العربي، ط1 1408هـ -1988م.

30/- إبراهيم السامرائي " المفيد في المدارس النحوية " ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1427 هـ - 2007 م.

31/- ابن فارس "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت، 1964م، ونشر المكتبة السلفية في القاهرة، 1328هـ - 1910م.

32/- ابن خلدون " المقدمة " ، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ط3، دت.

33/- ابن سلام الجمحي " طبقات الشعراء " ، أعداد اللجنة العلمية لنشر التراث العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د ت .

34/- برجشتراسر " التطور النحوي للغة العربية " ، أخرجه وعلق عليه : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3 ، 1417 هـ ، 1997 م .

35/- بارتيل مالبرج "علم الأصوات"، الغريب: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، دط، دت.

36/- ابن الحاجب " الشافية في علم التصريف والوافية نظم الشافية " ، حققه أحمد العثمان ، المكتبة المكية ، مكة ، ط 1 ، 1415 هـ - 1995 م.

37/- ابن الأنباري " نزهة الألباء " ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 1424 هـ / 2003 م.

38/- ابن منظور "لسان العرب" راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر احمد حيدر، منشورات علي بيضون، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

39/- تمام حسان " الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب " ، أميرة الطباعة ، عالم الكتب ، القاهرة ، د ط ،2000 م.

40/- تمام حسان "اللغة بين الوصفية والمعيارية"، الانجلو، مصر، ط1، 1975م.

41/- تمام حسان " مناهج البحث في اللغة " ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، د ط ، 1407 هـ - 1986 م.

42/- التواتي بن التواتي "المدارس النحوية"، دار الوعي للنشر والتوزيع، دط، 2008م.

43/- جلال الدين السيوطي " الاقتراح في علم أصول النحو " ، تحقيق أحمد محمد قاسم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط 1 ، 1396 هـ / 1976م .

44/- جلال الدين السيوطي " بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة " ، القاهرة ، ط1 ، 1326 هـ .

45/- جلال الدين السيوطي " المزهر في علوم اللغة " ، من محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ط 1 ، 2004 م.

46/- حسن عباس " النحو الوافي " ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 15 .

47/- حسن بشير صالح " علاقة المنطق بالنحو عند الفلاسفة المسلمين " ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2003 م.

48/- حسين نصار " المعجم العربي نشأته وتطوره"، دار مصر للطباعة، ط1، دت.

49/- الخليل بن أحمد الفراهيدي "كتاب العين"، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامراتي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت.

50/- رمضان عبد التواب " المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي " ، مكتبة الغانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ، ط 1 ، 1403 هـ - 1983 م .

51/- رمزية الغريب "التقويم والقياس النفسي والتربوي"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1971م.

52/- زهير حميدان " أعلام الحضارة العربية الإسلامية " ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، د ط ، 1995م .

53/- زينب عفيفي " الفلسفة الطبيعية واللاهية عند الفارابي " ، تصدير عاطف العراقي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2003 م .

54/- زكي المبارك " النثر الفني في القرن الرابع الهجري " ، دار الجيل ، د ت .

55/- سيبويه " الكتاب " ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت، لبنان، ط 1، د ت ، 1969 م.

56/- سعيد الأفغاني " من تاريخ النحو " ، دار الفكر ، بيروت ، د ت .

57/- صالح بلعيد " في قضايا فقه اللغة العربية " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، طبعة 1995 .

58/- صبحي ابراهيم الصالح "دراسات في فقه اللغة"، دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ- 1960م.

59/- عبده الشمالي " دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها " ، دار صادر ، بيروت ، ط 5 ، 1399 هـ - 1979م .

60/- عبده الحلو " الوافي في تاريخ الفلسفة العربية " ، دار الفكر اللبناني ، لبنان ، ط1 ، 1995 م.

61/- علاء جبر محمد " المدارس الصوتية عند العرب – النشأة والتطور – دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1427 هـ - 2006 م.

62/- عبد العال سالم مكرم " القرآن وأثره في الدراسات النحوية " ، دار المعارف ، مصر ، طبعة 1384 هـ / 1965 م.

63/- علي زوين "منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.

64/- عبد القاهر الجرجاني " المفتاح في الصرف " ، حققه وقدم له علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1، 1407 هـ - 1987 م.

65/- عبده الراجحي " التطبيق الصرفي " ، دار النهضة العربية ، 1973 م.

66/- عبد الراجحي "النحو العربي والدرس الحديث"، بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1979م.

67/- عبد السلام المسدي "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط2، 1986م.

68/- عبد اللطيف الصوفي "اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1986م.

69/- عبد الناصر جندلي "تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2005م.

70/- علي عبد الواحد وافي "علم اللغة"، دار النهضة، مصر، ط7، 1972م.

71/- عبد الصبور شاهين "المنهج الصوتي للبنية العربية"، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ -1980م.

72/- عبد العزيز الصيغ "المصطلح الصوتي في الدراسات العربية"، دار الفكر، سوريا، ط1، 1421هـ -2000م.

73/- فخر الدين قباوة " ابن عصفور والتصريف " ، دار الفكر ، دمشق ، ط 2 ، 1421 هـ ، 2000 م.

74/- فرنسيس عبد النور "التربية والمناهج"، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت.

75/- فايز الداية " علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق " ، دار المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط 2، 1999 م.

76/- فرديناند دي سوسيير " محاضرات في الألسنية العامة " ، ترجمة يوف غازي ومجيد النصر ، دار النعمان للثقافة ، جوينه ، لبنان ، د ت، د ط .

77/- كمال بشر "دراسات في علم اللغة"، دار المعارف، القاهرة،1973 م.

78/- مرتاض عبد الجليل " الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة دراسة لسانية في المدونة والكتب ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، مطبعة 2002 م.

79/- مرتاض عبد الجليل " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي " ، دار الغرب للنشر ، طبعة 2003 م .

80/- مرتاض عبد الجليل "مناهج البحث اللغوي"، دار القصبة، حيدرة، الجزائر، 2003م.

81/- مكي درار " الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه " ، خلفيات وامتداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط 1 ، 2007 م.

82/- مكي درار " المجمل في المباحث الصويتة من الآثار العربية " ، دار الأديب للنشر والتوزيع ، وهران ، ط2 ، 2006 م.

83/- محمد بن أحمد الازهري "تهذيب اللغة"، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

84/- ماريو باي " أسس علم اللغة " ، ترجمة أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1، 1403 هـ - 1983 م.

85/- ميشال زكريا "الألسنة علم اللغة الحديث"، مبادؤها وأعلامها، بيروت، لبنان، 1980م.

86/- محمد مصايف "النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي" المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م.

87/- محمود سليمان ياقوت " مصادر التراث النحوي "، دار المعرفة الجامعية ، السويس ، مصر ، طبعة 2003 م .

88/- منى إلياس " القياس في النحو " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دار الفكر ، دمشق ، ط 1 ، 1405ه - / 1985م .

89/- محمد محمد داود "العربية وعلم اللغة الحديث"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.

90/- منقور عبد الجليل "علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

91/- محمود فهمي حجازي "علم اللغة العربية"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.

92/- محمد خير الحلواني "أصول النحو العربي" مطبعة الشرق ، حلب، سورية، طبعة 1979م.

93/- مصطفى صادق الرافعي " تاريخ آداب العرب " ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1421 هـ / 2000 م.

94/- محمد الطنطاوي " نشأة النحو " ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2، 1995 م.

95/- محمد عبد العزيز الدايم "النظرية اللغوية في التراث اللغوي"، دار السلام للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.

96/- نور هدى لوشن "مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوية"، جامعة الشارقة، القاهرة، ط2، 2006م.

97/- نجيب محمد البهيتي " تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري" ، دار الفكر ، دمشق ، ط4 ، 1970م .

98/- هادي نهر "علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي"،دار الفكر، دمشق، ط1، 2000م.

99/- ياقوت الحموي " معجم البلدان " ، دار صادر ، بيروت ، د ت.

الرسائل الجامعية :

1/- أمينة طيبي " الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين " ، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، سيدي بلعباس ، 1425 هـ ، 2005 م.

2/- المهدي بوروبة " ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري " ، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه ، تلمسان 1423 هـ -2002م.

3/- مرتاض عبد الجليل " الفوارق النحوية بين اللهجات العربية الفصيحة " ، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير ، إشراف السيد شكري الحلوي ، معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر ، 9 /12/ 1982 م.

المجلات :

1/- الجيلالي علام " في طبيعة المعنى " ، مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، ع 1 ، 2001 – 2002 م .

2/- إلهام مرتاض " مقال التركيب اللهجي في ضوء المستوى الصوتي في اللغة العربية " ، مجلة المصطلح ، ع 4 ، 2005 – 2006 م .

فـــهرس

فهرس

شكر وتقدير .
إهداء .
مقدمة .
⌑ **مدخل : الفارابي حياته وآثاره** .

I. **حياة الفارابي** :

أ- نشأته وثقافته : 01-04
ب- رحلاته : 04-06
جـ - أساتذته : 06-07
د- تلاميذه : 07-08
هـ- عصره : 08-09
و- علومه : 09-10
ز- صفاته ومحيطه : 10
ح- وفاته : 11

II. **آثار الفارابي ومكانته** :

أ- آثاره : 12

أشهر مؤلفاته المطبوعة .

1. في الطب : 12
2. في فن الشعر والخطابة : 12-13
3. في الموسيقا : 14
4. في المنطق : 14
5. في العلوم : 15-16
6. في الفلسفة : 16-17
7. في الفلسفة والأخلاق والمجتمع والسياسة والفنون الأخرى :.....18
8. في الطبيعيات والنجوم والكيمياء والرياضيات:.....18-19

ب - **مكانته** : 20

⌑ **الفصل الأول: طريقة نحاة العرب في جمع مفردات العربية وتركيبها .**

المبحث الأول : منهج البصريين .

1. البصرة : 23-22
2. أعلام البصرة : 24
3. السماع عند البصريين : 24

مراحل السماع اللغوي ومصادره .

أ- الحاجة إلى الاحتجاج : 25
ب- فصحاء الأعراب: 27-25
ت- مراحل السماع : 28-27

مصادر السماع .

الأعراب في البوادي : 31-29

منهج السماع عند البصريين .

1) التحري في السماع : 35-31
2) المسموع الشاذ : 36-35

المبحث الثاني : منهج الكوفيين .

1. الكوفة : 38-36
2. أعلام المدرسة الكوفية : 38
3. منهج السماع عند الكوفيين .

1) التحري في السماع..... 41-39
2) المسموع الشاذ : 43-42

مجالات التباين في السماع بين البصريين والكوفيين .

1-في المنهج : 43
2-استقراء المادة العلمية : 43
3-التحقق من الثقاة في صحة الرواية : 44

مجالات التوافق .

1-اعتماد السماع : 45-44
2-مادة البحث : 45

المبحث الثالث : رأي الفارابي في القبائل التي أخذت عنها اللغة .

عوامل الفصاحة : 47-45

القبائل الفصيحة : 53-48

- **الفصل الثاني: ملامح المنهج اللغوي عند الفارابي.**

أولا:كيفية دراسة اللغة : 56-55

1) منهج البحث اللغوي عند العرب:..... 58-57
2) كيفية دراسة الفارابي للغة : 61-58
3) اللغة المحكية و المدونة : 65-62

أ. المنهج الاستقرائي : 66-65

ب. المنهج الاستنباطي :.....68-66

4) موقف الفارابي من اللغة المحكية والمدونة:.....69-68

ثانيا: منهج الفارابي الصوتي والصرفي .

1) أصول الدرس الصوتي ومصادره..... 73-70
2) منهج الفارابي الصوتي : 77-73
3) أهم ملامح المنهج الصوتي عند الفارابي:.....83-77

منهج الفارابي الصرفي .

1) علم الصرف عند القدماء : 85-84
2) علم الصرف عند الفارابي : 85
3) أهم ملامح المنهج الصرفي عند الفارابي :.....87-85

ثالثا:منهج الفارابي النحوي والدلالي .

1) المنهج النحوي عند الفارابي :.....88
2) أصول الدرس النحوي : 91-89
3) أهم ملامح المنهج النحوي عند الفارابي :..... 97-91
4) المنهج الدلالي عند الفارابي : 97
5) الدلالة عند الفلاسفة : 99-98
6) بعض ملامح المنهج الدلالي عند الفارابي:..... 103-99

⌑ **الفصل الثالث: نقد وتقويم لمنهج الفارابي اللغوي في ضوء علم المنهج الحديث.**

- **أولا:اختلاط مستويات التحليل عند القدماء:**.....106-111
- **ثانيا: الرقعة الجغرافية للغة النموذجية :**.....109-114

أ. الانزواء : 109

ب. البداوة :.....109

- **ثالثا:اللغة الشفهية والمدونة :**.....114-120
- **رابعا: منهج الوصف ومبدأ الملاحظة**: 120-123

أ. مبدأ الملاحظة والاستقراء: 124-126

ب. الوصف: 127-148

⌑ **خاتمة :**..... 149-155

⌑ **قائمة المصادر والمراجع** :.....156-165

⌑ **فهرس** :.....166- 169

Résumé:

Cette thèse traite Ie sujet du système langagier chez Ie Fârâbî. Dont Ie but est d'atteindre la méthode du traitement de Fârâbî des sons, concepts syntaxiques, lexiques, et vocabulaire ne changent pas beaucoup du système linguistique moderne dans Ie traitement des thèmes linguistiques. Et que les sciences de la langue du son, syntaxe, lexique et vocabulaire sont des sciences arabes anciennes avec leurs termes et concepts.

Mots clés: système, son, syntaxe, lexique, vocabulaire, Fârâbî.

Summary :

This letter treat linguistic system subject at Fârâbî. whose the target of this is to reach a treatment method of Fârâbî of syntaxic, lexical and vocabulary sounds and concepts does not change a lot to recent linguistic system in linguistic terms and that science of language from sound, syntax, lexic, and vocabulary is an ancient arab science with its terms and concepts.

Keys words: system, sound, syntax, lexic, vocabulary, Fârâbî.

ملخص :

تعالج هذه الرسالة موضوع المنهج اللغوي عند الفارابي والغرض منها التوصل إلى أنّ طريقة معالجة الفارابي للأصوات والمفاهيم الصرفية والنحوية والدلالية لا تختلف كثيرا عن المناهج اللغوية الحديثة في تناول المباحث اللغوية. وأنّ علوم اللغة من صوت وصرف ونحو ودلالة هي علوم قديمة بمصطلحاتها ومفاهيمها.

الكلمات المفتاحية: المنهج ، الصوت، الصرف، النحو، الدلالة، الفارابي.

الجمهوريـــــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العـــالي و البـحث العلمـــي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كليـــة الآداب واللغـــــات

قسم اللغة و الأدب العربي

ملخص

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدّراسات اللغوية بين القديم و الحديث

عنوانها

المنهج اللغوي عند الفارابي

إعـــداد الطّالبة:

- حـجرية دامـو

إشراف الأستاذ الدكتور :

- المهـدي بوروبة

السنـة الجامعيـة: 1434هـ -1435هـ/ 2013م -2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه ومحبيه وناصريه أجمعين إلى يوم الدين، وبعد:

إن الحديث عن اللغة العربية شيّق، وإن البحث فيها مفيد وممتع، وبدرسها يحصل لها الثراء والنمو، وبتدريسها تتحقق لها الاستمرارية فيكتب لها البقاء، وهذا الحكم لا يقتصر على اللغة العربية، إنما هو شامل لجميع اللغات لو تحقق لها من الأهداف ما أسلفت.

بيد أن تحقيق هذه الأهداف لا يتسنى للغة من اللغات ما لم يلتفت أهلها ودارسوها الخلف، إلى مكاسبهم الحضارية، وإنجازاتهم العلمية، التي ورثوها عن علماء اللغة وفقهائها السلف التفاتة جادة، ملتمسين في ذلك منهجا علميا قويما له معاييره وأسسه وقواعده، وبهذا المنهج تنشأ لغتهم من جديد، ولكن بمعطيات لا تعدو أن تكون استنتاجات سابقة موروثة عن المناهج القديمة.

ذلك ممّا يؤكد أن الحاجة الملحة لبحث التراث اللغوي على التخصيص ما زالت قائمة، مهما حققت جهود علماء اللغة عربا كانوا وغير عرب من إنجازات أو استنتاجات على مر العصور وصولا إلينا، وهذا إنّما يدل على أصالة التراث وقوّته وعراقته.

مما سبق يمكننا القول أن الدراسات القديمة تعد من أهم الدراسات لأن الموروث اللغوي قد كشف عن بعضه، وما زال الكثير منه في حاجة إلى البحث والدراسة، ولذلك كان حديثي في هذه المذكرة عن علم من الاعلام الكبار إنه "أبو نصر الفارابي"، إذ الظاهر عن هذا الرجل أنه فيلسوف كبير، غير أن المتصفح لأعماله يكتشف أن له جهودا لغوية رائدة في مجال الصوت والصرف والنحو والموسيقا وعلم اللغة.

فقد ظلت المباحث اللغوية لدى الفلاسفة شبه منسية إذ لم يولها الباحثون عناية كبيرة، ولم تحط بدراسة منهجية جادة وذلك أن جل الاهتمامات كانت تتجه صوب النحاة واللغويين في معالجة القضايا اللغوية.

ويقف الباحث الحالي وقفة تقدير وعرفان أمام تلك الجهود اللغوية الجادة، ونحن نضع أسطرنا هنا عرفانا وتقديرا لجهود علمائنا القدامى التي لا يمكن إغفالها، والتي كانت منطلقا للدراسات اللغوية الحديثة.

ويندرج موضوعي ضمن تلك الموضوعات التي تحاول الكشف عن واحد ممن كتبوا في اللغويات إلى جانب مؤلفاته الغزيرة في اللغة.

فالرجل علم من الأعلام الموسوعيين الذين أحاطوا بشتى فروع المعرفة وكتبوا فيها، وتتميز كتبه ورسائله بالتحري العلمي والدقة في المعالجة.

فالفارابي كنيته "أبو نصر" وهو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، مدينته فاراب، وهي مدينة في بلاد الترك في أرض خراسان، ولد وأبصر في قرية "وسيج" بالقرب من "فاراب" التركية وراء نهر سيحون عام 260هـ– 873م، وقد اختلف الباحثون في نسبه فذهب "ابن النديم" و"ابن أصيبعة" إلى أنه من أب فارسي وأمّ تركية وذهب "القفطي" و"ابن خلكان" إلى انه من "فاراب" التركية، ومن أبوين تركيين وهو الراي الأرجح.

وقد تعرضت في هذه المذكرة لمنهجه فتناولت المباحث اللغوية بدءا بالصوتية والصرفية ثم النحوية والدلالية.

وأبرزت ما قدمه هذا العالم لعالم الثقافة العربية، وللثقافة العالمية، وأسهمت في إجلاء جهود هذا العالم الفذ ولذلك كان موضوع مذكرتي في الماجستير: "**المنهج اللغوي عند الفارابي**".

والحديث عن المنهج قد يطول فقد جاء في لسان العرب تعريفه للمنهج أن المنهج والمنهاج: "هو الطريق الواضح، والنهج بتسكين الهاء هو الطريق المستقيم"، حيث يقول ابن منظور (ت 711ه): "طريق نهج بين واضح وهو النهج... وأنهج الطريق وضح واستبان وصار نهجا بينا واضحا... والمنهاج: الطريق الواضح، واستنهج الطريق: صار نهجا... والنهج: الطريق المستقيم...". والجمع نهجات ونهج ونهوج.

وكثيرا ما يوظف المنهج على أنه التيار أو المذهب او المدرسة بهدف الكشف عن الطريقة أو الأسلوب لتيار معين أو مذهب معين أو مدرسة معينة.

ومن هنا كانت الإشكالية التي حاولت الإجابة عنها حول حقيقة المنهج الذي سلكه الفارابي في تناوله للمباحث اللغوية.

وقد سرت في عرض مباحث هذا الموضوع وفق خطة تمثلت في مقدمة ومدخل وثلاث فصول ثم خاتمة، حيث خصصت المدخل للتعريف بالفارابي مع التركيز على

مصـــادر ثقافته حيث أنه تعلم على يد مشايخ كبار نذكر منهم: أبو بشر متى بن يونس (ت 328هـ- 940م) وقد تعلم على يديه المنطق والفلسفة.

كما تعلم على يد يوحنا بن حيلان (ت 320هـ- 932م)، بالإضافة إلى تعلمه النحو على يد ابن السراج (ت 316هـ- 929م).

وقد عاش الفارابي في عصر اتسم بالانقسام الفكري والثقافي والسياسي، وهو عصر الدولة العباسية الثانية، فهذه الصراعات في هذا العصر، كان لها أثر كبير في أن يكون الفارابي عالما مبدعا في شتى العلوم. فقد كان رحمه الله فيلسوفا كاملا وإماما فاضلا، فقد أتقن العلوم الحكمية وبرع في العلوم الرياضية... يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين، وكانت له قوة في صناعة الطب، وعلم بالأمور الكلية منها وهذا رأي ابن أصيبعة وقد ورد ذكر ذلك في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء".

أما في **الفصل الأول** فقد تحدّثت فيه عن منهج البصريين والكوفيين في جمع مفردات العربية. ولقد كان لكل من البصرة، والكوفة طريقتهما ومنهجهما في جمع اللغة.

فالبصرة يرجع لها فضل صناعة النحو، وهذا ما أجمع عليه علماء العرب الأوائل وفيهما كانت نشأته وإليه ينسب اثنان من أنبغ أئمة النحو وهما الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) وسيبويه (ت 180هـ).

فلقد اهتم البصريون كثيرا بالسماع والدقة فيه، فالسماع هو كل ما ثبت في كلام العرب ممن يوثق بفصاحتهم، ويؤخذ ذلك بشروط منها: أن يكون الكلام العربي المنقول صحيحا موثوقا، وإذا تحقق هذا الشرط كان هذا الكلام حجة داحضة ودليلا قاطعا فاصلا في المسائل التي يختلف فيها النحاة واللغويين.

وهذا يوضح مدى حرص علماء البصرة على صحة السند في مادة السماع وثقته إلى جانب صحة الكلام وفصاحته.

فمن مراحل السماع ومصادره:

أ- **الحاجة إلى الاحتجاج:** والمقصود بالاحتجاج هو " إثبات صحة قاعدة أو استعمال كلمة او تركيب، بدليل نقلي صح سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة...".

ب- **فصحاء الأعراب:**

فمن الأعراب الفصحاء الذين أخذ عنهم اللسان العربي حسب ما ذكر ابن النديم في كتابه "الفهرست":

– "أبو البيداء الرياحي"، و"أبو مالك عمرو بن كركرة" و"أفار بن لقيط" وغيرهم.

و لقد لقي جمع الالفاظ والمفردات ودراستها عناية جيل من أئمة اللغة وأهلها، فتوجهوا إلى البوادي، وعملوا على مشافهة الأعراب، ودونوا ما تلقاه سمعهم من مفردات، وجمعوها في رسائل.

فكانت تلك بداية تأسيس المعاجم اللغوية التي نعرفها. ومن أشهر أولئك الذين اهتموا بجمع الألفاظ وروايتها وبفضلهم ولولا جهودهم ما كانت لتصل على النحو الذي بين أيدينا هم " أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري" (ت 215ه) و"أبو عبيدة معمر بن المثنى القرشي" (ت 210ه).

والذين سمعت عنهم اللغة واعتمد عليهم جُمّاع اللغة في استقراء المادة اللغوية هم سكان البوادي كالحجاز ونجد وتهامة، وقد اعترف "الخليل" أنّه قد اعتمد على هذه البوادي في أخذ اللغة الفصيحة ولم يدع قبيلة في أرض الشمال إلا أخذ عنها.

ويمكن الحديث هنا عن مرحلتين من مراحل السماع.

المرحلة الأولى: تتمثل في الأخذ عن الأعراب في بواديهم بواسطة العلماء الذين كانوا يترددون عليهم هناك.

المرحلة الثانية: تتمثل في رحلة الأعراب وفصحائهم إلى البصرة والكوفة وغيرها من الأمصار، بعد السفر إليهم، مع العلم أنّ لهجاتهم حين سفرهم كانت سليمة لم تشبها شوائب بعد، لقربها من المنبع اللغوي الصافي البعيد عن مخالطة الأعاجم.

وقد اعتمد النحويون في جمع اللغة على خمسة مصادر هي: القرآن الكريم، القراءات القرآنية، الحديث الشريف، أشعار العرب، نثر العرب.

فبعدما تقصى أئمة اللغة وعلماؤها بلاد العرب، وبحثوا في آبار الفصاحة فيها واجتهدوا في تلخيص فئات اللغة السليمة، ومن يجب نقل لغتهم وروايتها، أجمعوا على أصناف محددة من الناس، هم وحدهم من يوثق بفصاحتهم.

فالمصدر الأساسي المعتمد عليه لدى علماء اللغة في جمع اللغة، أو المادة العربية هي القبائل العربية المتأصلة في البداوة. فأشهر البوادي التي كانت في نظر جماع اللغة وأئمة النحو بعيدة عن زيف الحواضر، وخالية لغتها مما يشوب الإعراب أو الفصاحة، وصالحة للاستشهاد، بادية الحجاز، ومثلها تهامة، بناء على اعتراف "الخليل بن أحمد" للكسائي بأنّه اعتمد في أخذ اللغة، عن الباديتين المذكورتين.

فمنهج البصريين في السماع يكمن في: التحري في السماع: فقد تشدّدوا في ذلك فكانوا يتحرّون في الأخذ:

أمّا العربي فيتحرّون فيه سلامة لغته وسليقته.

وأمّا الراوي فالصدق والضبط.

ثم كانوا لا يعتدون بالشاهد إذا لم يعرف قائله أو لم يروه عربي يوثق بلغته.

ومن هنا عجت بلدهم بفصحاء الاعراب المعروفين في كتب الأدب الذين كانوا من مفاخر البصرة التي يعتدها البصريون.

فقد اهتم أهل البصرة من النحاة بالمسموع، واختاروا من كلام العرب في البادية الذين لم يختلطوا بالأعاجم، واختاروا من كلام العرب سكان الحواضر الذين حافظوا على سليقتهم وحدّدوا قبائل العرب وأنسابهـــا، ووضعوا حدودا للبلاد العربيـــة المقصودة – وسط الجزيرة العربية وما يلاحقها من بوادي نجد والحجاز وتهامة– وحدّدوا المجال الزمني للغة المأخوذة المسموعة، فكان في المدن إلى غاية القرن الثاني الهجري، وفي البوادي إلى غاية القرن الرابع الهجري.

أما عن منهج الكوفيين، فيمكننا القول أنّ أهل الكوفة قد تأخروا عن أهل البصرة في الدرس اللغوي، إلاّ أنّ اهتمامهم بالسماع كان أكثر، فقد أخذوا شواهد اللغة من كل مسموع وبنوا عليه وقاسوا، وجمعوا الشاذ جائزا وقعدوا وقاسوا على البيت الواحد وتعدوا ذلك إلى القياس على ما خالف الأصول.

وتميزوا بذلك بترجيح السماع على القياس، وجعلوا دائرته أوسع من عند البصريين، فأخذوا بشكل غير محدود عن الأعراب مهما وصفوا وأينما وجدوا، وتوسعوا في الأخذ بالقراءات، وما يعرض لها من مسائل، وفي نظرهم كل ما ثبت أنّ العرب تكلموا به مقبول وصحيح ولو كان شاذا.

ويظهر الخلاف بين المدرستين في المبدأ، فالبصرة تعتمد على مدونة مغلوقة ومحددة، بينما الكوفة تعتمد على مدونة مفتوحة غير محددة.

والمشهور عن الكوفيين انهم خالفوا السواد، وبنوا قواعد اللغة على المثال الواحد، وعلى الكلمة الشاذة، ولم يستثنوا لغة من لغات العرب ولم يهملوا لهجة من لهجات القبائل، ومعنى هذا أنهم أخذوا عن سواد الأعراب.

وبهذا مجالات التباين بين البصريين والكوفيين واضحة، والتباين يكمن في المبدأ، فالبصرة تعتمد مدونة مغلوقة محددة، بينما الكوفة تعتمد مدوّنة مفتوحة وغير محددة. إلاّ أنّ هناك مجالات اتفق فيها البصريون مع الكوفيين فكلاهما اعتمدا على السماع كمصدر أساسي في جمع اللغة، ثم عن المادة اللغوية التي اشتغل عليها الفريقان، مادة واحدة هي اللغة العربية الفصيحة، لغة القرآن الكريم الذي جمع لهجات العرب وأقرها.

أمّا **الفصل الثاني** فقد تطرقت فيه لملامح المنهج اللغوي عند الفارابي فلقد قام منهج البحث اللغوي العربي على الدراسة التحليلية الشاملة لمادة العربية بغية اكتشاف القوانين التي تحكم اللغة العربية بوصفها نظاما كاملا، لذا تميّزت الآراء اللغوية العربية منذ بدايتها بأنها لم تنطلق فقط من منهج وصفي محض يعتمد على وصف الشكل وتحديد البنية الخارجية لظواهر اللغة فحسب بل انطلقت من منهج وصفي لا يكتفي بوصف البنية الظاهرية للظواهر اللغوية إنما يكشف عن بناها العميقة.

فلقد انتهج علماء العرب منهجا متميزا في البحث اللغوي قائما على تذوقهم وإعمال العقل ودقة الملاحظة، ولذلك يرى الباحثون أن النظرية اللغوية العامة في التراث العربي تقوم على إجراءين بارزين هما: التصنيف والتحليل، هذا إلى جانب الإجراء الوصفي الذي نفاه بعض الدارسين عن تراثنا اللغوي العربي، وكذا إجراء المقارنة التي تعد مقدمة ضرورية للتصنيف.

وهكذا بدأ العرب القدماء منذ الأجيال الأولى جمع المادة اللغوية من أماكنها الصحيحة التي اعتقدوا أنها مناطق الفصحى البعيدة عن اللحن، والبعيدة عن مناطق التأثّر باللغات الأجنبية المحيطة بشبه الجزيرة العربية.

وقد وصف لنا الفارابي في كتابه "الألفاظ والحروف" منهج العلماء الأوائل في التقعيد للغة، فلقد مهد الفارابي لهذا النص بوضع نظرية يفسر فيها حدوث الخطأ واللحن في اللغة فيقول:" وقد يجب لذلك أن يعلم من الذين ينبغي أن يُؤخذ عنهم لسان تلك الأمة، فيقول إنه ينبغي أن يؤخذ من الذين تمكنت عاداتهم لهم على طول الزمان في ألسنتهم وأنفسهم تمكنا يحصنون به عن تخيل حروف سوى حروفهم والنطق بها".

ويستمر الفارابي في تحديد هذا الإطار فهو يوضح أن اللغة تؤخذ عن سكان البراري للتوحش والجفاء الذي فيهم ولتوغلهم في البادية وبعدهم الشديد عن كل ما قد يفسد لسانهم. ولا تؤخذ اللغة عن سكان المدن والقرى ومن يسكن في الأطراف وذلك

لاختلاطهم بغيرهم من العجم بحيث يصبح لسانهم مطواعا بأن يتكلموا بلغة غريبة عن ألسنتهم فيتعودوا الخطأ فتصبح لغتهم فاسدة وفيها قبح ولكنة، وقد عبّر الفارابي عن ذلك قائلا: "ولما كان سكان البرية في بيوت الشعر أو الصوف والخيام والأحسية من كل أمة أجفى وأبعد من أن يتركوا ما قد تمكن بالعادة فيهم... كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمة عن سكان البراري...".

ويلاحظ من كلام الفارابي السابق أنّ علماء اللغة آثروا الأخذ عن القبائل التي تسكن في وسط الجزيرة العربية، ونسبوا إليها الفصاحة وإجادة القول لاعتقادهم بأن اللحن لم يتسرب إلى لغاتها. وأشهر تلك القبائل التي نقل عنها جل ما وصلنا من العربية الفصحى هي: قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين وقام منهجهم على اعتبار أن الفصحى هي لهجات هذه القبائل على تعددها وطول الزمن بها.

فالظاهر مما سبق أن العلماء قد أسّسوا فصاحة القبيلة على دعامتين:

الأولى: قرب مساكنها من مكة وما حولها، وبعض أطراف الجزيرة العربية ومخالطة الأمم الأخرى.

الثانية: مقدار توغلها في البداوة، ولذلك رأيناهم يعتزون بلغة القبائل الحجازية بوجه عام، وقبائل نجد ووسط الجزيرة، والقبائل المتوغلة في البداوة.

كما أنّ المتتبع لتاريخ الدرس اللغوي يدرك حقيقة لا جدال فيها هي أن الدرس اللغوي منذ بعثه إنّما بُعث من اللغة المحكية. " فلقد اعتمدت العرب لقلة عنايتها بالكتابة على الرواية والمشافهة لحفظ تاريخها وتراثها وجعلت ذلك عادة في جاهليتها وصدر إسلامها حتى وصلت من جرّاء هذا التعود إلى اكتساب مَلَكَة في الحفظ والاستظهار قلما تمتعت بها أمة غيرها في العالمين القديم والوسيط".

ومن هنا يمكننا القول إن مصدر الدراسة اللغوية عند العرب كان مرجعه المدونات الشفهية التي سمعت عن القبائل الفصيحة، وأهل البادية بطرق مباشرة وأخرى غير ذلك، أمّا جُمّاع اللغة والمستمعون لهذه المدونات فقد اعتمدوا منهجين في مهمتهم المباركة: المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي.

ولقد كان للفارابي منهجا واضحا من اللغة المحكية والمدونة فهو يوضح أنّ مبحث الدرس اللغوي كان من اللغة الشفهية المروية بالسماع فإذا أراد عربي أو باحث في اللغة أو دارس لها أن يحدث صناعة علم اللسان فعليه أولا حفظ ما يقع بين يديه من ألفاظ

فصحاء العرب، وكلماتهم المفردة الدالة، بعد أن يحفظ أشعارهم وأمثالهم وخطبهم المرموقة، ويتوجب عليه أن يفردها بعد التركيب، وإلا فحري به أن يلتقطها "بالسماع من جماعتهم المشهورين باستعمال الأفضل من ألفاظهم وفي مخاطباتهم كلها، وممن عني بحفظ خطبهم وأشعارهم وأخبارهم أو ممن سمع منهم، فيسمعها من واحد منهم في زمان طويل، ويكتب ما يسمعه منهم ويحفظه".

فالتقعيد للغة عند الفارابي يتم عن طريق اللغة المحكية بالسماع ممن يوثق بعربيتهم بعد ذلك تأتي مرحلة ثانية وهي مرحلة تذوق المسموع وفرزه وتتم هذه العملية بواسطة فصحاء تلك الأمة وبلغائها فهم الذين يتولون هذه المسألة. وإن هذه المنهجية المتتبعة في نقل الكلام المسموع أو المحكي تتم وفق مراحل فبعد عملية السمع للمدونات الشفهية تأتي المرحلة الثانية ألا وهي مرحلة التركيب ألفاظ تلك الأمة وهذا ما رمز له بقوله "لذيذ السمع"، وإصلاح المختل منها ورمز له بقوله "بشاعة المسموع".

فالفارابي نظر للغة ثم بعدها تناول المباحث اللغوية بالدراسة وقد اتبع في ذلك طريقة ومنهجا.

درس الفارابي الأصوات، واهتمامه الجلي بالصوت يمكننا تبيانه من خلال كتابه: الموسيقا الكبير خاصة، وقد تضمن هذا الكتاب دراسة صوتية جادة، تابعه المتأخرون في الكثير منها.

فالفارابي لم يكتف بدراسة الأصوات من زاوية واحدة، بل تعدّدت زوايا النظر وتنوعت، ولقد أولى الفارابي عناية فائقة بالجانب الفيزيائي، ولم يقف عند الأمور العامة لهذه الدراسة بل وقف على الخصائص الجزئية في علم الصوت.

و لقد حاول الفارابي أن يسير على خط منهجي واحد في دراسة للجانب الصوتي. على الرغم من أن نظرية لم تظهر في شكل نظرية صوتية متكاملة إذ فرضت عليه الدراسة أن تكون المادة عنده مجزأة في بطون مؤلفاته، وإن كان مؤلفه الضخم يشمل على دراسة كبيرة في هذا المجال.

فلقد اهتم الفارابي اهتماما كبيرا بالدراسة الفيزيائية، ووقف عند العديد من الظواهر منطلقا اساسيا للدراسة الصوتية الحديثة.

ولقد اتبع الفارابي المنهج الوصفي في تناولها ومن أمثلة ذلك عملية حدوث الصوت حيث قال: "أن يحصل في عضو القارع استعدادا لأن ينقل الصوت الذي يقرع

أو ينتقل بنفسه الجسم المقروع... والعضو القارع إمّا يد الإنسان، وإمّا العضو الذي يدفع التنفس من داخل الصدر إلى خارج الفم".

و من أهم ملامح المنهج الصوتي عند الفارابي:

1- اتبع الفارابي في دراسته الصوتية منهجا يخلط بين الوصفية والمعيارية في تفسير الظواهر الصوتية، وقد فسرها وفق خبرته المستمدة من تجاربه القائمة على الملاحظة الذاتية في رصد الظواهر الطبيعية.

2- ما يلاحظ على الفارابي في دراسته الصوتية أن المادة الصوتية جاءت عنده مجزأة لا تجمعها وحدة موضوعية.

3- يلجأ الفارابي أحيانا إلى تقديم الأمثلة في دراسته الصوتية كما في حديثه عن الوحدة الصوتية، إذ شبه حركة الجزئيات الهوائية بحركة الخرز التي تنتقل بين الأصابع التي تضغط عليها.

4- اعتمد الفارابي على مصطلحات صوتية مختلفة تفرد بها عن غيره كما في مصطلح (القرع والقلع).

5- ما يلاحظ على الفارابي والذي يعد مأخذا مهما على منهجه الصوتي هو عدم اهتمامه الكبير ببعض الظواهر الصوتية كالإدغام والإمالة والمماثلة إذ نلاحظ أن جل اهتمام الفارابي كان منصبا على الجانب الطبيعي الفيزيائي للأصوات على وجه العموم.

6-درس الفارابي علم وظائف الأصوات دراسة دقيقة واعية، فدرس المقطع والنبر والتنعيم، إذ حدد مفاهيم هذه المصطلحات وبين تفاصيلها. وقد أثبتت الدراسات أن مفهومه لهذه الموضوعات كان دقيقا بحيث شابه ما ذهب إليه المحدثون ووصل إلى دقائق الأمور في هذا المجال.

أمّا عن الجانب الصرفي فما نلاحظه على منهج الفارابي الصرفي يكمن في النقاط الآتية:

1- منهج الفارابي في تناول المباحث الصرفية لا يخرج عن الوصف، وهذا تميز به القدماء، فكان حين يفتقد المصطلح الدقيق يعمد بدل ذلك إلى وصفه ومن أمثلة ذلك:

اسم الآلة: وقد وصفه بقوله: "... والثاني يدل على الآلة والذي فيه تستعمل الآلة، فإن الذي يطلب بلوغه باستعمال الآلة هو الذي لأجله الآلة مثل: المبضع والفصاد...".

2- كثيرا ما كان يتوق إلى تحديد مصطلحاته بدقة ومن أمثلة ذلك حديثه عن المصدر فهو يعرفه بقوله: "وعلى أن في سائر الالسنة سوى العربية مصادر ما تتصرف من الألفاظ وتجعل منها كلم على ضربين، ضرب مثل "العلم" في العربية وضرب مثل الإنسانية".

3- الفارابي يعتمد فقط على الكلام الفصيح ويكتفي بذكر الأمثلة فهو لا يستدل لا بقرآن ولا بحديث شريف.

4- أسلوبه مختصر ودقيق في عرض مسائله الصرفية وكثيرا ما كان يعلل كلامه بإعطاء أمثلة من ذلك حديثه عن الاشتقاق حيث يقول: "هناك من المقولات والتي تسمى باسم واحد مشتق من اسم الشيء الذي إليه تنسب مثل: الطبي المشتق من اسم الطب".

5- يعتمد الفارابي في بسط وعرض مسائله الصرفية على منهج المقارنة فكثيرا ما كان يقارن بين العربية والفارسية، وحتى اليونانية أثناء حديثه عن بعض المسائل الصرفية من أمثلة ذلك حديثه عن النسب وهو يصطلح عليه بالإضافة.

6- ومن المآخذ عليه إهماله لبعض المسائل الصرفية كأبنية الأفعال والأسماء وذكر الأوزان وما إلى ذلك. وكذلك المادة الصرفية عنده لا تجعلها وحدة موضوعية.

أمّا عن أهم ملامح المنهج النحوي عند الفارابي فإن الفارابي إضافة إلى علو شأنه في المنطق فقد كان عارفا بالعربية وفقهها ونحوها وقد اخذ عن ابن السراج إمام زمانه في هذه الفنون، وتظهر آثار قراءته النحو على يد هذا الرجل.

فلقد ربط الفارابي علم النحو بالمنطق فيقول: " فنسبة علم النحو إلى اللسان والألفاظ كنسبة علم المنطق إلى العقل والمعقولات، وكما أن النحو عيار اللسان... كذلك علم المنطق عيار العقل".

وقد تحدث الفارابي عن علم النحو أثناء حديثه عن علم اللسان عندما تكلم عن علم قوانين الألفاظ المركبة حيث قال: "وعلم قوانين الأطراف المخصوص بعلم النحو، فهو يعرف أن الأطراف إنّما تكون أوّلا للأسماء ثمّ الكَلِم". فعلم النحو يدعوه بعلم قوانين الأطراف والأطراف أو أواخر الكلمات والأسماء يطرأ عليها تغيرات تدعى الإعراب من نصب ورفع وخفض وجزم.

ويمكن حصر أهم ملامح منهجه النحوي في:

1- ما يلاحظ على الفارابي أنّه لم يقدم مادته النحوية في أفكار رئيسية وأبواب شاملة، وإنما في معرض حديثه عن أمور لغوية كثيرة ضمن كتابة الحروف.

2- الفارابي يقتفي سير النحاة في معالجة المسائل النحوية التي تنطلق من ذكر القاعدة ثم الاستشهاد عليها بالفصيح من كلام العرب ومن أمثلة ذلك يذكر الفارابي أن الفعل الماضي هو ما دل على زمان مضى حيث يقول: "فبعض الكلم يدل على زمان سالف مثل: كتب، وضرب".

3- في الكثير من الأحيان يستدل الفارابي بآراء النحاة البصريين مما يدل على تقديره لهم. فلقد احتذى حذو سيبويه في تقسيم الكلام، ولم يخرج الفارابي عن هذا المفهوم فهي اسم وفعل وحرف. فسيبويه يقول في باب علم ما الكلم من العربية: "فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل... وأمّا ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة، ونحوها".

والفارابي اتبع هذه القسمة وإن اختلفت الأسماء عنده فما يسميه سيبويه الكلم يسميه الفارابي "الألفاظ الدالة"، وما يسميه سيبويه ونحويو العرب "الأفعال" فيسميه الفارابي "الكلم" أمّا "الاسم" و"الحرف" فتتفق فيهما التسمية عند سيبويه والفارابي في ذلك يقول: "إن الألفاظ الدالة منها ما هو اسم، ومنها ما هو كلم والكلم هي التي يسميها أهل العلم بالسواد العربي الأفعال... ومن الألفاظ الدالة الألفاظ التي يسميها النحويون الحروف التي وضعت دالة على معان".

4- اعتمد الفارابي طريقة الإيجاز في عرض مسائله النحوية فهو يكتفي بإيراد القاعدة والتمثيل لها بمثال أو اثنين.

5- اهتم الفارابي بالصلات القائمة بين الكلمات التي تؤلف الجملة وبالتالي يكون الفارابي قد أمعن النظر في التراكيب النحوية للجملة ونظامها، وما يخصها من إسناد. فاللغة عنده تتألف من ثلاث أشياء اسم وفعل وحرف، فهو يسمّي الجملة بالألفاظ المركبة.

أمّا عن منهجه الدلالي فيرتكز على:

1- اعتماده على المنهج الوصفي في وصف دلالة بعض الألفاظ في عصره مثل دلالة مصطلح "الجوهر": "والجوهر عند الجمهور يقال على الأشياء المعدنية والحجارية مثل: اليواقيت واللؤلؤ وما شابهها... وقد يستعملها اسم الجوهر في مثل قولنا "زيد جيد

الجوهر" ويعنون به جيد الجنس، وجيد الآباء وجيد الامهات... وكثيرا ما يقولون "فلان جيد الجوهر" يعنون جيد الفطرة...".

2- تعرض الفارابي لدراسة بعض الظواهر الدلالية متبعا طريقة التحليل.

3- أحيانا يتبع طريقة الإجمال ثم التفصيل ومن أمثلة ذلك شروحه المستفيضة لأحرف السؤال.

4- سعى الفارابي إلى تحليل طبيعة اللغة وفق منهج يعتمد على المنطق ومن أمثلة ذلك تمييزه بين الحقيقة والمجاز.

5- إن جديد الفارابي يكمن في توضيحه أن الألفاظ بنوعيها في كل أمة تدرس ضمن علم اللسان هذا العلم الذي يعني به حديثا ورائده فرديناند دي سوسير، الدراسة العلمية للسان البشري، فعلم اللسان عنده يشتمل على مبحثين هما: مبحث الدلالة أي علم ما تدل عليه الألفاظ ثم مبحث القوانين التي تخضع لها تلك الألفاظ من حيث هي مفردة أو مركبة.

6- أحيانا يعبر عن بعض المفاهيم الدلالية بالتعبير الناضج المستقر الذي لا نزال نستخدمه حتى اليوم، ومن ذلك حديثه عن اللفظ المفرد والمركب.

أمّا **الفصل الثالث** فقد تطرقت فيه لنقد وتقويم لمنهج الفارابي اللغوي في ضوء علم المنهج الحديث.

فالفارابي شأنه شأن القدماء لم تكن المستويات اللغوية لديه مجتمعة، وإنّما عالجها منفردة "إذ كان الاهتمام الكبير باللغة دافعا لهؤلاء القوم إلى أن ينتهجوا نهجا يضمن لهم وضع قواعد ثابتة مطّردة تضمن الصحة المطلقة مع محاولة فرض هذه القواعد على أصحاب اللغة ضمانا لوحدتها، فكان المنهج الغالب في أعمالهم هو ما يسمى بالمنهج المعياري...".

ورغم اختلاط مسائل دراسة الصرف والنحو في القديم إلاّ أنّ الحقيقة التي ينبغي تأكيدها هي عدم إقامة القدماء علاقة واضحة بين العلمين، بحيث تفيد بعضها من بعض مما يساعد على تحليل كثير من الظواهر اللغوية المختلفة.

أمّا المبحث اللغوي الحديث فيتعامل مع المستويات اللغوية على أنها تتكامل فكل مستوى يرتبط بالآخر، ويفيد منه، ولا يجوز الفصل بينهما أو الاكتفاء بواحد منها في معالجة أي قضية لغوية، وذلك لأن النص اللغوي كل لا يتجزأ.

والملاحظ أنّ الفارابي عالج أهم أبواب علم الصرف كأنواع المشتقات، وتقسيم الفعل إلى أزمنته المختلفة، التعريف والتنكير وأقسامهما ويعترف كمال بشر بأنّ البحث في هذه المسائل وأمثالها بحث صرفي صميم إذ هو مما يخدم الجملة ويجعلها ذات معان نحوية مختلفة بحيث لو تغيرت وحداتها تغيرت معانيها.

كما أنه عالج النحو ومسائله علاجا منفردا ومستقلا وهذه الطريقة في المعالجة عرف بها القدماء "فالنحو العربي لم يميّز حدودا واضحة لمستويات التحليل اللغوي، وإنما اختلطت فيه هذه المستويات اختلاطا شديدا، فقد ظلت كتب النحو منذ كتاب سيبويه تجمع الظواهر الصوتية إلى الصرفية إلى النحوية".

وقد وفق الفارابي في منهجه، وأحسن في وضع شروط اللغة النموذجية وهذه الشروط تكمن في:

أ- **الانزواء:** فهو يرى أن القبائل التي يحتج بها هي القبائل المنزوية البعيدة والمتواجدة في كبد الصحراء وهي قيس وتميم وأسد وطيء ثم هذيل.

ب- **البداوة:** فهو يفضل لغة أهل البدو عن لغة أهل المدن، وذلك لأنّ لغة أهل البادية نقية محافظة على سلامتها من الخطأ والزلل.

وهذا الرأي يوافق ما جاء به المحدثون فهذا حسين نصار يقول: "إن العربية الفصحى هي العربية النقية من الشوائب التي لم تخالطها لغة أخرى، إنهم رأوا أن أفصح اللغات هي لغة البدو البعيدين عن الاختلاط في أوساط البيداء".

وقد أيّد ابن خلدون في مقدمته رأي الفارابي وأوضح هذه الفكرة وارتكز على نفس الأساس السابق.

فمنهج الفارابي يعتمد على أخذ اللغة من أفواه العرب، كما حدّد لنا صفات العرب البداة والذين تؤخذ عنهم اللغة وهم سكان البرية.

فمن المحدثين "كمال بشر" فهو يساند منهج الفارابي في طريقة جمع مفردات العربية بالاعتماد على المشافهة فيقول "لقد أخذوا في جمع المادة من بيئاتها الأصلية واتبعوا في ذلك مبدءا علميا دقيقا يصر البحث اللغوي الحديث على تحقيقه وتطبيقه، ذلك مبدأ "المشافهة" ونعني به تلقي اللغة عن أصحابها بطريق الاستماع المباشر إلى الكلام الحي المنطوق في بيئته وسياقه".

وما يمكن ملاحظته أن علماء اللغة جميعا في حال الرواية لم يجيزوا الاعتماد على النص المكتوب، وإنما استندوا أساسا على المشافهة والتلقي، وحذروا العالم من الاعتماد على النص المدون.

ويمكننا القول إنّ البحث اللغوي العربي القديم ارتكز على الملاحظة المباشرة بواسطة اللغة الشفهية أو المنطوقة، فقواعد اللغة العربية استنبطت من تراكيب شفوية. فاللغة المكتوبة تؤدي إلى فقدان الكثير من العناصر الصوتية التي تعين الدارس على الوصول إلى هدفه ومقاصده من تعيين خواص المواد المدروسة بصورة صحيحة تنبئ عن الواقع.

ومن هنا يمكننا القول إن دراسة العرب لأصوات لغتهم دراسة أصيلة ليست منقولة في منهجها أو طريقة التفكير فيها عن غيرهم من الأمم، والقول بأنها ترجع إلى أعمال الهنود أو اليونان في دراستهم الصوتية قول تعوزه الأدلة العلمية.

وهذا ينطبق تماما على دراسة الفارابي اللغوية فقد اعتمد على الوصف المبني تماما على الملاحظات الذاتية، فلقد كانت له وجهة نظر مميزة غزاء أصوات العربية، وما عبر عنه الفارابي حول حدوث الصوت ليس بعيد عما ورد عنه المحدثون يقول ابراهيم انيس "الصوا ظاهرة طبيعية ندرك اثرها دون أن ندرك كنهها...".

فلقد تفوق الفارابي في وصف المقطع ودراسته فلقد عرفه بأنه حصيلة اقتران صامت بمصوت إما طويل أو قصير، فالمقطع بمفهومه العام كما هو معروف في الدرس اللساني الحديث هو كما عرفه الفارابي.

بالإضافة إلى أن الفارابي لم يحد عن جمهور النحاة في الاعتماد على الأصول المعروفة في بناء القواعد الصرفية بل كان يسند آراءه دائما بالأدلة في الاعتماد على الأصول المعروفة في بناء القواعد الصرفية، فالمباحث اللغوية عند القدماء وجدت متداخلة مع بعضها البعض وذلك لأن كل مبحث يخدم الآخر.

وقد أشار الفارابي إلى علم الصرف بقوله "و الثاني – ويقصد به علم الصرف– يعطي قوانين في أحوال التركيب والترتيب نفسه كيف هي في ذلك اللسان". فهو لم يذكر في تعريفه كلمة صرف أو تصريف ولكن أشار إلى مضمون هذا العلم، لما قال بأنّه يختص بالقوانين المتعلقة بأحوال التركيب.

كما أن الفارابي وصف لنا النحو بقوله: "إن علم النحو إنما يعطي قوانين تخص ألفاظ أمة ما...".

وما دام الإعراب أهم شيء في النحو فقد أشار الفارابي إليه ووصفه بقوله إن النحو إنما هو علم قوانين الأطراف، فلقد وصف لنا الفارابي علم النحو بما يطابق ما ورد لدى القدماء معتمدا في ذلك على المنهج الوصفي أحيانا.

ونخلص إلى القول أن الفارابي طبق مناهج لغوية عدة في دراسته، ولم يغفل عن الاهتمام بالألفاظ ومعانيها، وإن المستوى التي تتم فيها الدراسة الدلالية عند الفارابي هو مستوى الصيغة الإفرادية وهو يطلق عليه في الدرس الألسني الحديث بالدراسة المعجمية، التي تتناول الألفاظ بمعزل عن سياقها اللغوي.

وقد ظهر تركيز الفارابي في حديثه عن "الدلالة" على نواحي ثلاث هي:

الأول: مفهوم الدلالة في اللفظ (الاسم).

الثاني: مفهوم الدلالة في الكلمة التي عند النحاة (الفعل).

الثالث: مفهوم الدلالة في الجملة.

فلقد درس الفارابي الدلالة بطريقة وصفية محضة ترتكز على المعنى أو المعاني التي تدل عليها الكلمة، وهذه المعاني محتواة في النفس وقد سماها المعقولات.

فالمنهج الوصفي في البحث الدلالي معتمد عليه في البحث الدلالي في العصر الحديث، ولا أحد ينكر جهود الفلاسفة في الدرس الدلالي وفضلهم على المتأخرين في هذا المجال.